الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مستغانم –عبد الحميد ابن باديس–
كلية الآداب والفنون
قسم الدراسات اللغوية

آليات التواصل التربوي في الخطاب النّبوي

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل.م.د

تخصص: اللسانيات التطبيقية

إعداد الطالبة:
حميدة يمينة

إشراف الأستاذ الدكتور
بن عيسى عبد الحليم

أعضاء المناقشة:

:

–أ.د. عبد القادر حاج عليّ	جامعة مستغانم	رئيسا
–أ.د. عبد الحليم بن عيسى	جامعة وهران1 أحمد بن بلّة	مشرفا ومقررا
–أ.د. محمد سعيدي	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
– أ.د. عمر معراجي	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
– أ.د. أحمد بن عجمية	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
–أ.د. قاضي الشيخ	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2018-2019

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾

استولت ظاهرة التّواصل بمختلف أشكاله وتجلياته على العديد من الدّراسات اللّغوية الحديثة، فأصبحت تنطوي تحت ما يسمى بالنظريّات المتجددة واللانهائية، إذا ما نظرنا إلى تلك الدّراسات المستفيضة لمسألتي اللغة والتواصل وذلك التشعب في كثير من جوانبها المتعدّدة وتطوراتها العميقة الّتي أخذت تتبلور وتتشكل بدقة بالغة خاصة من خلال عملية البحث عن الكفاءة التبليغية أو التواصلية، ألفينا أنّها تمثّل اجراءات تّداوليّة تذهب بالدرس اللّغوي بعيداً عن التصوير التقليدي والمألوف، له أهميته الجوهريّة سواء على مستوى الصياغات النظرية أو النشاطات العلمية، الشيء الذي يرفعها إلى مستوى الدراسة والتمحيص والتنقيب، ويقربها من مستجدات العصر الحديث والرقي المنهجي والمعرفي الهائل والتقدّم العلميّ والحضاري.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ تأثر ظاهرة التّواصل بالمناخ التربوي يعدّ اتساقا مثمرًا واستثنائيا بين أهمّ خاصيتين جوهريتين، يتجلى ذلك في غايته وأبعاده وكيف تُسهم في تشكيل قاعدة تواصلية ناجحة وموفقة بين أطراف العقد البيداغوجي المتمثّل في المعلم والمتعلم والعلاقات التفاعلية (التعلُم)، والّتي طرحت مجموعة معيّنة من الإشكالات والتساؤلات ولم تلق جوابا كافيا ومقنعا بعد، على اعتبار أنّ الاهتمام لم يعدّ منصبا على الفضاء التعليمي فحسب، وإنّما تعدى ذلك إلى مجالات شتّى من التواصل اللساني، والتواصل السيميائي، والتواصل التربوي، والتواصل الاجتماعي، والتواصل الإعلامي، والتواصل الثقافي... ، ومردّه في الأساس إلى تنوع الخطابات الّتي نستعملها والاهتمام الشديد بالإستراتجيات الّتي تحكمها وتؤطرّها.

وهكذا يغدو هذا الأمر أكثر جوهريّة بالنسبة لنا كباحثين عن آليات التواصل التربوي بين المستوى اللّغوي و الأدائي تحديدا، كونهما الأساس الذي يرتكز عليه الفعل التربوي، لأنّ الخصوصية التواصلية تكتسب قيمتها من كيفية توظيف مختلف الآليات اللّغوية وتقنيات التعبير المناسبة للسياق الّتي تجسد بدورها تلك الإستراتجية التخاطبية الفعالة، وتفقد

قيمتها من خلال تلك العراقيل والاضطرابات المختلفة والمتفاوتة الّتي تعترض سبيل هذين المستويين فتحد من فاعلية التراسل والتخاطب، لذلك تجدنا كثيراً ما نسعى إلى إلقاء الضوء على هذا النوع من الدارسة الّتي تجمع بين الكفاءة اللّغوية ومهارة التبليغ.

ولأنّنا لانجد في أية ممارسة تربوية أخرى- وفي حدود ما وصل إلينا في هذا الإطار- عملا ووصفاً وقدراً من المهارات في التبليغ والتواصل نظيرا ما نجده في رحاب الخطاب النّبوي ، كونه خطابا تربويا متميّزًا -بعد كلام الله عز وجل- طبعا ، من حيث الشكل والمضمون، والأسلوب اللّغوي والأدائي، ومن حيث التصوير والوصف، والتأثير والإقناع ، والتنوع الوظيفي والمعرفي والمنهجيّ...، وهي كلّها آليات كانت ملازمة وملائمة لتبليغ الرسالة واستمرارها في ظروف متنوعة ومتباينة، كما تنمّ عن الأسوة التبليغية والقدوة الإنسانية والنموذج التربوي . ممّا يستوقفنا النّظر والتتبع لمنهجه من هذه الزاوية، فلا يكتفي الاهتمام ببيان وتفسير أحكام الدّين وتشريعاته، بل يجب استقصاء الآليات التواصلية وإدراك مغزاها ومؤداها من خلال تلك الاستخدامات اللّغوية المختلفة والمواقف التربوية المتعددة للخطاب النّبوي، ولذلك كان عنوان بحثي:

" **آليات التواصل التربوي في الخطاب النّبوي**".

وثمّة أبعاد أساسية تستفيض في قراءة الخطاب النّبوي من المنظور التّربوي على وجه الخصوص، وإن كانت الهيمنة للمرجعية الدينية والبلاغية الّتي استدعتها مواقف تعليل الأحكام وتوضيح المعاني ودراسة الأساليب البيانية والبديعية ، ذلك أنّ هدفنا ليس مجرّد عملية الانتقال من النماذج الكلاسيكية إلى مسيرة البحث المعاصر، و إنّما غرضنا نابع من أسباب وعلل جوهرية جعلتنا نخوض غمار هذا البحث في مجال الدّراسات اللّغوية وفي نطاق المدوّنة الخصبة وغير ذلك من الدواعي والأغراض نذكر منها:

* قلّة الاهتمام بالعلاقات التفاعلية وآلياتها ووظائفها التربوية في الخطاب النبوي .

* التماس الخصوصية الفردية الّتي تميّزت بها مدونة السنة النّبوية بوصفها رسالة تبليغية من مرسل إلى متلقٍّ من جهة ، وما تنطوي عليه من آليات تبليغية متفردة بالأشكال التواصلية من جهة أخرى .

* استثمار النموذج التربوي الذى تمسك به محمد (صلى الله عليه وسلم) في تبليغ دعوة الله على أكمل وجه.

* استغلال أحدث تقنيات التحليل التداولي لمعرفة مدى كفايتها في تحليل الخطاب النّبوي.

ومن هذا المنطلق، وفي سعينا إلى إعادة ترتيب العلاقة التواصلية بين المعلّم والمتعلّم وفق رؤية تنسجم مع روح العصر، وتستجيب لمتطلبات البحث الذي يروم إلى تحديث طرائق التواصل والتفاعل اللغوي والتربوي بأهداف أساسية يمكن إجمالها كالتّالي:

* دراسة أبرز الخصائص التواصلية الّتي ميّزت الخطاب النّبوي.

* استكشاف الآليات التواصلية الجديرة بالبحث في مضمار قراءة الخطاب النّبوي وتحديد مقاصدها التربوية.

* التركيز على دور المتكلم في إنتاج الخطاب ووظيفته من الناحية التأثيرية الّتي تمكّننا من معرفة واستكناه جوهر عملية التواصل التّربوي .

* تحليل بعض الظواهر اللّغوية الّتي وظفها الخطاب النّبوي ومقاربتها في ظل ارتقاء وتقدّم البحوث اللسانية والنقدية لاستنطاق وظائفها الأساسية وقدرتها على التبليغ عن المقاصد وعلى التأثير في المتلقي.

ونحن إزاء هذه الغايات المتنوعة، قد تمحورت إشكالية البحث على النحو التّالي:

* ما هي الآليات التواصلية الواردة في الخطاب النّبوي، والّتي وظّفت في العديد من المواقف التربوية لتحقيق هدف التواصل والإقناع والتأثير والمشاركة الايجابية مع المتلقي؟ وكيف تسهم في تحقيق فعل التواصل باعتبارها عنصرا مهما في العملية التعليمية وجزءا لا ينفصل عن الخطاب التربوي ؟ ومدى فاعليتها وكفايتها في إحداث التواصل الفعال بين المتكلم والمتلقي ؟

* هل هناك كفاءات تبليغية تقوم بدور مهم وفاعل في التواصل والتأثير وتساعد المتكلم على تحقيق مقاصده ونواياه ؟ وهل إستراتجية الخطاب النّبويّ تحقق الكفاءة المطلوبة بحسب أبعاد الدرس التداولي الحديث ؟ ثم كيف تحقق مقاصد الخطاب التربوي أو أهداف الرسالة التربوية المراد توصيلها للمتعلم؟ و مدى تفاعل المتلقي مع هذه المقاصد التربوية؟

* كيف يمكن استثمار هذه الآليات التواصلية الّتي تصلح لجميع الخطابات، وخصوصا في المجال التربوي ليتم تطوير أفكاره وتطلعاته ومبادئه الحضارية والإنسانية؟

وفي محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات البحثية وغيرها تفرض علينا عملا نظريا وتطبيقيا يقوم على استجلاء آليات التواصل التربوي وفق الطرح التّداولي ، باعتباره المنهج الأنسب لهذا النّوع من الدّارسات الّتي تبحث في القدرات الإنسانية للتواصل اللّغوي وتبحث في دلالاتها ومقاصدها، وأمّا البحث في الشكل والمضمون فاعتمدنا على الوصف والتحليل.

أمّا عن الدّراسات السابقة الّتي تطرقت إلى هذا الموضوع، فقد وجدنا أغلبها في الدّراسات اللّغوية والتربوية للقرآن الكريم والحديث النّبوي الشريف، ومن هذه الدّراسات الّتي استفدنا منها أذكر: تقنيات الاتصال التعليمي في القرآن والسنة ل (عبد العظيم عبد السلام الفرجاني)،2000م، و آليات التواصل في الخطاب القرآني ل (بلقاسم حمام)، أطروحة دكتوراه،2005م، والاتصال التربوي في السنة النبوية ل (محمود خليل أبو دف)

،2011م، وطرائق الاتصال التربوي (الاتصال الفكري) دراسة موضوعية في الحديث النّبوي ل (الدكتور نصار أسعد نصار)،2011م، و لغة الخطاب التربوي في الصحيح البخاري بين التبليغ والتداول ل (حورية رزقي) ، أطروحة دكتوراه،2014-2015م...

يبدو أنّ مثل هذه الدّارسات لها منحاها الخاص في تناول الخطاب القرآني والنّبوي تحليلا وتطبيقا، لأنّها تتطلع من جوانب قيّمة ولاسيما الجانب التربوي والتعليمي، والذي يعنينا نحن من كل هذه الدّراسات والأبحاث هي تلك الّتي تهدف إلى إبراز ملامح العلاقة التربوية بين المعلم والمتعلم من جانبها التواصلي والتداولي، ممّا يترتّب عنها تفعيل القدرات وإعمال الطاقات لتنشيط العملية البيداغوجية ، وافتكاك كلّ العوائق الّتي تطرأ على عناصر العملية التعليمية، فتحقق ما يسمى بالتفاعل والاندماج.

وقد ارتأينا تقسيم العمل إلى مقدمة وأربعة فصول و خاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات .

تناولنا في الفصل الأول الإطار النظري للموضوع بعنوان "**التواصل التربوي والخطاب النّبويّ : المفهوم والمصطلح**" ويرتكز على أربعة مباحث أساسية :

- المبحث الأول: خصصناه للحديث عن مفهوم التواصل وأهدافه وأنواعه من المنظور الإسلامي واللساني والسيميولوجي.

- المبحث الثاني: أفردناه للحديث عن مفهوم التربية، لغة واصطلاحا، ثم تطرقنا إلى مفهوم التواصل التربوي و أهدافه.

- المبحث الثالث: عالجنا فيه مصطلح له مكانة مركزية في الدّراسات اللّغوية والنقدية، وهو الخطاب، كما تحدّثنا عن البعد التداولي والتحليلي للخطاب.

- المبحث الرابع: أدرجنا فيه مفهوم الخطاب النّبوي وخصائصه المنهجية والتربوية.

أمّا **الفصل الثاني** فكان عنوانه "**أساليب التواصل التربوي في الخطاب النّبوي**" الذي تمظهر في مبحثين أساسيين:

– المبحث الأوّل: التواصل التربوي اللفظي، وتضمن أربعة مطالب، أسلوب الحوار، أسلوب القصة، أسلوب ضرب المثل، وأسلوب الإعادة والتكرار.

أما المبحث الثاني: هو التواصل التربوي غير اللفظي، وتفرّع عنه ثلاث مطالب، التواصل بتعابير الوجه كالابتسامة والضحك والغضب وحركة الرأس وحركة العين... وغير ذلك، والتواصل بحركات الجسم مثل الإشارة باليد وحركة الأصابع وحركة الأرجل ، والتواصل بالرسومات التوضيحية والبيانية.

وقد جاء الفصل الثالث موسومًا ب" **إستراتجية الإقناع وآلياتها في الخطاب النّبوي التربـوي** " وخصصناه لدراسة فاعلية وكفاءة وقدرة الأسلوب اللّغوي النّبوي في إقناع المخاطب والتأثير عليه، والسعي لإبراز العلاقة بينهما، سعيًا بآليّات خاصة تحقق إستراتجية الإقناع منها الآليات اللّغوية، والآليات البلاغية، والآليات والحجاجية .

و كان عنوان الفصل الرابع والأخير "**مقاصد التواصل التربوي في الخطاب النّبوي**"، الذي قادنا إلى النظر في الأغراض التربوية للخطاب النّبويّ، قصد إدراك مغزاها ومؤداها من خلال تلك المواقف التواصلية الّتي تجسّد معانيه وتطلعاته ومقاصده الضرورية ذات الأبعاد الإيمانية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية.

أبرزنا في خاتمة هذا البحث النتائج المهمّة الّتي توصّلنا إليها في كل فصل بعد التحليل واستقصاء الآليات النظرية والإجرائية.

لا شك في أنّ جدّة الموضوع وقلّة الدّراسات يشكل تحديا كبيرا بالنسبة للباحث، لأنّنا أمام وجهة حساسة في التعامل مع الحديث النّبوي الشريف بجميع آلياته وخصائصه ومقاصده، وحين ندرجه في إطار التربوي وفي ظل المعطيات اللسانية والنقدية الحديثة فنكشف عن وجهٍ نادرٍ من وجوه الدّراسات الّتي مازلت تقف عند حدود المسائل الفقهية والتشريعية والجمالية ولا تتخطاها، على الرغم من تنوّعها، فكان لا بد أن نواجه بعض

الصعوبات الّتي تعيق سبيلنا بالدوافع والحوافز والرغبة العميقة لتحقيق ما نصبو إليه في مجال تحليل الخطاب النّبوي .

وفي الأخير أشكر الأستاذ المشرف بن عيسى عبد الحليم على توجيهاته السديدة الّتي دفعتني لمواصلة هذا البحث من بدايته إلى نهايته، و إلى كل من شجعني على ذلك، كما أتقدّم بالشكر والتقدير لرئيس المشروع الأستاذ الدكتور بن يشو جيلا لي، وفريق التكوين ككل على تفضله بمناقشة هذه الدارسة وإثرائها بالملاحظات والتوجيهات القيمة، والحمد لله الذي أعانني على إنجازه، وصلى الله وسلم على المصطفى المختار الذي رسم لنا الطريق القويم والدرب المنير بسيرته العطرة.

الطالبة حميدة يمينة

مستغانم في:10 أكتوبر 2018

الفصل الأول

الإطار النظري للموضوع: المفهوم والمصطلح

أولا: مفهوم التواصل وأنوعه.

أ- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتواصل.

ب- أهداف التواصل.

ج- أنواع التواصل.

ثانيا: مفهوم التواصل التربوي وأهدافه.

أ- مفهوم التربية.

ب- مفهوم التواصل التربوي.

ج- أهداف التواصل التربوي.

ثالثا: مفهوم الخطاب.

أ- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب.

ب- تحليل الخطاب وآلياته .

ج-البعد التداولي للخطاب.

رابعا: الخطاب النّبوي: مفهومه و خصائصه.

أ- مفهوم الخطاب النّبوي.

ب- خصائص الخطاب النّبوي.

المبحث الأول: مفهوم التّواصل وأنواعه

يعدّ الاتّصال والتّواصل من الأمور والأركان الرئيسية في الحياة البشرية واستقرارها، فالإنسان منذ ولادته مرتبط مع نفسه وربه والكون والنّاس من حوله، لذلك أوجب عليه التواصل حتى تستقيم حياته ويلبي حاجاته ويستوفي غاياته، لأنّه لا يستطيع أن يبنيّ ذاته إلّا بالتعامل مع غيره من النّاس، وهذا ما أكّده ابن خلدون(ت808هـ) في مقدمته بقوله (أنّ اجتماع الإنسان ضروري ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع)[1]، كما أنّ هذا التعامل والتّفاعل والتّغير والتّطوير للإنسان لا يكون إلاّ بإكتساب اللّغة الّتي تعتبر من أهمّ وسائل التّواصل في نقل المعارف والأفكار والمعاني بين النّاس سواء كان بإستخدام اللغة اللّفظية أو غير اللّفظية بُغيَة نجاح العلاقات الإنسانية في مختلف مجالات الحياة.

ونظرًا لأهمّية الاتّصال والتّواصل بين الأفراد والجماعات، قام الباحثون في شتى مجالات العلوم والمعرفة بتقديم العديد من المفاهيم المرتبطة بهذا الموضوع-، ولكن على الرغم من هذا لم يتفقوا على تعريف محدّد وشامل تبعا لاختلاف توجهاتهم واهتماماتهم وتخصصهم، "حيث ينظر اللّسانيّ إلى اللّغة، وعالم النفس إلى الذات المتحدثة، وعالم الاجتماع إلى الجماعة الناطقة، والمنطقي إلى المرجع، والتقني إلى القناة"[2]، ومع ذلك لابدّ من معرفة هذا السلوك الإنساني، وتحديد مفهومه وإدراك أهمّ أنواعه ومجالاته، وهذا لا يكون إلّا بمعرفته لغة واصطلاحا.

أ-المفهوم اللّغوي والاصطلاحي للتّواصل:

1-التعريف اللّغوي للتّواصل:

تكشف معاجمنا اللّغويّة والعربيّة عن معانٍ عدّة تضمنتها كلمة التّواصل، ففي المعجم مقاييس اللّغة: الواو والصاد واللام، أصل واحد يدل على ضم الشيء إلى شيء: حتى يعلقه،

---

[1]- ينظر: عبد رحمان بن محمد ابن خلدون، مقدّمة ،ج1، بيروت-لبنان ، دار العلم للجميع ، ص41.

[2]- ينظر: عمر أوكان، اللغة والخطاب، المغرب، افرقيا الشرق،2001م، ص36.

ووصلته به وصلا، والوصل: ضد الهجران[1]، وفي مختار الصّحاح **للرازي(606هـ)**، نجد كلمة اتّصال من مادة وصل وصلت الشيء وصلة، وصل إليه يصل وصولا أي بلغ بمعنى اتصل، كل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة أي اتصال وذريعة، وكلمة تواصل ضد تصارم (ووصلة توصيلا) إذ أكثر من الوصل، ومنه (واصل، مواصلة، وصالا) [2]. وجاء في لسان العرب **لابن منظور**(ت771هـ)، (الواو، الصاد، اللام) من فعل (وَصَلَ) والوصلة: الاتصال والوصلة ما اتصل بالشيء، قال الليث: كل شيء فما بينهما وصلة، وجمع وصل ويقال وصل فلان رحمه يصلها صلة وبينهما وصلة أي اتصال وذريعة، وكلمة تواصل من مادة وصل والتواصل ضد التصارم، وفي الحديث "من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه" رواه البخاري، تكرر في الأحاديث ذكر صلة الرحم، قال ابن أثير هي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذي النسب والأصهار والعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم...، ويقال وصل رحمه يصلها وصلا فكأنه ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر [3]."

وورد في القاموس المحيط للفيروزآبادي (ت817هـ) الاتصال بمعنى الوصول إلى شيء أو بلوغه أو الانتهاء إليه، وهو من مادة وصل ، وصل الشيء ووصل إليه وصولاً ووُصلَةً وصِلَةً أي بلغه وانتهى إليه[4].

---

[1]– ينظر: أبي الحسن احمد بن فارس بن زكريا 395هـ، مقاييس اللغة، ج7 ، بيروت: دار الحّيل، 1999م،(مادة وَصَلَ)، ص115.

[2]– ينظر: محمد بن أبي بكر الرّازي، مختار الصّحاح، الطبعة الأولى، 1994، دار الكتاب الحديث، (مادة وَصَلَ)، ص310.

[3]– ينظر:ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م، 1424هـ، (مادة وَصَلَ)، ص868–870.

[4]– ينظر: الفيروزابادي، القاموس المحيط، القاهرة: دار الحديث، 2008م، (مادة وَصَلَ)، ص1758.

استنادًا إلى هذه المادة اللّغويّة، فإنّ كلمة التّواصل في اللغة تحمل معاني ودلالات متنوعة ومتباينة ومتشابهة، وهي الارتباط والالتئام والجمع والإبلاغ والانتهاء، ثم إنّ التّواصل كما يظهر ضد التّصارم والتّقاطع والابتعاد والهجران.

كما يتبيّن أيضا أنّ هناك اشتراكا في اللفظ بين (الاتّصال والتّواصل) لأنّهما من مادة واحدة وهي مادة (وَصَلَ) بمعنى وصل الشيء بشيء آخر فما بينهما وصل ووصلة، فالتواصل يعني الاتّصال، ووصلة تعني التّواصل، وبناءًا عليه يمكن القول بأنّ الاتّصال والتّواصل في اللغة العربية مفهومين لمعنى واحد، ولكن ثمة فرق بينهما يجعل هذا المصطلح يحمل دلالات ورموز أخرى، وهو ما سنتكلم عنه في هذا الصدد. لانّ بعض الباحثين والمتخصصين في مجال الاتصال يفضّلون استخدام مصطلح "**التواصل**" بدلًا من "**الاتصال**"، ويقولون « أنّ التواصل كما توحي به الكلمة نفسها يدل على أنّ هناك طرفين في العلاقة، بينما يفهم من الاتصال بأنّه أحادي الجانب» [1]، وهو ما يمثله الشّكل التّالي:

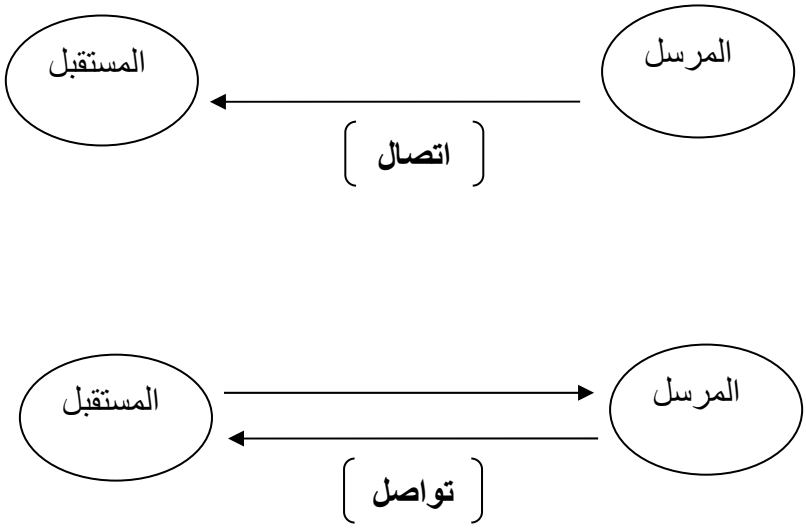

[1]– ينظر: ربحي مصطفى عليان، عدنان محمود الطوباسي، الاتصال والعلاقات العامة، ط1، دار صفاء ، عمان ، 2005م–1425هـ، ص31.

أمّا في القرآن الكريم فوردت كلمة التّواصل في عدة سور، تعبر عن دلالات متنوعة ومترابطة،" وقد ورد أصل الكلمة في آيات عدة بمعنى الاتصال والبلوغ والوصل الذي هو ضد الانقطاع والهجران[1]. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2] ومعناه في تفسير الزمخشري (538ه) "توحي وصلنا بالتشديد والتخفيف أنّ القرآن أتاهم متّتابعا متواصلا"،[3] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [4]، ويقول الزمخشري في تفسير الآية: "(ما أمر الله به أن يوصل) من الأرحام والقرابات، ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسب الإيمان"[5].

يعزو أصل كلمة الّتواصل (Communication) في اللغة الأجنبية إلى الكلمة اللاتينية (Commonness)، والجزء الأول (Com) يعني معًا والتعاون والتبادل والارتباط، لذا يمكن تعريف الاتصال على أنّه التبادل الثنائي بين فردين أو أكثر، وذلك التبادل يعزز التعاون ويرسخ المشاركة [6]. المستخلص من هذه التعريفات اللّغويّة أنّ كلمة التّواصل سواءً في اللغة العربية أو الأجنبية تشير إلى جميع أشكال التّفاعل بين طرفين أو أكثر أحدهما مرسلاً وآخر مستقبلًا، عبر رسائل لفظية وغير لفظية بهدف الإبلاغ والإخبار والإعلام.

---

(1)–ينظر: فهد محمد الشعابي الحارثي، الاتصال اللغوي في القرآن الكريم، ط1، منتدى المعارف ، بيروت، 2014م، ص63.

(2)– سورة القصص، الآية 51.

(3)–ينظر: الزمخشري، الكشاف (عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)،ج20، تح: خليل مأمون شيحا، دارالمعرفة ، بيروت ، ص805.

(4)– سورة الرعد، الآية 21.

(5)– الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، ج13 ، ص538.

(6)– ينظر: زكريا شعبان شعبان، اللغة الوظيفية والاتصال، ط 1، عالم الكتب الحديث، الأردن،2011م–1432ه، ص19 .

2- المفهوم الاصطلاحي للتواصل:

تبلورت عدّة تعريفات لمفهوم التّواصل في العقود الأخيرة بتعدّد الميادين المعرفية والفكرية الّتي تناولت هذا الموضوع واهتمت بهذا الجانب كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي وعلم الإعلام والاتصال وعلم التربية والتعليم والعديد من المجالات الأخرى، غير أنّها أسهمت في ترقية وإثراء علوم الاتّصال بمضامينه ومصطلحاته ومفاهيمه المتباينة وإجراءاته المنهجية الهادفة، فجعلته أكثر بروزًا ووضوحًا ممّا كان عليه من قبل.

وعليه، لابدّ أن نستعرض أبرز التعريفات لمفهوم التّواصل عند بعض الباحثين المتخصصين العرب والأجانب، وهكذا يمكننا الوصول لتحديد مفهوم واضح ومحدّد يشمل جميع عناصر العملية التّواصلية.

توجد تعريفات كثيرة ومتنوعة لمفهوم التّواصل، حدّدها الباحثون العرب والأجانب، من ذلك ما ورد في المجال الاجتماعي **لإبراهيم إمام،** اذ يرى أنّ التّواصل هو« حامل العملية الاجتماعيّة والوسيلة الّتي يستخدمها الإنسان لتنظيم واستقرار وتغير حياته الاجتماعيّة ونقل أشكالها ومعناها من جيل إلى جيل عن طريق التغير والتسجيل والتعليم» [1].

وعرّف **(إبراهيم أبو عرقوب)** التّواصل بقوله : « عبارة عن عملية تفاعل اجتماعي، تهدف إلى تقوية الصلات الاجتماعية في المجتمع عن طريق تبادل المعلومات والأفكار والمشاعر الّتي تؤدّي إلى التفاهم والتعاطف والتحابب والتباغض» [2].

التّواصل بهذا المفهوم من خلال التعريفين السابقين هو عملية اجتماعيّة ضرورية للحياة البشرية، تهدف إلى تحقيق نجاح العلاقات الإنسانية واستمرارها وتطويرها.

---

[1]– ينظر:أحمد العبد أبو السعيد، زهير عبد اللطيف عابد، مهارات الاتصال وفن التعامل مع الآخرين، ط1، عمان، 2014م، ص22.

[2]– ينظر: ابراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، ط1، دار مجدلاوي، عمان ، 1993م، ص17.

أمّا تعريف **(جهان رشتى)** فالتّواصل « هو العملية الّتي يتفاعل بمقتضاها متلقي ومرسل الرسالة – كائنات حية أو بشرا أو آلات – في مضامين اجتماعية معينة، وفي هذا التّفاعل يتم نقل الأفكار والمعلومات بين الأفراد عن قضية معينة أو معنى مجرد أو واقع معين » [1].

إذا كان هذا التعريف يشير إلى العناصر الّتي تشترك في عملية التّواصل، إلّا أنّه لم يركز على جميع العناصر الأساسية، والّتي يمكن تحديدها من خلال التعريف التّالي الذي اقترحه **(خليل أبو أصبع)** « التواصل عملية ديناميكية يقوم بها شخص أو أشخاص بنقل رسالة تحمل المعلومات أو الآراء أو الاتجاهات أو المشاعر إلى الآخرين لتحقيق هدف ما عن طريق الرموز لتحقيق استجابة ما، في ظرف ما (سياق / بيئة اتصالية) » [2].

واللافت للانتباه أنّ هذا المفهوم قد حاول أنّ يدرك كلّ العناصر المتعلّقة بعملية التّواصل: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والهدف، والرموز المشتركة، والاستجابة، وسياق (بيئة اتصالية).

وأمّا في المجال اللّساني، فقد عرّف **عمر أوكان** التّواصل بأنّه « تبادل أدلة بين ذات مرسلة وذات مستقبلة، حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الأخرى، وتقتضي العملية الكائنات أو بعبارة أخرى أشمل (موضوعات حول العالم) ويتطلب نجاح هذه العملية اشتراك المرسل والمرسل إليه في السنن و الاستسنان على الوجه الأكمل كما أراد له المجتمع اللّغوي، كما تقتضي العملية قناة تنقل الرسالة من الباعث إلى المتلقي » [3]. ومن خلال النظر في هذا الكلام فإنّ التّواصل هو عملية تفاعلية تبادلية بين شخصين أو أكثر قصد

---

[1]– ينظر: محمد منير حجاب، الاتصال الفعال للعلاقات العامة، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م، ص21.

[2]–ينظر: خليل أبو أصبع، العلاقات العامة والاتصال الإنساني، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، ، 2009م، ص27.

[3]– عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص36 .

تحقيق أهداف وأغراض معينة، ولكن لا يتأتى لهما ذلك إلّا بتوفر رموز لغوية مشتركة حتى تتم عملية التّواصل بنجاح.

وهنا يتجلى التركّيز على اللّغة بوصفها « أداة للتّفاعل الاجتماعي، وتتمثّل وظيفتها الأولى في إقامة التّواصل بين الكائنات البشرية، فهي ظاهرة تداولية أو أداة رمزية تستعمل لغايات تواصلية"[1]، وذلك تماشيا مع مفهوم **ابن جني** (ت392هـ) للّغة في كتابه الخصائص« أما حدهما فإنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » [2].

وواضح من هذا التعريف أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة « فهي لا تسمى لغة إلّا إذا كانت بين متخاطبين، وهؤلاء المتخاطبين يتخذونها وسيلة للتعبير عن حاجاتهم، ومتطلبات حياتهم، وهذه الحاجات والمتطلبات تكون بطبيعتها يومية، وفي كل آن وعليه يكون استعمال اللّغة استعمالا تواصليا » [3].

ومن ثمّ دخل مصطلح (التّواصل) في الدّراسات اللّغويّة واللّسانيّة، حيث ذكر تعريفه في معجم **جون دوبوا (Jean Dubois)** « التّواصل (La communication) أنّه تبادل كلامي بين متكلّم الذي ينتج ملفوظا أو قولا موجها نحو متكلّم آخر يرغب في السماع، أو إجابة واضحة ضمنية Explicite au Implicite » [4].

وثمة اذًا علاقة بين أطراف عملية الاتّصال، وهي لا تتوقف على اللّغة وحدها، بالرغم من أنّنا لا نستطيع أن نستغني عنها في التّواصل مع الآخرين، وهكذا يقوم التّواصل على

---

[1]– ينظر :عز الدين البوشخي، التواصل اللغوي مقاربة لسانيّة وظيفية ، ط1، بيروت– لبنان، ص36.

[2]– ينظر :ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط11، دار الهدى للطباعة والنشر،بيروت– لبنان، ص33 .

[3]– بلقاسم حمام، آليات التواصل في الخطاب القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة العقيد الحاج لخضر– باتنة،2005م، ص16.

[4]-Jean Dubois et autre, Dictionnaire de Linuistique, Larosse, Imprimerie berger levrault france, dition1949, p94.

عناصر أساسية هي: متكلم، وسامع، ورسالة، وقناة، وشفرة، إضافة إلى السياق الذي وردت فيه الرسالة. أمّا **تشالز كولي (Charles Cooly)** فيرى التّواصل « بأنّه ذلك الميكانيزم الذي أمكن من خلاله للعلاقات البشرية أن تقوم وتتطور، وأمكن من خلاله لرموز العقل الإنساني أن تترابط وتنتقل عبر الزمان والمكان بواسطة وسيلة للإرسال » [1].

يشير هذا التعريف إلى أنّ التّواصل جوهر العلاقات الإنسانية ومحقق تطورها، وذلك من خلال وظيفتين:

1- وظيفة معرفية: تتمثّل في نقل الرموز الذهنية وتبليغها في الزمان والمكان، بوسائل لغوية وغير لغوية.

2- وظيفة تأثيرية وجدانية: تقوم على تمتين العلاقات الإنسانية وتفعيلها على المستوى اللفظي وغير اللفظي[2].

ومن جهة أخرى يحرص **كارل هوفلاند (Carl Hovland)** على أنّ التواصل « عملية يقوم بها القائم بالاتصال بتقديم منبهات أو مثيرات تعدل سلوك الأفراد الآخرين» [3]. وهذا ما يبديه كذلك التعريف **لشانون Shannon وويفر Weaver** « أنّ التواصل يمثل كافة الأساليب والطرق الّتي يؤثر بموجبها عقل في عقل أخر باستعمال الرموز» [4]. إذن، فغاية التواصل هي التأثير من الناحية العقلية والسلوكية للوصول إلى الهدف المنشود، وهذا ما ركز عليه المجال الإعلامي المعاصر عندما طرح مفهوم التواصل « التواصل عملية نوعية قصدية تهدف إلى إثارة استجابة المتلقي بُغية التأثير عليه عقليا وسلوكيا ومساعدته في اتّخاذ موقف

---

[1]- ينظر: منير حجاب، الاتصال الفعال للعلاقات العامة، ص 21 .

[2]- جميل حمداوي، التواصل اللساني والسميائي والتربوي،شبكة الالوكة، ص7. www-alucah net .

[3]- ينظر: حارث عبود- نرجس حمدي، الاتصال التربوي، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان ،2008م، ص29.

[4]- ينظر: منير حجاب، الاتصال الفعال للعلاقات العامة، ص 21 .

محدّد ممّا يعين على خلق جو من الألفة والإتقان بين المصدر الاتصالي فردا أو شخصا اعتباريا، والطرف المستقبل، ومن ثم تحقيق الهدف المطلوب من الاتصال » [1].

يتبيّن ممّا ورد في التّعاريف السابقة أنّ مفهوم التّواصل هو عملية إرسال الرسائل واستقبالها من شخص لأخر لتبادل المعلومات والأفكار والآراء والاتجاهات والمشاعر، وباستعمال رموز لغوية وغير لغوية في سيّاق معين وفقًا لما تقتضيه العلاقة بين طرفي عملية الاتصال، والّتي تؤدّي إلى التفاهم والتفاعل والتأثير والمشاركة، وذلك بتحقيق الأهداف الأساسية والمقصودة من هذه العملية._وعليه فأهمّ عناصر التّواصل نجملها فيما يلي:

- المرسل: الشخص القائم بالاتصال.
- المستقبل: متلقي الرسالة أو الخطاب.
- الرسالة: مضمون الخطاب المراد إيصاله للمتلقي.
- قناة الاتصال: الوسيلة الّتي تنقل الرسالة من المرسل إلى المستقبل.
- السياق: الموقف الاتصالي الذي وظفت فيه الرسالة.
- التأثير: تحقيق الهدف.

ب-أهداف التواصل:

للاتّصال والتّواصل ثمرات كثيرة . تتجلى في الأهداف التاليّة:

- **الترابط الاجتماعيّ:** يُمثل الاتصال صميم العلاقات الاجتماعية، فطبيعة البشر إقامة علاقات مستمرة فيما بينهم، وطبيعة شبكات الاتصال الّتي تنشأ فيما بينهم وما تتخذه من أشكال وتبلغه من فعالية، تحدد بدرجة كبيرة فرص التقارب والترابط بين أفراد المجتمع[2].

---

[1]- ينظر:هادي نهر، الكفاية الاتصالية والتواصلية، دراسات في اللغة والإعلام، ط1 ، دار الفكر ،عمان- الأردن ، 2003م-1424هـ، ص85 .

[2]- ينظر: محمود حسن إسماعيل، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، ط1، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2003م، ص 20 .

- **الإعلام والتبليغ:** للإعلام دور بارز في نقل الأخبار والمعلومات للجماهير وتوعيتهم، "أي نقل المعلومات والأفكار إلى المستقبل وإعلامهم عما يدور حولهم من أحداث[1].
- **الترفيه:** فهو مظهر من مظاهر التسلية والاستمتاع، ويسعى الاتصال إلى تحقيق هدف الترفيه حينما يتجه إلى إدخال البهجة والسرور على المستقبل، كما يسعى إلى مساعدة المستقبل على قضاء وقت الفراغ، بشكل ايجابي والاستمتاع به كما في الحفلات والمسارح وغيرها.
- **التربية:** يقوم الاتصال بدور كبير في العملية التربوية من خلال توجيه السلوك وغرس القيم أو تعديل الاتجاهات أو تغييرها، فكثيرا ما يكون هدف الاتصال بين الأفراد هدفا تربويا لتهذيب النفوس، وبناء الأجيال[2].
- **التّعليم:** يمثّل التواصل غاية التعليم أو التغير المستمر في سلوك الفرد؛ وذلك بتزويد المتعلم بالمعارف والأفكار والقيم الاجتماعية الّتي تساعده على التكيف مع المجتمع، ويسهم الاتصال في نقل المعلومات والتراث من جيل إلى جيل يساعد على توصيل الخبرات في المجتمع.
- **التثقيف:** يهدف الاتصال إلى تزويد النّاس بالمعلومات النافعة لهم في جميع نواحي حياتهم المختلفة من الصحية والاجتماعية والسياسية، وتزويد النّاس بأخبار المجتمع الذي يعشون فيه [3]،لأنّ المتلقي يهتم بالموضوعات الّتي يطغى عليها الجانب الثقافي.
- **الإقناع:** تتنوع مهارات التواصل وتتلون وتتزخرف حتى تشكل للمستقبل وجهة نظر تحرك مشاعره وتثير انفعاله فيقتنع بها. وهي "عملية واعية من قبل القائم بالاتصال بهدف تغيير

---

[1]– ينظر: ربحي مصطفى عليان، عدنان محمود الطوباسي، الاتصال والعلاقات العامة، ص36.

[2]– ينظر: فهد محمد الشعابي الحارثي، الاتصال اللغوي في القرآن الكريم، منتدى المعارف، بيروت ، 2014م، ص55.

[3]– أحمد لعبد زهير، عبد اللطيف، مهارات الاتصال وفن التعامل مع الآخرين، ص51.

اتجاهات ومعتقدات المستقبل للرسالة الاتصالية من خلال دفعه نحو تغيير الاتجاه أو السلوك بمحددات يرغبها القائم بالاتصال"[1].

ج- أنواع التواصل:

اهتمّ الباحثون قديمًا وحديثًا بموضوع الاتّصال والتّواصل، وركّزوا على تحديد مفهومه ونظرياته ونماذجه، وتناولوه وفق اتجاهاتهم وتخصصاتهم المختلفة، فتعدّدت أشكاله وأنواعه، وهذا يرجع إلى ارتباطه بمختلف مجالات المعرفة كما قد ذكرنا آنفا، هناك التواصل اللساني، والتواصل السيميائي،و التواصل الفلسفي، والتواصل الاجتماعي، والتواصل التربوي، والتواصل الإعلامي، والتواصل الثقافي...

وفي هذا السيّاق نود أنّ نتعرف على أنواع التواصل الّتي ارتكز عليها مناط بحثنا، التواصل الإسلامي، التواصل اللساني، التواصل السيميائي، والتواصل التربوي.

1. التواصل الإسلامي:

ومن يتّابع سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمختلف مواقفها وظروفها يجد أنّ عامل التواصل هو أساس الدعوة الإسلامية؛ إذ اعتمد في ذلك على التّواصل الشفهي (الشخصي والجماعي)، والتّواصل الكتابي، وفي هذا الشأن يقول سعيد حوى: « اتّصل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالأفراد اتصالا شخصيا، وعرض نفسه على قبائل العرب، ورحل من أجل تبليغ الدعوة، و تتبع مواطن اجتماع النّاس ليبلغهم، وأرسل الرسل نيابة عنه لتبليغ الدعوة، واستقدام الوفود ليأخذوا عنه ويرجعوا مبلغين، وراسل الأمراء والملوك داعيا لهم إلى الله، وكلف أصحابه أن يتعلموا ويعلموا وأمر جنده ألا يحاربوا قبل أن يدعوا إلى الإسلام، ثم حمّل جميع المسلمين أمانة البلاغ ليبلغوا العالم دعوة الله» [2]. فالتّواصل

---

[1]-ينظر:آمال عميرات، الاتصال الاجتماعي(العمومي)، ط1، دار اسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، 2014م، ص14.

[2]- ينظر: سعيد حوى، الرسول صلى الله عليه وسلم، دارعمار ، بيروت ، 1988م، ص 87 .

الإسلامي أو الدعوة الإسلامية هو تبليغ أو إيصال الرسالة الاتصالية الإسلامية (القرآن والسنة) إلى كافة النّاس، لأنّها دعوة إنسانيّة عالميّة تصلح لكل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها لأنّها خاتمة الرسالات» [1]. ويمكننا توضيح ذلك في الخطاطة التالية[2]:

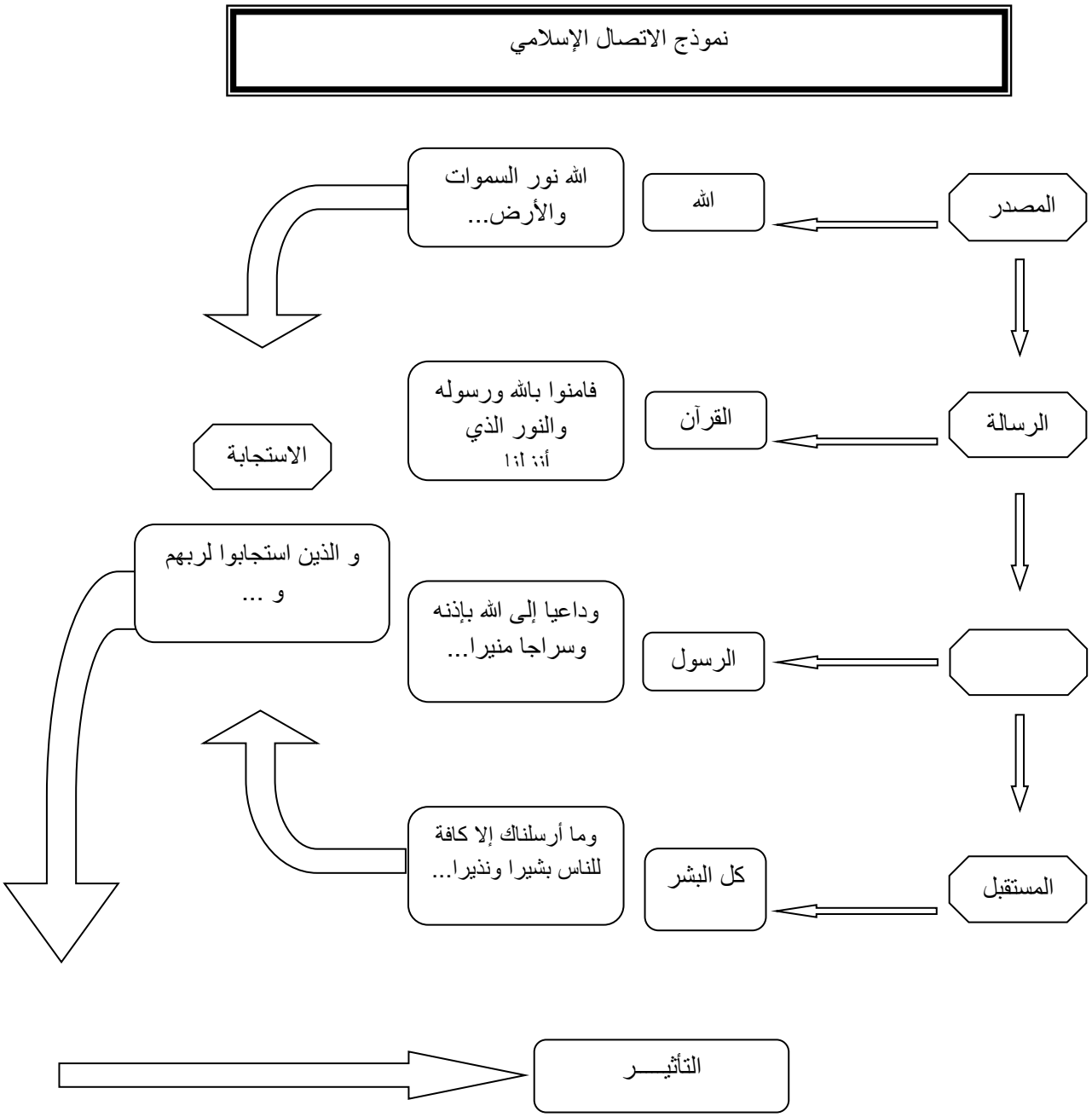

[1]– ابراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، ص 72–73.

[2]–المرجع نفسه، ص73.

إنّ مصدر الرسالة الّتي جاء بها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وحي من الله جلّت قدرته، فهي المبدأ المثالي أو الوضعي الذي يحدّد ظاهرة اتّصال عالم الغيب بعالم الشهادة ومصدر المعرفة الإنسانيّة عن عالم الغيب، في حين يشكل العقل والحواس مصدر هذه المعرفة عن عالم الشهادة، ثم يأتي دور الوحي الذي يُعرّف الإنسان بحقيقة هذا العالم، وهي رسالة ربانيّة إسلامية أساسها المعجزة القرآنية، وهي وسيلة تعبيرية من أهمّ العناصر الّتي تستخدم في عملية التواصل الإسلامي، فتتجلى وظيفتها في تبليغ العالم رسالة الحياة، انطلاقًا من حياة الفرد إلى حياة المجتمع ككل، وتتمثّل أهميتها في كونها منهجًا شاملاً تحتاجه البشرية في كل زمان ومكان، حيث أنّ « القرآن الكريم منهجا سلوكيا كاملا ودقيقا يشمل كل ما يتصل بأفعال المرء مع ربه ومع نفسه ومع الآخرين، وهذا المنهج يقوم على الإيمان، ولا يتحقق هذا الإيمان حتى يصبح سلوكا في واقع الحياة بحيث يتوجه المؤمن بكل ما في حياته إلى ربه سبحانه، معه يسمعه ويراه فإذا كان كذلك وصل إلى درجة الإحسان الذي هو ذروة الإيمان» [1].

فالله سبحانه وتعالى هو المرسل، والقرآن الكريم هو الرسالة وحامل هذه الرسالة هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وما كان يسمى كذلك لولا الرسالة المكلف بها« وهو محمد بن عبد الله، كلّفه الله تبارك وتعالى بحمل هذه الرسالة (رسالة الإسلام) إلى النّاس كافة، وليس إلى قومه قط، فلن يعود هناك رسالات ولا رسل، فمحمد (صلى الله عليه وسلم) هو النبي الخاتم والإسلام هو الرسالة الخاتمة» [2]، فمن ذلك نستلهم تقديرَ الله عز وجل لرسوله ومنحه عموم الرسالة في كتابه العزيز بقوله:

---

[1]–ينظر: فوزية رضا أمين خياط، الأهداف التربوية السلوكية عند الشيخ ابن تيمية، ط1،، مكتبة المنارة، مكة المكرمة ، 1987م، ص70 .

[2]–ينظر: أحمد رجب الأسمر، النّبي المربي، ط1، دار الفرقان، عمان، 2010م، ص79.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [1]، و يفسر ابن كثير هذه الآية: "يقول الله سبحانه وتعالى لعبده ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ ﴾ أي إلى جميع الخلق المكلفين كقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [2]، أي تبشر من أطاعك الجنة، وتنذر من عصاك النار [3].

كما أثبت القرآن الكريم أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) بُعث للإنسانيّة عامة في آيات كثيرة وردت في كتابه سبحانه وتعالى مثل قوله :﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥٨ ﴾ [4]

إنّ فحوى هذه الآية تدل دلالة دامغة على عالميّة الرسالة المحمديّة، ومعنى ذلك أنّها لم تختص بقوم أو أرض معينة، بل هي للنّاس جميعا في مشارق الأرض ومغاربها، بما تضمنته من قوانين تناسب تطور البشرية، وتتماشى مع كمال أصولها العقدية، وقابليتها للتطبيق المتجدد في فروعها العلمية، و ملاءمتها للفطرة الإنسانيّة الّتي يتلقى عندها النّاس جميعا"[5].

وممّا هو جدير بالذكر أنّ الرسالة الّتي جاء بها الرسول (صلى اله عليه وسلم) تقتضي بالضرورة وجود متلقٍ (كافة البشر) حتى تتم عملية التواصل بشكل مدروس فيضمن نجاحها

---

[1]–سورة سبأ، الآية 28 .

[2]– سورة الفرقان، الآية1.

[3]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، بيروت، دار النوبلس للنشر والتوزيع، 2000م، ص 143.

[4]– سورة الأعراف، الآية 158.

[5]–ينظر: لطفي فكري محمد الجودي، جماليات الخطاب في النص القرآني، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة ، 2014م، ص94.

ويحقق أهدفها ف: « ضمان وصول الرسالة إلى المستقبل من أهم المقاصد الشرعية في الإسلام، لذلك اختار الله رسوله من البشر أولا، ليتمكنوا من إتباعه والاقتداء به، ثم اختاره من العرب ثانيا لجودة لغتهم واستيعابها لمقاصد الخطاب الشرعي، ومن ثم اختاره من قريش ثالثا، لأنّها من أفصح العرب لسانا وأوسطها نسبا» [1]، غير أنّ نظام إيصال الرسالة غرضه استحداث انفعال ناتج عن تأثير محدّد أو إثارة استجابة المتلقي (تغذية راجعة)، ممّا يجعله اتصالا ديناميكيا دائريا ومستمرًا يستوجب التأثير والتأثر لإنجاح هذه العملية، ويتوقف ذلك تماما على القدرة على الاتصال والتواصل الفعّال مع الآخرين، والذي يعد إحدى الأساسّيات الّتي تحلى بها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في إقناع النّاس وتبليغهم دعوة الله، مع الالتزام بأسلوب التربية والتعليم في جميع المواقف، محققا بذلك أهداف الرسالة التربوية الإسلامية.

2. التّواصل اللسانيّ:

اتجه اللسانيّون في أبحاثهم إلى استكشاف نماذج كثيرة حول دراسة اللّغة الّتي تضطلع بوظيفة أساسية وهي التواصل، ويعزى ذلك إلى جهود عالم اللغة **فرديناد دي سوسور(Ferdinand de saussuer)**(1857م-1913م) الذي وضع أسس هذه النظرية، وقد ازدهرت فيما بعد على يد **مارتينه (Martinet)**، **بلومفيد (Bloomfield)**، **رومان جاكبسون (R.Jakobson)**...وغيرهم، والفكرة الأساسيّة لدى هؤلاء جميعا مفادها "أنّ اللغة تستعمل أساسًا لإقامة التواصل بين مستعمليها، أي أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي وظيفة التواصل" [2].

غير أنّ موضوع اللّغة والتّواصل طرح عدّة نظريات ومفاهيم ممّا أثار وجهات نظر مختلفة لدى اللغويين، وقد تجلى هذا بوضوح من خلال النّظريات الآتية:

---

[1]-ينظر: مشعل محمد الحداري، الاتصال الفعال في الإدارة المعاصرة وانعكاساته في السنة النبوية، ص11 .

[2]- ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ط2، دار الكتاب الجديد المتحد، 2010 م، ص15 .

◆ **نظرية دي سوسور:**

إنّ التواصل في نظر فرديناند دي سوسور (**Ferdinand de saussuer**) عملية يقوم بها المتكلّم والمستمع أساسه اللغة، وهو عبارة عن حركة نفسية و فيزيولوجية تقوم على أساس تأثر الدماغ (التصورات أو التمثلات الذهنية) بالمنبهات الخارجية (العلامات اللسانية)، حيث « أنّ التصور ما يثير في الدماغ صورة سمعية مماثلة، وهذه الظاهرة نفسية كليا تتبعها بدورها آلية فزيولوجية، فالدماغ ينقل إلى النطق ذبذبة ملازمة للصورة، ثم تنتشر الموجات الصوتية من المتحدث(أ) إلى ذات المتحدث(ب)، ثم تستمر الدارة في اتجاه متعاكس"، ومن هنا يتحول المستمع إلى باث بعد استقبال الخطاب الموجه إليه من مركز الاستقبال، لتأخذ الصورة السمعية مسارها في الحيّز النفسي والفيزيولوجي المستقبل والموجّه لذلك ، فيرتَسم مخطط الدارة من جديد بطريقة عكسية مقارنة بمساره الأول، فيأخذ الفعل الجديد مسارا له –الطريقة الأولى نفسها أي من دماغ (ب)إلى دماغ (أ) وسيمر في المرحلة المتتالية نفسها» [1]، وهذا ما يوضحه الرسم التّالي[2]:

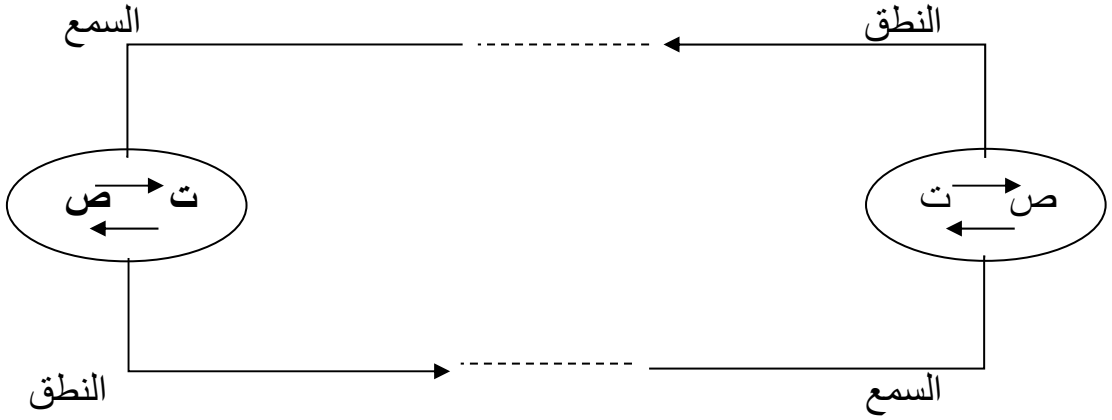

[1]–ينظر: الطاهر بن حسين بومزمر، التواصل اللساني والشعرية، ط1، دار العربية للعلوم –ناشرون، الجزائر،2007م، ص17–18.

[2] -Ferdinand de Saussure –cours de linguistique général-édition Payot et Rivages -4e édition-paris -1995- p28-29.

من هذا الشكل يتضح لنا أنّ التواصل تحدثه انفعالات ناتجة عن تصور لغوي مشترك بين المتكلّم والمستمع، والدليل على ذلك عدم فقدان جهاز التواصل بين هذين الشخصين، على اعتبار التواضع المشترك بينهما من خلال القدرة على الفهم والقدرة على التبليغ، ولذلك يرتكز التواصل اللّساني على ثلاثة عناصر أساسية:

1-المتكلم أو المرسل.

2-المستمع أو المستقبل.

3- نظام متجانس من العلامات الدالة، يمتلكه المتكلم والمستمع على حد سواء .[1]

وندرج ضمن هذا السيّاق نظرية جاكبسون حيث اتضحت معالم التواصل بشكل بياني وواضح في كتابه "الشعرية واللسانيات" معتمدا في ذلك على نموذج (سوسير) ويقدّم نموذجا آخر، وهذا ما سنتعرف عليه من خلال موقعه في هذا البحث.

◆ **نظرية رومان جكبسون:**

اقترنت نظرية التّواصل اللّغوي باسم الألسنيّ (**رومان** جاكبسون**R.Jakobson**) الذي يرى بأنّ العملية التواصلية تتحقق من خلال ستة عناصر هي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والمرجع (الساق)، والسنن(الشفرة) والقناة، ثم بيّن أنّ وجود كلّ عنصر تواصلي يقتضي بالضرورة وجود وظيفة يقوم بها، وهذه الوظائف تحدّد العلاقة بين أطراف التواصل، وتضمن العملية التواصلية والتخاطبية، وهذه الوظائف هي :

1- الوظيفة التعبيريّة أو الانفعاليّة (Fonction émotive): وهي تركز على المرسل، فهي تهدف إلى التعبير عن موقف المتكلّم تجاه الموضوع المتحدث عنه.

---

[1]-ينظر: أحمد حساني ، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر ،2009م، ص76.

2- الوظيفة الإفهاميّة (Fonction conative): وهي تحدد العلاقة بين الرسالة والمرسل إليه، وتستند إليها في أغلب الأحيان الجمل الأمرية الّتي ينادى بها المرسل إليه لإثارة انتباهه أو لطلب منه القيام بعمل.

3- وظيفة إقامة تواصل(Fonction phatique): وهي وظيفة تقوم على التبادلات الكلامية بين متكلّم ومستمع وفق مؤشّرات لغوية محدّدة تضمن استمرارية التواصل.

4- وظيفة ما وراء اللغة(Fonction metalinguistique) : هناك مستويين من اللغة، المادة (اللغة، الهدف) وتتكلم عن الأشياء المحسوسة، واللغة الماورائية (أو ما وراء اللغة) أي تقوم على وصف اللغة وذكر عناصرها.

5- الوظيفة المرجعيّة (Fonction référentielle): وهي تبرز الغرض الذي ترجع إليه الرسالة، وهي أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التّواصل.

6- الوظيفة الشعريةّ(Fonction poétique): وهي الوظيفة الجمالية للرسالة سواء من ناحية الشكل أو من ناحية المضمون[1].

من خلال هذه الوظائف الّتي توصل إليها رومان جاكبسون **Jakobson** ، فإنّ عملية التواصل تشترك فيها ستة عناصر الّتي بدورها تنتج مجموعة من الوظائف تحققها اللّغة كوسيلة أساسية وتبرز البعد التواصلي لها، لذلك نجدها (عملية التواصل اللّساني) مؤدية لعدة وظائف تختلف باختلاف غاياتها وأهدافها.

◆ **نظرية أندري مارتيني:**

يرى الوظيفيون، وعلى رأسهم **ماريتني (Martinet)** أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التبليغ، وهي الوسيلة الّتي تمكّن أهل اللسان من أن تكون لهم علاقات فيما بينهم" [2].

---

[1]-ينظر: فاطمية طوبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت ،1993م، ص66-ص67.

[2]-ينظر: أندريه مارتيني، مباديء في اللسانيات العامة، دار الأفاق للنشر، ص14.

كما أشار ماريتني (**Martinet**) إلى أنّ اللغة تعتمد في وظيفتها على التواصل، وتستند إليه لإقامة علاقات متبادلة بين مستعمليها، نتيجة تقسيم الوحدات اللغوية إلى مستويين مختلفين هما:

المستوى الأول: "الذي يتكوّن من الكلمات الدالة على المونيمات.

والثاني: ويقوم بتحليل تلك الوحدات ذات المحتوى الصوتي والدلالي إلى الفونيمات" [1].

نأخذ **مثالا** على ذلك: فعندما نقول " **كتب الدرس**" فإنّنا أمام مجموعة من المونيمات متتابعة، وعندما نحلّلها بهذا الشكل **(كتب/أل/درس)** تصبح بمثابة وحدات صوتية منعزلة عن الوحدات الدالة (الفونيمات)، وهي وحدات صغيرة لا يمكن تحليلها إلى وحدات أصغر منها، وهكذا تكون العلاقة بين المونيمات من خلال انتظامها وبروزها وانسجام وحداتها قد رسمت في بنيتها دلالة واضحة المعاني تسمى اللغة تقوم على أساس تلفظ مزدوج تؤدي وظيفة التواصلية.

استنادًا إلى هذه المعطيات قلّل **(نعوم تشومسكي N.Chomsky)** من أهميّة العامل الوظيفي للغة، ورأى أنّ للغة القدرة على إنشاء أو تركيب جملا ذات دلالات واضحة دون تحديد سياقها الّتي وردت فيه، وقد أشار ذلك في نصه حول تدعيم أطرحته: « من أنّه يمكن للشخص أنّ يكتسب شيئا لمجرد توضيح أفكاره كما يمكن أنّ يكتب شيئا دون أنّ يكون في ذهنه وهو يكتب أي مخاطب معين... »[2]، وما نفهمه من هذا أن تشومسكي اهتّم بمسألة القدرة اللغوية مستبعدا من ساحتها الموقف الاتصالي.

ينبغي الإشارة هنا إلى أنّ نظرية تشومسكي جلبت انتباه كثير من اللغويين ، لأنّها أهملت العلاقة بين اللغة والطبيعة الاجتماعيّة، وأكدوا أنّ أساس اللغة تكمن في وظيفتها أو

---

[1]- ينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، أبحاث للترجمة ونشر والتوزيع، 2004م، ص19.

[2]-ينظر: أحمد متوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ط2، م ، دار الكتاب الجديد المتحد، 2010م، 2010، ص54.

دورها الاتصالي، وما ترتب على هذا هو أنّ القدرة اللغوية لا تقوم على عامل معرفة قواعدها وتوليد عدد لا متناهي من الجمل، بل تقوم على عدة عوامل متشابكة وتستمد مادة ابداعها من شروط استعمالها (المتكلم، السامع، الزمان، المكان والوضع الاجتماعي)، وهذا ما أدركه **هايمز** (**Hymes**) فتجاوز ما تضمنته نظرية تشومسكي، وأعاد صياغة مفهوم الكفاءة اللغوية(**La Competence linguistique**) بالكفاءة التواصلية (**La Competence Communicative**)، ولعلّ هذه الصيغة هي الأمثل للعلاقة اللّغويّة التّواصلية، حيث يعدّ مصطلح (الكفاءة التواصلية) شيء أكبر من الكفاءة اللغوية، وهي ليست نسقا بسيطا، بل هي أنساق متعددة اذ تتألف من خمس كفاءات فرعية كمـا طرحها سيمون ديك (**Simon Dick**) [1]:

1-**الكفاءة اللغوية:** بها يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج ويؤول عبارات لغوية ذات بنيات متعددة ومعقدة جدا في مواقف تواصلية مختلفة.

2-**الكفاءة المنطقية:** وبها يستطيع مستعمل اللغة أن يشتق معارف بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والاحتمالي.

3-الكفاءة المعرفية: وبها يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يكوّن رصيدا من المعارف المنظمة، وأن يختزنها بالشكل المطلوب وأن يستحضرها في تأويل العبارات اللغوية.

4-الكفاءة الادراكية: بها يتمكن من إدراك محيطه وأن يشتق من إدراكه ذاك معارف وأن يستعمل هذه المعارف في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

5-الكفاءة الاجتماعية: فمستعمل اللغة لا يعرف ما يقوله فحسب، بل يعرف كيف يقوله لمخاطب معين في موقف معين قصد تحقيق هدف تواصلي معين.

---

[1]- ينظر: علي آيت عند أوشان ،اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي الاسس المعرفية والديداكتيكية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1998م،ص72 .

ويتّضح من خلال هذه التفريعات أنّ **سيمون (Simon Dick)** قد تعمّق في البحث عن الكفاءة التواصلية والتبليغية، وقدّم تفسيرًا وضحًا لعملية التواصل اللّساني في ظل المقاربة التداولية المعاصرة.

3.التواصل السيميولوجي:

نمت فكرة السيميولوجيا مع ظهور اللسانيات عندما قدّم **دي سوسير(F d. Saussuer)** عمله في كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي نشر سنة(1916م) ، بقوله « من الممّكن ابتكار علم يدرس حياة العلامات في صدر الحياة الاجتماعيّة ، يشكل جزءًا من علم النفس الاجتماعي، وعلى استنتاج علم النفس الاجتماعي نسميه: السيميولوجيا» [1]، كما يرجع بعض الباحثين الفضل إلى الفيلسوف والمنطقي **شارل ساندرز بيرس(** Charles S.Pierce)(1838-1914م)، وهو الذي دعا إلى نظرية عامة في علم العلامات أطلق عليها مصطلح السيمياء أو السيميوطيقا (Sémiotique) [2].

ثم اشتدّ اهتمّام الباحثين بهذه المسألة وكثرت أبحاثهم واتسعت نظرتهم وتشعبت، فتطورت الفكرة وعمّت مختلف ميادين المعرفة، وبلغت قمّتها وأصبحت منهجا بكلّ مواصفاته العلمية يدرس العلامة اللغوية وغير اللغوية، ولعلّ هذا ما يبيّن لنا انشغال الباحثين بمسألة السيميولوجية، ويهمنا في هذا المقام أن نحدّد التّواصل السيميولوجي.

إذا كان علم السيميولوجيا يتناول نظام العلامات داخل المجتمع، فإنّ سيميولوجيا التواصل تهتم بالإبلاغ والتواصل كوظيفة أساسية تؤديها الأنساق اللّغوية، وخير من يمثّل هذا الاتجاه، نذكر: "**بويسنس(Buyssens)، بريطو(Prieto)، مونان(Mounin)، أوستين (Austin)، مارتينيه (Martinet)**"، فينطلق هذا التيار من دراسة العلامة السيميائية بتقسيمها إلى ثلاثة عناصر: الدليل، المدلول، والوظيفة أو القصد، ويهدف إلى الوصول إلى

(1). Ferdinand de Saussure –cours de linguistique général-édition Payot et Rivages -4e édition-paris -1995- p33

(2)- ينظر: هيام كردي، أضواء على الألسنية، ط1، بيروت، 2008م، ، ص35- 38 .

المقصدية الّتي تتحكم فيها أنظمة لسانيّة وغير لسانيّة ذات وظيفة سميائية تواصلية تأثر في الآخر، وهذا ما أقره هؤلاء: « يمكن للسميولوجيا أن تعرف باعتبارها دراسة طرق التواصل، أي دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي يتوخى التأثير عليه، كما يرون بأنّ السميولوجيا تفرض علينا اللجوء إلى الوظيفة الأولية للغة، التأثير على الغير، ومن هنا فالسيميولوجيا التواصل، تركّز على وظيفة اللسان الأساسية ومتمثّلة في التواصل» [1].

كما اهتمّ بعض السيميائين المحدثين بالبحث في أهمية تفكك موضوع السميائية ، حيث تجلى هذا الاهتمام في مطالبة كل من " بويسنس(Buyssens) ومونان (Mounin) وبريطو(Prieto) " « بالعودة إلى الفكرة السوسيورية بشأن الطبيعة الاجتماعية للعلامات، لأنّهم حصروا السيميائية بمعناها الدقيق، في دراسة أنساق العلامات ذات وظيفة تواصلية، ثم ذهب مونان (Mounin) إلى القول بأنّه ينبغي من أجل تعيين الوقائع الّتي تدرسها السيميائية تطبيق المقياس الأساسي القاضي بأنّ هناك سيميوطيقا أو سيميولوجيا إذا حصل التواصل» [2]. والتّواصل عند بويسنس Buyssens هو ما يكون موضوع السميولوجيا، وهذا ما أكّده بريطو Prieto ينبغي للسيميولوجيا حسب بويسنس، أن تهتم بالوقائع القابلة للإدراك المرتبطة بحالات الوعي، والمنتجة قصدا لتعريف بحالات الوعي هاته.

وقد رأى أيضا **(بريطو Prieto)** أنّه من الممّكن اعتبار سيميولوجيا التواصل فرعا من سيميولوجيا تدرس البنيات السيميوطيقية مهما كانت وظيفتها» [3]، حيث ركز على القصدية التواصلية، فلا وجود للمعنى إلّا في إطار العلاقات الاجتماعية، والمعنى هو العلاقة الاجتماعية الّتي تصغها الإشارة (signal) بين الباث والمتلقي خلال الفعل الدلالي، بالإضافة

---

[1]- ينظر: فيصل الأحمر نبيل دادوة، الموسوعة الأدبية، ج الأول، دار المعرفة، الجزائر، 2008م، ص193 .

[2]- ينظر: عبد الله ابرهيم،سعيد الغانمي ،عواد علي، معرفة الأخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م، ص85.

[3]- ينظر: حنون مبارك، دروس في السميائيات، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب ،1987م، ص73-74.

إلى اقتراح **مارتيني (Martinet)** أنّ هناك: مقصدية التواصل موجودة في كل فعل تواصلي، عند الباث وعند المتلقي على حد سواء، كما أنّ الوظيفة التواصلية لا تغيب حتى في الأنساق الدالة الّتي لا نستعملها في التواصل، مادامت هناك دائما إمكانية لاستثمار هذه الأنساق داخل التواصل[1]. و ثمة مجموعة من الأمارات والمعينات(**Indications**) الّتي يمكن تقسيمها إلى ثلاث، وهي:

- **الأمارات العفوية:** وهي وقائع ذات قصد مغاير للإشارة، تحمل إبلاغا طبيعيا وعفويا.

-**الأمارات العفوية المغلوطة:** والتي تريد أن تخفي الدلالات التواصلية للغة كاستعمال شخص لغة غير لغته لنعتقد أنّه أجنبيا.

-**الأمارات القصدية:** والتي تهدف إلى تبليغ إرسالية مثل إشارات المرور[2].

وهناك محوران للتواصل السيميائي، وهما العلامة والتواصل، ولكلّ من هذين المحورين تفريعاته، فالمحور الأوّل يقسّم حسب هذا الاتجاه إلى أربعة أصناف هي: الإشارة، المؤشّر، الايقون، والرمز.

أمّا الثّاني هو تقسيم يميز بين التواصل اللّساني والتواصل غير اللّساني:

1-**التواصل اللساني (اللفظي):** يتمثل في العملية التواصلية الّتي تتم بين البشر بواسطة الفعل الكلامي، وما يتعلق بذلك من آليات مختلفة[3].

2-**التواصل غير اللساني:** ويعتمد على أنظمة سننية غير أنساق اللغة، فيسميه بوسنيس Buyssens (لغات غير اللغات المعتادة)، ويقسمه إلى معايير ثلاثة:

---

[1]- ينظر: عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، 2010م، ص71.

[2]- ينظر: فيصل الأحمر، معجم السميائيات، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان، 2010م، ص88 .

[3]-المرجع نفسه، ص88.

- معيار الإشارية النَّسقية: حيث تكون العلامات ثابتة مثل: الدوائر، والمثلثات، والمستطيلات، وعلامات السير.
- معيار الإشارية اللَانسقية: عندما تكون العلامات غير ثابتة على عكس المعيار الأوّل كالملصقات الدعائية.
- معيار الإشارية: حيث العلاقة جوهرية بين معنى المؤشّر وشكله، كالشعارات الصغيرة التي ترسم عليها مثلا: قبعة أو مظلة، ثم تعلن على واجهات المتاجر دليلا على ما يوجد فيها من البضائع[1].

لاشك أنّ التمييز بين التواصل اللّساني والتواصل غير اللّساني أمر يساعد على تصنيف الأنساق اللّغوية، وتحديد دلالتها المقصدية ووظيفتها التواصلية الابلاغية، ولكن رولان بارث (**Roland Barthes**) في كتابه (عناصر السيميولوجيا) ذهب إلى حد عدم الفصل بين اللّغة والأنساق غير اللّغوية في التأويل الدلالي، ويرى بأنّ معاني ودلالات الأشياء لا قيمة لها إلاّ إذا ارتبطت باللّغة، وهذا ما أوضحه حين قال: « أدق وأعمق وأكمل نظام سيميولوجي ابتدعه الإنسان، إنّما هو اللّغة، وإنّ كلّ النظم الأخرى لا تستغني عن اللغة وتعتمد في أشكالها إلى كلمات فلا نكاد نفهم تلك الدائرة الحمراء بإطارها الأسود عندما نراها منتصبة على رأس الطريق دون أنّ ترد إلى أذهننا كلمة ممنوع، وهكذا فإنّ دخول اللون والحركة كان في اللغة الدلاليّة يقترن بالتوظيف اللّغوي سواء كان ذلك صراحة أو ضمنيا»[2].

وما نفهمه من هذا أنّ موضوع السيميولوجيا عند بارث أساسه اللّغة وهي الّتي تحقق البعد الدلالي في الأنساق غير اللغوية، وهكذا « تبدوا سيميولوجيا الدلالة واضحة عند **بارث (Barthes)**، لكن تقف عند حدود هذا الوضوح لا تتعداه، في حين أنّ سيميولوجيا الإبلاغ

---

[1]- ينظر:عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الأخر(مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة)، ص92 .

[2]- ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ط1، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2002م، ص125 .

(التواصل) أرحب كثيرا ممّا تبدو عليه، وذلك لأنّها تطلب معرفة الإبلاغ بصفة عامة بالإضافة إلى دلالتها » [1]. إذن، فسيميلوجيا التواصل تسعى إلى الإبلاغ والتأثير في الآخر سواء عن قصد أو غير قصد، وذلك عبر علاماتها وأماراتها وإشاراتها، حيث نجدها توظّف اللغة الرمزية أيضا من أجل خلق علم جديد وعام وشامل للتواصل البشري، قابلا لأن يطبق على مختلف الخطابات.

المبحث الثاني: التواصل التربوي وأهدافه

إنّ دراسة التّواصل من المنظور التّربوي على وجه الخصوص، من أهمّ الموضوعات العصريّة، تكمن أهميته في تطوير العلاقات الإنسانيّة في مختلف مجالات الحياة لتحقيق التقدّم الحضاري للمجتمع الإنسانيّ، "لأنّ التّربية تمثل مهمّة إنسانيّة تهدف في العادة لنمو الإنسان وتطويره، واتصال خلالها هو مجموعة متتابعة من المداخلات والتفاعلات التي يتعامل فيها الإنسان مع أخيه الإنسان لتحقيق غرض تربوي » [2].

وبهذا اقتضت الحاجة إلى دراسة العلاقة التربوية في بعدها التواصلي، وقبل أنّ نحدّد التواصل التربوي، يستحسن أن نتعرض بإيجاز إلى مفهوم التربية لغة واصطلاحا.

أ- مفهوم التربية في اللغة والاصطلاح:

ينتسب مصطلح التّربية في المعاجم العربيّة إلى مواصفات ودلالات لغوية متعدّدة، نلخصها كما يلي:

1- الزيادة والنمو: رَباَ الشيء يَربُو ربوّا، و رباءً: زاد ونما.

وأربيته: نميته، في التنزيل العزيز {يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴿٢٧٦﴾} [3].

وقوله تعالى{فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾}[4]، أي زائدة[1].

---

[1]- ينظر: محمد الرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، دار البيضاء ،1987م، ص 16.

[2]- ينظر: زياد حمدان، سيكولوجية الاتصال التربوي، دار التربية الحديثة، 2000م، ص72.

[3] السورة البقرة، الاية: 276 .

[4]- السورة الحاقة، الاية: 10.

2- نبل الإصلاح: وربيتُ الأمر، أرُبّه ربا وربابة، أصلحته ومتّنته.

ورَبَّ المعروف والصّنيعة والنعمة يربّها، ربًّا وربابا وربابةً، ورَبَّتها بمعنى غنّاها وزادها وأتَمَّها و أصلحها .

3- الاتجاه نحو الرعاية والتنشئة: قال ابن منظور: "وربّ ولده والُصّبيَّ يرُبّه ربًّا، ورَبَّبَه تربيبَا وتَربَّة، بمعنى رَبَّاه.

وفي الحديث: لك نعمة تَرُبُّها، أي تحفظها وتراعيها وتربيتّها كما يُربيّ الرجلٌ ولده.

أيضا: أحسن القيام عليه ووليه حتّى يفارق الطفوليّة، كان ابنه أو لم يكن."

4- الاتجاه نحو التعليم: الرَّبَّي منسوب إلى الرّبَّ والرَّبانيّ: الموصوف بعلم الرب.

يقول ابن الأعرابي: الرَّبانيُّ العالم المتعلّم الذي يغدو النّاس بصغار العلم قبل كبارها؛ وقال ابن الأثير: هو منسوب إلى الرّبَّ، بزيادة الألف والنون للمبالغة، وقيل هو من الرَّبّ بمعنى التربية، كانوا يُرَبُّون المتعلّمين بصغار العلوم، قبل كبارها[2].

من خلال هذه المواصفات المتضمنة لهذه المعاني اللّغويّة المعجميّة تعرفنا أنّ الأصل في التّربية هو الإصلاح، وتنطبق على الأصل سمات كثيرة تعدّ من مدلولات التربية كالتوجيه والإرشاد، والتعليم، والتدريب، والتنمية، والحفظ، والرعاية، وهذا ما تقرره معظم التعاريف الاصطلاحية على أنّ التربية **(Education)** « هي طريقة لإعداد المرء إعدادا صحيحا وصالحا ومتميزا بسلوكه الفكريّ والإنسانيّ وبقدرته على الوصول إلى مصادر المعرفة، وتوظيفها في جل مشاكله ومشاكل مجتمعه» [3].

[1]- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج10، ط1، دار الكتب العلمية، 2000م، ص372 .

[2]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، (مادة ربا)، ص 471 .

[3]-ينظر: جرجس ميشال جرجس، معجم مصطلحات التربية والتعليم، ط1، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان ، 1426هـ-م2005، ص 162.

أو هي عملية تبليغ الشيء إلى كماله، كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية حتّى تبلغ كمالها شيئا فشيئا، وتقوية القدرات وتنمية الملكات، وتهذيب السلوكيات، حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة» [1].

وعرفها **دوركهايم Émile Durkheim** : « الفعل الذي يمارسه جيل الكبار على جيل الصغار الذين لم يتم نضجهم بعد للحياة الاجتماعيّة، وذلك لكي تنمي وتثير لدى الطفل عددا معينا من الحالات الجسدية والعقلية والأخلاقية الّتي يريدها منه المجتمع السياسي والبيئة الخاصة التي أعد لها خصيصا» [2].

وعرفها آخرون بأنّها « مجموع السيرورات والأساليب الّتي تسمح للطفل البشريّ بالوصول إلى حالة الثقافة، الثقافة باعتبارها ما يميّز الإنسان عن الحيوان» [3].

وهكذا يصبح مفهوم التربية من بين المفاهيم الأكثر تعقيدًا وتنوعًا، لأنّه يختلف باختلاف وجهات النظر وباختلاف وظائفها، فالتربية للبيولوجي هي عبارة عن عملية تكيف، وبالنسبة للسيكولوجي مرادفة للتعلم، وبالنسبة للمربي والفيلسوف فقد تعبر عن وجهة النظر للمدرسة الفكرية الّتي ينتمي إليها[4]. ويرجع ذلك إلى أنّ التربية كما تعرف من أهم تنظيمات المجتمع، يشترك فيها المجتمع ككل بجميع أفراده، وجميع مؤسساته وهيئاته، فهناك النشء، وهناك أولياء الأمور، وهناك المعلمون، والإداريون، وإلى جانب هؤلاء نجد المفكرين والسياسيين والاقتصاديين والعلماء، وكل واحد من هؤلاء له اتصال مباشر أو غير مباشر بالتربية، ولذا تختلف نظرة كل واحد منهم إليها ويفسرها حسب ثقافته[5].

---

[1]–ينظر: تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 16.

[2]– ينظر: فوزية الحاج البدري، التربية بين الأصالة والمعاصرة، مفاهيمها، فلسفتها، ط1، دار الثقافة، عمان،2009م، ص28.

[3]–ينظر: أوليفي روبول، لغة التربية تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة: عمر اوكان، أفريقيا الشرق، المغرب ، 2002م، ص31.

[4]– ينظر: فوزية الحاج البدري، التربية بين الأصالة والمعاصرة، مفاهيمها، فلسفتها، ص28 .

[5]–ينظر: ابراهيم عصمت مطاوع، أصول التربية، ط7، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م، ، ص30.

واللّافت للنظر، أنّ هناك مصطلحات كثيرة مرادفة لكلمة التربية، وأخرى تؤدّي بعض معنى التربية يجدها الباحث في كتب التربية الحديثة، أو ضمن كتب التراث نذكر على سبيل المثال «الإصلاح، التأديب، التهذيب، التطهير، التزكية والتنشئة... » [1].

هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ أهمّ المصطلحات الّتي تضمنت مفاهيم تربوية بشتى تفاصيلها وأبعادها هي: التعليم، والبيداغوجيا، والديداكتيك.

•**التعليم (Enseignement)**: يعتبر التعليم رسالة إنسانيّة، يعني بتدريب الفرد منذ نعومة أظافره على التعرّف بأمور الحياة وعلى كيفيّة التصرّف إزاء الآخرين، واكتساب الخبرات والمهارات بهدف تنمية مواهبه ومداركه ومساعدته على تخطي المشاكل، وإيجاد حلول لها، وعلى الإبداع والابتكار في مجالات تخصصه ما يؤهله لاستلام المسؤوليَات القياديَة و بناء مجتمع راقٍ يسير نحو الأفضل[2].

•**الديداكتيك (Didactique)**: الديداكتيك أو فن التّعليم هو مجموعة من الوسائل والطرق الّتي تستخدم في عملية التعليم والتعلّم والمؤدّية إلى إيصال المعرفة، سواء أكانت هذه المعرفة فنَ أم لغة أم علم من العلوم، وأساليب المحاضرات والحوارات والتمثيل والنشاطات الصفيّة واللاصفيّة، والأعمال اليدويَّة والحركيّة كلّها تشكل مجالًا لمفهوم الديداكتيك في التربية والتعليم، والديداكتيكية تسهم في عملية البناء التربويّ، وملاحقة النتائج المعرفيّةً الّتي يكتسبها المتعلّم على اعتبار أنّ المعارف المدرسية في كل أشكالها هي جزء أساسي في البنيان الاجتماعي[3].

•**البيداغوجيا (Pedagogie)**: كلمة البيداغوجيا مصطلح يوناني الأصل يتكون من كلمتين، سابقة paidos وتعني الطفل ولاحقة تعني فعل التوجيه والقيادة والتنمية والتربية. وبذلك تعني البيداغوجيا لغويا: تربية الأطفال أو فن تربية الأطفال، والبيداغوجي في الفلسفات اليونانية

---

[1]– ينظر: خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، المدينة المنورة، 1420هـ، ص23–24.

[2]– جرجس ميشال جرجس، معجم المصطلحات التربية والتعليم، ص191.

[3]–المرجع نفسه، ص303.

كانت تدل على العبد الذي يسوق الطفل نحو حلقات الدرس، ويعمل على مساعدة الطفل حتى يصيرا راشدا، ويحقق ماهيته، بوصفه كائنا عاقلا» [1].

والبيداغوجيا (Pedagogue)، هي جملة الأنشطة التعليمية التعلُمية الّتي تتم ممارستها من قبل المعلمين والمتعلمين. والبيداغوجيا نظرية تربوية علمية عامة، ذات بعد نظري وتطبيقي وتوجيهي، لها علاقة بالمعلم والمتعلم، يؤثر في المدرسة. وقد تعني أيضا تلك النظرية التربوية التي تهتم بالمتعلّم في مختلف جوانبه السلوكية والتعليمة والتثقيفية، وتقدّم مجموعة من النّظريات التي تساعد المتعلم في تعلمه وتكونه وتأطيره، ومن ثم فالبيداغوجيا متعددة الاختصاص[2].

وعلى ضوء ما تقدّم ذكره نجد أنّ مهمّة التّربية إنسانيّة اجتماعيّة، لأنّها تحرص كلّ الحرص على سموّ جوانب حياة الإنسان كلّها، ولا يمكن أن يتحقق هذا الفعل المنشود إلّا من خلال الاتصال والتواصل.

ب- مفهوم التواصل التربوي:

إنّ المقصود بالتّواصل التربوي هو « كلّ ما تقوم عليه العملية التربوية من التواصلات والتبادلات والتفاعلات مع بعضها البعض في جملة من العلاقات وبطرق مختلفة، لذلك توظف في الحقل الاجتماعي حسب حاجاته التّعليمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية» [3].

ولعلّ التواصل التربوي « يختص بتفعيل النشاط الاتصالي لغرض إنجاز موقف تعليمي تعلُمي، يتسم بقدر عالٍ من التفاعل بين المتعلّم ومعلمه أو بين المتعلّم و زملائه، لتحقيق أهداف التعلم حصرا، ويعني هذا النوع من الاتصال بما يتعلق بصياغة المواقف التعليمية، وإجراء الاختبارات، واختيار أو تصميم وتشغيل منظومات الوسائل التعليمية المتاحة، وتنظيم

---

[1]- مختار بروال، التواصل البداغوجي ومعيقاته: مقاربة تحليلية من منظور العقد البيداغوجي الحديث، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية-جامعة الوادي، العدد الخامس-فيفري 2014م، ص89.

[2]- ينظر: جميل حمداوي، نحو نظرية تربوية جديدة(البيداغوجيا الابداعية)، ط1 ، مكتبة المثقف، م2015، ص8-9 .

[3]-ينظر: عسوس محمد، مقاربة التعليم والتعلم بالكفاءات، ط الأولى، تيزيوزو: دار الأمل للطباعة والنشر، ص73.

البرامج التدريبية المختلفة، إثراء المناهج الدراسية بالإفادة ممّا تتيحه قنوات الاتصال التربوي، من نماذج نظم تعليمية واستراتجيات حديثة، بما يحقق الاتصال التفاعلي والتعلم الفعال، الذي يعدّ الطريق الصحيح نحو اكتساب مهارات التفكير الابتكاري بوصفه مفتاح التعليم المستقبلي، ويحقق في نتائجه النهائية أهداف التربية بصفة عامة» [1]. ويتضمن التواصل بمفهومه التربوي كلّ أشكال وسيرورات ومظاهر العلاقة التواصلية بين المعلم والمتعلّم، ويشمل نمط الإرسال اللفظي وغير اللفظي بين المدّرس أو من يقوم مقامه، والمتعلم أو بين المتعلمين أنفسهم، كما يتضمن الوسائل التواصلية والمجال الزماني، وهو يهدف إلى تبادل أو تبليغ ونقل الخبرات والمعارف والتجارب والمواقف، مثلما يهدف إلى التأثير على سلوك المتلقي» [2].

يبدو جليًا من خلال هذه المفاهيم الّتي أوردناها أنّ الحديث عن التواصل التربوي إنّما هو الحديث عن الاتصال التّعليمي في المجال التربوي، وبالتّالي فإنّ العلاقة بين المعلم والمتعلّم علاقة تفاعلية تبادلية تدعمها وسائل وأساليب متنوعة في سياق معين وفقا لما تقتضيه العملية التّربوية كهدف للتعليم من خلال العلاقة التبادلية بين الاتصال والتعليم حيث "أكّد الخبراء بأنّها علاقة ايجابية خصبة، فالاتصال يتواجد في الوسط التربوي ويؤدّي دوره في تهيئة البرامج التعليمية، وفي استخدام الوسائل الاتصالية في عملية التعليم المدرسي والتعليم خارج المدرسة، بحيث يتاح للأفراد إمكانية تجديد معارفهم ومهاراتهم، والتربية أوسع وأشمل من التعليم، فالتعليم نشاط مخطط يضبط ويعالج مجموعة من النشاطات الّتي تؤدّي إلى تغيير سلوك المتعلم في الاتجاه المرغوب فيه، أما التربية فهي عملية مخططة ترمي إلى مساعدة الفرد على النمو السوي المتكامل من النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية، ليصبح قادرا على التكيف بما يحيط به، ويحمل خبرات جديدة"[3].

---

[1]–ينظر: حارث عبود، نرجس حمدي، الاتصال التربوي، ط 1، دار وائل، عمان، 2008م، ص68.

[2]– ينظر:العربي فرحاتي، أنماط التفاعل وعلاقات التواصل في جماعة القسم الدراسي وطرق قياسها، دراسة ميدانية لدروس اللغة في المدرسة الاساسية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص112.

[3]–آمال عميرات، الاتصال الاجتماعي(العمومي)، 2014م، ص96.

وعلى وجه الإجمال، فالتواصل التربوي بما فيه من تكاليف وتقنيات وأساليب ووسائل بمختلف أنواعها، وما يثيره من تفاعلات وتبادلات تواصلية، وما يحدثه من تعديلات وتغيرات سلوكية، يرتكز على جملة من العناصر تتضافر كلّها من أجل تحقيق أهداف معيّنة، وعلى إثر ذلك وضحت الدّراسات في هذا الموضوع على أنّ تصميم التواصل التربوي في ضوء مختلف المقاربات يأخذ من حيث الشكل والمضمون والوظيفة الصورة التالية:

المرسل هو المعلم الوسيط أو المبدع بمرجعياته الفكرية والعلمية والخبرة التدريسية ووضعياته الاجتماعية و قيمه ومواقفه وعلاقاته مع الآخرين وكفاءته الاتصالية وأهدافه وتموضوعاته، ينتج الرسالة بوصفها مضمون تعليمي في ضوء شروط التفاهم والمشاركة والحوار مع استحضار المتعلّم بمستواه وديناميته، وتكون ذات مضمون معرفي ومقاييس علمية أكاديمية محددة، وذات مصداقية ومشروعية، يرسلها في خطة منهجية بيداغوجية هادفة وبواسطة قناة لغوية وإيمائية وايقونية للمتلقي الذي يستقبلها بذاتيته وقدراته وخصوصياته المعرفية والوجدانية، بغرض استحداث أثر محدد وإثارة تغذية راجعة ذاتية تمكنه من معرفة مواطن القوة والضعف في تصميم الاتصال واصطلاحه وتطويره لاستحداث التفاعل المنتج للتغيير والأثر المطلوب كمخرجات تعليمية تحقق أعلى نسبة في سلم الأهداف التعليمية الإجرائية والعامة[1]، ويمكن أنّ نمثل هذا بالشكل الأتي:

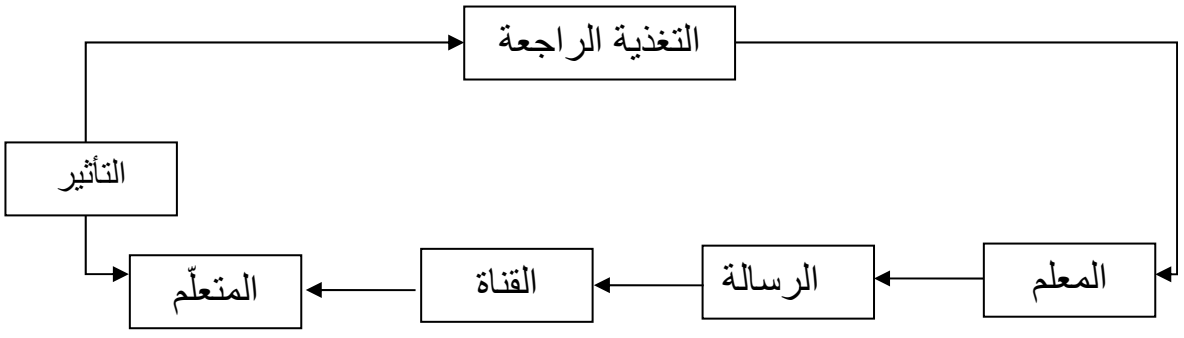

انطلاقًا من هذا التصميم نتوصل إلى أهمّ الأسس أو العناصر التي يتوقف عليها التواصل التربوي وتتلخص في المعلم والمتعلّم والرسالة التربوية.

[1]– العربي فرحاتي، أنماط التفاعل وعلاقات التواصل في جماعة القسم الدراسي وطرق قياسها، ص116.

1- المعلم: هو الذي يوجه المتعلم ويرشده ويقدم له المادة التعليمية، لتحقيق الأهداف التربوية الّتي سطرها المجتمع، وبدوره يترجمها إلى سلوك عملي، وهذا يفرض عليه إكساب المتعلم مجموعة من الاتجاهات الاجتماعية والنفسية والفكرية والخلقية والبدنية، وتنمية مواهبه وقدراته وميوله وإكسابه طريقة عمل ومنهجية التفكير في الحياة، التي يفترض أن تكون منهجية موضوعية أساسها التقنين، لأنّها تشجع على زيادة المردود التربوي والإبداعي الفني[1].

2- المتعلّم: هو المتلقي أو المرسل إليه، أو المستهدف للعملية الاتصالية التربوية.

3- الرسالة التربوية: الرسالة الاتصالية من الزاوية التربوية بعناصرها المختلفة، اللغة، والأسلوب، والأهداف، والمحتوى تنظم في شكل المنهاج، يقوم بها المعلم ويسعى إلى توجيهها نحو المتعلم، مضافا إليها ما يساعده على تحقيق أهدافها، من استراتجيات ووسائل وطرائق، ومن هنا فإنّ الإلمام الكافي بما يقتضي توفره لإعداد الرسالة التربوية هو ضرورة تعليمية واتصالية في الوقت ذاته، لذلك لابد على المعلم الإحاطة بأبعادها، وإتقان مهاراتها[2].

ج- أهداف التواصل التربوي:

تنبثق من البعدين التواصلي والتربوي أهداف معرفية ووجدانية ونفس حركية، فكلّ هدف تربوي هو شكلا ومنهجا من مناهج التربية والتعليم، إذ غالبا ما يعرف الهدف التربوي على أنّه " النتيجة النهائية لتعليم ناجح وفعال ، وأنّه ناتج تدريسي ينبغي تحققه بعد فترة دراسية معيّنة، وهناك من يعرّفه على أنّه وصف لتغير سلوكي متوقع حدوثه في شخصية المتعلم بعد مروره بخبرة تعليمية، ويعرف الهدف التربوي بأنّه التغيرات الّتي نتوقع حدوثها في شخصيات المتعلمين "[3]، وهذا ما انتبه إليه مجموعة من النفسيين المهتمين بالاختبارات التحصيلية برئاسة **بنجامين بلوم (Benjamin bloom)**، وقد قامت بتحديد ثلاثة مجالات للأهداف التعليمية التربوية هي:

---

[1]-ينظر: عسوس محمد، مقاربة التعليم والتعلم بالكفاءات، ص73.

[2]- ينظر: حارث عبود، نرجس حمدي، الاتصال التربوي، ص222.

[3]- محمد محمود ساري حمادنة، خالد حسين محمد عبيدات، مفاهيم التدريس في العصر الحديث -طرائق أساليب استراتجيات، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، 2012م، ص89.

1. **التواصل المعرفي:** ويمكن أنّ يسمى التواصل العقلي أو التواصل الإدراكي، ويشمل الأهداف الّتي تؤكّد على نواتج التعلم الفكرية المتمثّلة في المعارف والمعلومات ومهارات التفكير بأنواعه المختلفة. ويتضمن التواصل المعرفي ستة مستويات متدرجة للتعلم تبدأ بالمعرفة (أو التذكر) ثم الفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم.

ويتضمن كل مستوى أنواع السلوك الموجودة في المستويات الّتي تسبقه، بمعنى أنّ مستوى الفهم يتضمن أنواع السلوك في مستوى التذكر، ويتضمن مستوى التطبيق أنواع السلوك في كل من مستوى التذكر والفهم وهكذا. لذلك فإنّ هذه المستويات المتدرجة يمكن تمثيلها في شكل تبدأ درجاته بالمعرفة، وتنتهي صعودا بالتقويم لبيان أن المتعلم لكي يصل إلى الفهم ينبغي أنّ يمر بمستوى المعرفة، ولكي يصل إلى مستوى التطبيق ينبغي أن يمر بكل مستوى من مستوى المعرفة والفهم وهكذا[1].

- هرم بلوم**bloom** [2]

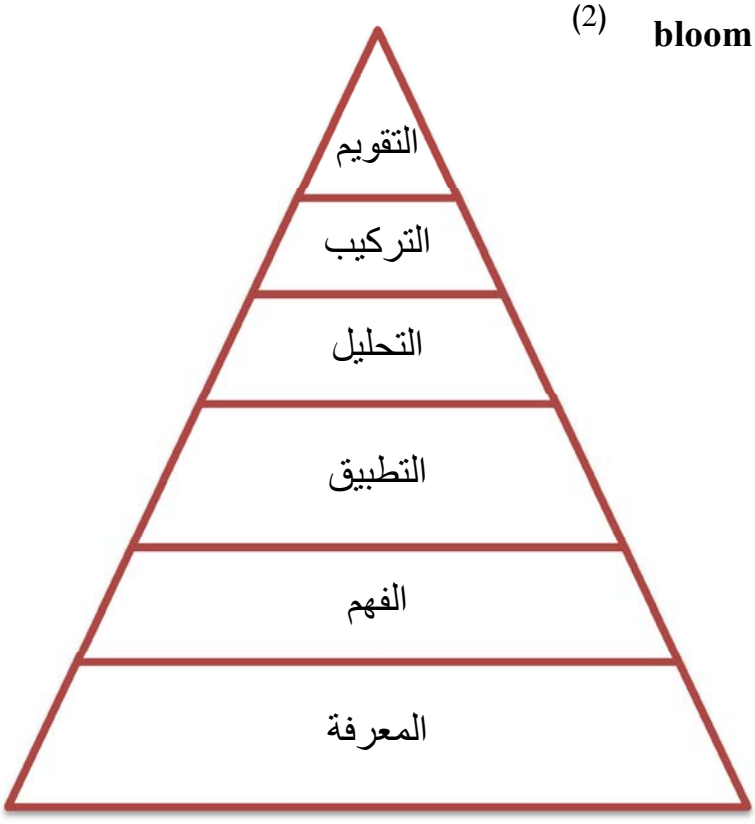

[1]– ينظر: عفت مصطفى الطنطاوي، التدريس الفعال (تخطيطه– مهاراته –استراتيجيته)، دار المسيرة للطباعة والنشر ، عمان، ص21.

[2]–محمد محمود ساري حمادنة، خالد حسين محمد عبيدات، مفاهيم التدريس في العصر الحديث –طرائق أساليب استراتجيات ، ص94.

المستوى	الأهداف الإجرائية / السلوكية.
المعرفة	يعرف – يصف – يقول – يحدد – يتعرف – يعين – يرسم – يشرح – يعبر.
الفهم / الإدراك	يستخدم – يربط – يبرهن – يغير – ينظم – يوضح – يترجم – يستنتج – يلخص.
التطبيق	يكيف – ينتقي – يحسب – يصنع – يقارن – يبني – يهيئ – يخمن – يحصل.
التحليل	يراقب – يحلل – يشتق – يتأكد – يشخص – يبرر – يعلل – يشير – يوسع.
التركيب	يركب – يرسم – يختبر – يناقش – يدون – يدقق – يبحث – ينشىء – يخطط – يلخص.
التقويم	يحكم – يكتشف – يقرر – يقدر – ينتقد – يرى رأيا – يخالف – يدعم.

(1)

والملاحظ في هذا الصدد أنّ التواصل المعرفي يتضمن معلومات ومعارف ضرورية كمنطلقات أساسية لجعل المتعلّم يقوم بسلوكات وأعمال مختلفة، تتجلى في الفهم وإدراك العلاقات الموجودة بين هذه المادة التعليمية، وعملية الإدراك نفسها تتضمن تطبيقات عملية لتحليل المعطيات الدلالية والشكلية ؛ أي اكتشاف العناصر التنظيمية ثم تركيبها، وهو ما يسمح بإصدار أحكام تقييميه ونهائية عليها.

2. **التواصل الوجداني:** يتصل هذا المجال بالإحساس والمشاعر والانفعال، ويعدّ من أهمّ موجهات السلوك الإنساني، ويحقق الأهداف التالية: الاتجاهات، والميول، والاهتمامات، والقيم، والرأي، وأوجه التقدير[1].

[1]–ينظر: خالد لبصيص، التدريس العلمي والفني الشفاف بمقاربة الكفاءات والأهداف، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ص72–74.

وصنّف كرثول **(krathwol)** التواصل الوجداني إلى خمسة مستويات، تبدأ بتقبّل المتعلم للمثيرات المختلفة، وتندرج لتعكس استجابته لهذه المثيرات، ثم إعطاء المتعلم قيمة لهذه المثيرات يليها نظام قيمي يتصف بالاتساق الداخلي، ممّا يسهم في ضبط سلوكه وتوجيهه إلى تكوين أسلوب مميز له في الحياة.

ويتضمن كل مستوى من المستويات الخمسة أنواع السلوك الموجودة في المستوى الذي يسبقه، لذلك فإنّه يمكن تمثيل مستويات المجال الوجداني في شكل سلم قيمي تبدأ درجاته بالاستقبال، وتنتهي صعودا بالتمييز[2].

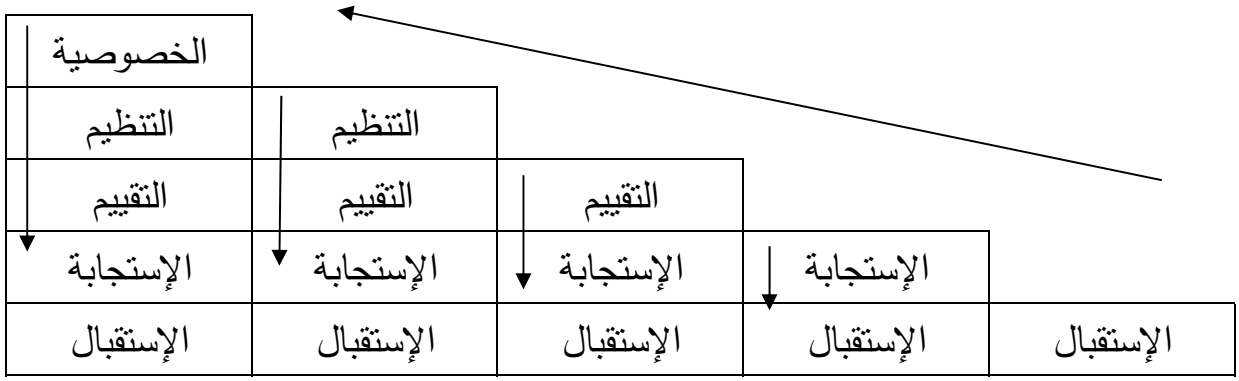

يوضح مستويات التواصل الوجداني الجدول التّالي[3]:

المستوى	الأهداف الإجرائية/السلوكية
الاستقبال	يسال – يتابع – يصغي – ينتبه – يشارك – يختار – يهتم – يظهر – يبين – يتوقع.
الاستجابة	يستجيب – يتقبل – يساعد – يتمثل – يناقش – ينجز – يوافق – يتطوع – يشارك بفعالية – يوافق – يرحب.

[1]–ينظر: محمد السيد علي، موسوعة المصطلحات التربوية، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2011م–1432هـ، ص39.

[2]– ينظر: عفت مصطفى الطناوي، التدريس الفعال، ص 26–27.

[3]– ينظر: خالد لبصيص، التدريس العلمي والفني الشفاف بمقاربة الكفاءات والأهداف، ص77–80.

التقييم	يصف – يساعد – يبادر – يختار – يشجع – يقترح – يستدل – يناقش – يثمن الأشياء – ينتقد.
التنظيم	ينظم – يتقبل – يدافع – يقارن – يميز – يفسر – يغير – يركب – يلتزم – يصيغ – يشكل.
التميز	يعيد النظر – يقترح مجالات البحث – يساعد غيره للوصول الى المطلوب – يبتكر طرق و الأساليب والوسائل للضرورة .

ومن الطبيعي في هذا المجال أن تتجه عملية التواصل الوجداني من استقبال المثيرات نحو الرغبة في الاستجابة، وحتّى يتحقق هذا وجب الانتباه والتركيز والاهتمام بالرسالة التربوية معتمدا في ذلك على الحالة الانفعالية الايجابية، لأنّها تساعد المتعلّم على تقييم ذاته إزاء ما يحيط به، وتعزز قدرته على تنظيم اتجاهاته ورغباته وبالتالي تمييز سلوكاته وأثارها التربوية .

3. **التواصل الحس–حركي:** يشتمل على المهارات اليدوية واللفظية وغير اللفظية المختلفة، بما في ذلك القراءة، والكتابة، والكلام، والمناقشات، والرسم، والتخطيط، والتركيب، وتشغليها واستعمال الأجهزة والأدوات المختلفة[1]، حتّى يتمكّن المتعلّم بواسطتها انجاز مهارات وظيفية متخصصة أو سلوك حركي ظاهري عام، يتضمن: المهارة، والكفاية، والكفاءة، والأداء، والفعالية[2].

ويندرج ضمن هذا المجال فئات رئيسة تعمل على القيام بالأداء التواصلي الذي يتطلب التآزر الحركي (الجسمي) والنفسي والعصبي، وهذه الفئات هي:

- **حركات الجسم الكبيرة:** وتتطلب العين والأذن.
- **الحركات ذات التآزر الدقيق:** مثل حركة اليد والأصابع، تآزر اليد مع العين والأذن، أو تعاون اليد مع العين مع القدم.

---

[1]–ينظر: توفيق أحمد مرعي، محمد محمود الحيلة، طرائق التدريس العامة، ط5، عمان: دار المسيرة، 2011–1432هـ، ص343.

[2]–ينظر: محمد السيد علي، موسوعة المصطلحات التربوية، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان،2011 م – 1432هـ، ص38.

• **وسائل التفاهم غير اللفظية:** مثل تعبيرات الوجه، التلميحات، حركات الجسم.

• **السلوك اللغوي:** ترتبط أهداف السلوك بإنتاج الصوت مثلا، أو تكوين صوت الكلمة، أو تآزر الصوت مع الملامح[1].

وفي هذا السيّاق صنف سيمبسون **(Simpson)** التواصل الحس–حركي إلى خمسة مستويات حسب الجدول الأتي[2]:

المستوى	الأهداف الإجرائية / السلوكية
الإدراك الحسي	يحدد – يفرق – يربط – يتعرف – يميز – يتبين.
الميل	يظهر – يعرف – يحرك – يتطوع – يبرز – يشرح – يعلن عن رغبته في الكتابة.
الاستجابة الموجهة	يترجم – ينظم – يضبط – نسق – يتحكم – يبين ويظهر مهاراته وبراعته في تأدية عمله.
التكيف	يكيف – يغير – يتصرف – يحسن.
الإبداع	يبتكر – يصمم – يستحدث – يطور – ينشىء نماذج – يبدع في التعبير والإنشاء.

إنّ هذا المجال – الحس حركي – يرتكز على جملة من الإجراءات التطبيقية لتحقيق الأهداف التربوية، إذ بواسطتها يدرك المتعلّم العالم المحسوس، ويقرّر اتجاهاته وميوله الّتي من شأنها أن تأهله حتّى يستجيب لمنبهات الرسالة التربوية على أساس التكيف والإبداع في العالم الواقعي ممّا يحدّد كفاءته ومهاراته العقلية.

---

[1]– ينظر: رجاء محمود ابوعلام، التعلم أسسه وتطبيقاته، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ، 2010–1430، ص92–94.

[2]– ينظر: خالد لبصيص، التدريس العلمي والفني الشفاف بمقاربة الكفاءات والأهداف، ص80–83 .

المبحث الثالث: مفهوم الخطاب:

لم ينظر الباحثون إلى الخطاب نظرة كلام منطوق أو مكتوب فقط، بل نظروا إليه من خلال علاقته بالاستعمال اللغوي على أنّه بنية لغوية تحقق وظيفة تواصلية وحاجة قصدية بين مرسل ومتلق نتيجة للمواقف والظروف الاجتماعية، وبهذه الصورة يكون الخطاب قد فتح أبوابًا جديدة أمام الدّراسات اللّغوية والنّقدية في تحليل النصوص الأدبية والفكرية، ممّا أدى إلى توسيع دائرة استخدامه في العديد من مجالات المعرفة، ومن هذا المنظور« برز في كثير من الدّراسات اللّسانية والفلسفية والأدبية، وجعلته ركنا رئيسيا ضمن مقرراتها، واتخذته عناوين لفروع معرفية مختلفة، وغدا كل مؤلف يتناول اللغة الإنسانية من جانبها التواصلي لابد أن يجعل أساسه الخطاب، وهدفه التحليل»[1].

وقبل أن نتناول بالتحليل موضوع الخطاب ينبغي أن نتعرف على مفهومه اللّغوي والاصطلاحي في الدراسات اللّغوية و النقدية الحديثة.

أ- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب:

أولا- المفهوم اللغوي:

بالرجوع إلى لسان العرب، تقودنا مادّة (خ.ط.ب) إلى « الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان، والمخاطبة صيغة المبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في الفعل ذي شأن. قال ليث: إن الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلا على وجه واحد، هو أن الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر» [2].

---

[1]- إكرام بن سلامة، الخلقية اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في كتاب الموشح للمرزباني-قراءة تداولية-، مجلة الأثر، عدد10، الجزائر 2011م، ص79.

[2]- ابن منظور لسان العرب، المجلد الأول ، مادة (خطب)، ص361.

وفي الصحاح للجوهري (ت400هـ) بمعنى« خطب، الخَطْب: سبب الأمر، نقول: ما خطبك. وخطبت على المنبر خطبةَ بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وخطِبت المرأة خِطبةً بالكسر، واختطب أيضا فيهما. والخطيب: الخاطب، والخطيبي: الخطبة» [1].

وعند الفيروزآبادي في القاموس المحيط « الخطب الشأن، والأمر الأصغر أو أعظم، ج خطوب. وخطب المرأة خطبًا وخطبة وخطيبي، بكسرهما، واختطبها، وهي خطبه وخطبته وخطيباه وخطيبته، وهو خطبها، بكسرهن وهو يضم الثاني. ج: أخطاب... وفصل الخطاب: الحكم بالبينة، أو اليمين، أو الفقه القضاء، أو النطق بأما بعد» [2].

من خلال القراءة الأولية للمعاجم العربية فإنّ كلمة الخطاب تدل على معنى الكلام أو الحديث في وضعية تواصلية – مشافهة أو كتابة – ذات دلالة بين المتكلّم والمخاطب، إذن الخطاب مرادف للكلام ويقتضي متكلما وسامعا ورسالة، ولعلّ هذا ما أشار إليه (أرسطو) من قبل في معرض تحديده لعناصر بناء الخطاب إلى أطراف ثلاثة المكونة له والمساهمة في فعاليته، وهي: المرسل (الخطيب)، والمتلقي (المستمع) والرسالة (الخطبة)[3].

وبالرجوع إلى الثقافة الغربية، نجد اللفظ الفرنسي (Discoures) المأخوذ عن اللاتينية (Discursus) و يعني الركض هنا و هناك أو الجري هنا و هناك، و لكنه ليس المعنى الأساسي لما هو مصطلح عليه بالخطاب، إلاّ أنّ الجذر اللغوي اللاتيني أصبح يحمل معنى الخطاب أو ما اشتق من معان منذ القرن السابع عشر، فقد دلّ المصطلح على معنى طريق صدفي، ثم المحادثة والتواصل، كما دلّ على تشكيل صيغة معنوية سواء أكانت شفهية أو مكتوبة عن فكرة ما» [4].

---

[1]– ابو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ص 327.

[2]– محمد الدين بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، ص 478.

[3]–ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ط2، افريقيا الشرق، 2002م، ص22.

[4]–ينظر: مفلاح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، دار الحلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص11.

انطلاقا من هذه الأصول الّتي حدّدت المفهوم اللّغوي للخطاب في اللغتين العربية والأجنبية، فهو ذلك النشاط اللغوي سواء كان منطوقاً أو مكتوبًا، وهو نشاط تواصلي في أصله يحدث نتيجة تفاعل بين متكلم ومخاطب يستوجب التأثير ويستدعي المشاركة قصد تحقيق الفهم والإفهام.

ثانيا- المفهوم الاصطلاحي:

فرضت علينا النظرة المستفيضة والتراثية لمفهوم الخطاب الرجوع إلى خلفيات الثقافة الدينيّة والعربيّة الّتي انطلق منها مضمار مصطلح الخطاب، وأوّل اتجاه يطلعنا في ذلك هو تعدّد لفظ (الخطاب) في القرآن الكريم بصيغ متنوعة:

صيغة الفعل في **قوله تبارك وتعالى:**﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] استنادا إلى قول الحق تبارك وتعالى يقول الزمخشري (ت538هـ) في تفسير فصل الخطاب «البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه... ويجوز أنّ يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نذر ولا هذر» [2]، ووصف الرازي (ت606 هـ) فصل الخطاب « أردف ببيان كماله حاله في النطق واللفظ والعبارة فقال: وفصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام، وهذا المعنى عام يتناول جميع الأقسام» [3].

وقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[4]، وأما في تفسير قوله تعالى: **(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا)** يقول

---

[1]-سورة ص، الآية 20.

[2]-الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج:23، ص921.

[3]-فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير، دار احياء التراث العربي،ج26، ط1، بيروت، 1999م، ص 188.

[4]- سورة الفرقان، الآية: 63.

الطبري: « وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من قول أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب» [1].

وبصيغة المصدر في مثل قوله تعالى:﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ۝٣٧﴾[2]، وفي هذه الآية يرشد النص القرآني بتفسير الطبري: "(الرحمن) لا يقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة، الّا من أذن له » [3]. وهو ما وقف عنده الكشاف بمعنى «ليس في أيديهم ممّا يخاطب الله في أمر الثواب والعقاب » [4].

يتضح من التفاسير السابقة للآيات القرآنية، أنّ لفظ (الخطاب) يفيد المعاني التالية:

- لغة التخاطب أو لغة التفاهم.
- القول أو الحديث.
- التحاور والتواصل.

وهي معان كلّها تدور في حقل الكلام، فهذا يعني أنّ الدلالة القرآنية أسهمت كثيرا في توضيح المعنى الأصلي، وبالتالي تعدّ الدلالة اللغوية أكبر مستفيد من التفاسير القرآنية في تحديد مفهوم الخطاب.

أمّا بخصوص الاتجاه الثاني فتبلور عند الأصوليين من خلال استنباطهم للأحكام والمقاصد الشرعية، « انطلاقا من أنّ الخطاب هو الأرضية الّتي استقامت أعمالهم عليها، بل شكل محور بحثهم، فقد تردّد كثير من اشتقاقات مادّة (خطب) في مواضع متعدّدة

---

[1]– الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج5، تحقيق : بشار بن عواد وعصام فرس الحرستاني، ط1 ،1994م، ص483 .

[2]– سورة نبأ، الآية 37.

[3]–المرجع السابق، 447.

[4]–الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص1174.

عندهم، ومن أبين الأدلّة على ذلك إيرادهم لاسم الفاعل (مُخَاطِب) ولاسم المفعول (مُخَاطَب)، بوصفهما طرفي الخطاب» [1].

وقد تحدث (الأصوليون) فعلا عنه في كثير من مؤلفاتهم فتعدّدت المفاهيم وتباينت سبلها، فقد ذهب **الكوفي** (ت1094هـ) إلى أنّ الخطاب: « اللفظ المتواضع عليه المقصود إفهام من هو متهيئ لفهمه"، احترازا باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة، والمتواضع عليه عن الألفاظ المهملة، وبالمقصود بها الإفهام "عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنّه لا يسمى خطابا. وبقوله: لمن هو متهيئ لفهمه. عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم، والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع وعلى مدلولها القائم بالنفس، فالخطاب إما الكلام اللفظي أو كلام نفسي الموجه نحو الغير للإفهام»[2].

ودعا **التهانوي** (ت1158هـ) إلى أنّه « توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثم نقل إلى الكلام الموجّه نحو الغير للإفهام» [3].

ويقول طه عبد الرحمن« كل منطوق به موجّه نحو الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا» [4].

تتفق معظم التعاريف على أنّ العلاقة بين المتخاطبين تقوم على أساس الفهم والإفهام، لأنّها تقتضي وجود قصد التواصل من قبل المتكلّم مع قصد الانتباه واليقظة والتركيز من قبل المتلقي ولولا ذلك لن يتمكنا من تحقيق التفاعل الكلامي أو الخطابي، وهذا ما نقف عليه

---

[1]–ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2004م، ص36.

[2]–ينظر: الكوفي، الكليات –معجم المصطلحات والفروق اللغوية–، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1998م، ص419.

[3]–ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق:علي دحروج،ج1، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان، 1996م، ص 794.

[4]–ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م، ص215.

عند **الآمدي** (ت631هـ) في تعريف الخطاب بقوله :« اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه» [1].

فالإبانة والإفهام صفة ملازمة للخطاب وسمة من سمات التحاور والتواصل، ولهذه الأهمّية نجد الكثير ممّن تحدّثوا عن هذه الصفة في تعريفهم للخطاب، وقد أشار إلى هذا الأمر الجاحظ (ت255هـ) حين تعرض لمفهوم البيان: « ومدار الأمر والغاية الّتي يجري إليها القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع» [2].

وللكلام في نظر الجاحظ وظيفتان اثنتان هما:

- الوظيفة الخطابية وما يتصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة.
- وظيفة الفهم والإفهام، إذ التواصل لا يتم إلا من وجه الإفهام والتفهم[3].

وبهذا يأخذ الخطاب بعدا تواصليا في مضمونه، وأنّ الوسيلة الّتي تعمل على تحققه هي اللّغة، لذا لا يمكن اعتبار أشكال التواصل الأخرى خطابات، لعدم تحقق الشرط اللغوي فيها، كما لا يمكن تصور قيام علاقة من هذا القبيل اعتمادا على الوسائل السيميائية الأخرى من الإشارات والرموز والعلامات ... أي أنّ كل خطاب هو حدث لغوي قبل كل شيء، من أجل ذلك عمد الأصوليون في أثناء بحثهم عن طرق توظيف الخطاب الشرعي إلى مزج بين الخطاب والكلام واعتبارهما يدلان على مقصود واحد[4].

---

[1]– الأمدي، الأحكام في أصول الأحكام،ج1، تعليق:عبد الرزاق عفيفي، ط1،دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، 2003م، ص132 .

[2]– الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003م–1424هـ، ص60 .

[3]– ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ط1، علم الكتب الحديث، الأردن، 2012 م، ص49.

[4]– ينظر: لطفي فكري محمد الجودى، جماليات الخطاب في النص القرآني، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة: ، 2014م، ص75.

بعد استعراضنا لمفهوم الخطاب نستطيع القول إنّ علماء الأصول قد اتسعت نظرتهم وتشعبت، وهذا بحكم المكانة الّتي يحتلها في نسق الشريعة الإسلامية.

أما الخطاب في التراث الغربي فجاء كما هو معلوم من منطلقات فلسفية، وهي منطلقات دفعت العديد من الباحثين في مختلف مجالات المعرفة إلى التوجهات البحثية تخطت أوجا من المفاهيم والنّظريات الفلسفية، وفتحت آفاقًا جديدة في الدّراسات اللغويّة والنقدية لتحليل مختلف الخطابات حتّى أصبح مصطلحا يواكب مسار النقاد المحدثين الغربيين والعرب، فألفوا عدّة كتب ممّا هيأ لاستحداث دلالاته واكتشاف أنواعه وأشكاله وطرق تحليله.

والى جانب الاهتمامات المتعدّدة، فإنّ مصطلح الخطاب اكتسب المفاهيم التالية:

يتلخص مفهوم الخطاب عند **هاريس (Harris)** في ذلك « الملفوظ الطويل أو هو متتالية من الجمل تتكون من مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة منهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض».

وقد استدل **هاريس (Harris)**على هذا من خلال النظرية التوزيعية حيث "قدم تحديده للخطاب من تعريف بلومفيد للجملة عبر تأكيده على وجود خطاب رهينا بنظام متتالية من الجمل، وهي مجموعة من الجمل المتماسكة التي تقدم نصا متكاملا"[1].

ويرى **اميل بنفيست(E.Benveniste)** بأنّه :

"Toute énonciation supposant un locuteur et un auditeur, et chez le premier l'intention d'influencer l'autre en quelque manière ."

"كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، ويحاول الأوّل التأثير على الآخر بشكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل"[2]، ويرتكز الخطاب عند **(بنفيست)** على مبدأ

---

(1)–ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ط3، الدار البيضاء: المركز الثقافي، 1997م، ص17.

(2). Emile Benveniste , problèmes de linguistique générale , Tome 1 , édition Gallimard , paris , 1974 , p 241.

التواصل، وانطلاقا من هذا المفهوم "يوافق هاريس في كون الجملة عنصرا ملفوظا من الخطاب ويخالفه في كونه يشتغل في التواصل"[1].

ويتفق **جيرو فري** ليتش مع زميله **مايكل شورت** في "أنّ الخطاب هو تواصل لغوي يرى كاتصال يتم بين المتحدث والمستمع، والذي يحدّد شكله وتكوينه هدفه الاجتماعي"[2].

ويورد **دوبوا(Jean Dubois)** في معجمه " اللّغة الّتي يسيطر عليها المتكلم في حالة الاستعمال، ليكون بذلك مرادف للكلام، وهو أيضا وحدة تساوي أو تفوق الجملة، مكَوَّن من متتالية تشكل رسالة ذات بداية ونهاية، وتشتغل اللغة فيه وسيلة التواصل"[3].

وهناك من يصفه على أنّه " الصورة الأوّلية للنظام الذي تتجلى فيه اللغة الإنسانية، في حين يتم التواصل(المنطوق /المكتوب) بين الكائنات البشرية، فإنّ ذلك يتجلى في شكل خطاب، ولأنّ التواصل البشري عمل اجتماعي، فإنّ الخطاب يعدّ في الوقت ذاته الوحدة الّتي يتحقق بها النشاط اللغوي بوصفه نشاطا اجتماعيا، تواصليا، فالخطاب إذن وحدة تواصلية أي وحدة ينظم فيها التواصل اللغوي"[4].

وقد تناول معجم **المصطلحات اللغوية** وأوضح بأنّ الخطاب: "(الكلام) المنطوق خاصة عندما يتجاوز الجملة الواحدة طولا، وقد يطلق المصطلح على الكلام المكتوب أحيانا وعلى الحوار أحيانا أخرى"[5] و من هذا التعريف نجد التركيز على ملفوظ، وبالتّالي أهمل الوظيفة التواصلية للخطاب.

---

(1)– ينظر:أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ط1 ،جدار للكتاب العالمي–عالم الكتب الحديث ، عمان –الأردن، 2008م، ص 2.

(2)– ينظر: ساراميلز، مفهوم الخطاب في الدّراسات الأدبية واللّغوية المعاصرة، ترجمة:عصام خلف كامل، تحقيق: زينب محمد أمين، دار فرحة، ص10 .

(3)-Jean Dubois et autre , Dictionnaire de Linuistique-Larosse- , p150.

(4)–ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي –دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ط1، مصر: دار النشر للجامعات، 2005م، ص39.

(5)–ينظر: رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللّغوية، ط1، دار العلم للملايين، 1990م، ص153.

وقد رآه **ميشال فوكو (Michel Foucault)** "هو مصطلح لساني يتميز عن النص وكلام والكتابة وغيرها يشكله كلّ إنتاج ذهني سواء كان نثرا أو شعرا منطوقا أو مكتوبا فرديا أو جماعيا ذاتيا أو مؤسسيا، والخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها ويحمل معناها أو يخيل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما"[1].

ويذهب **ميخائيل باختين (Mikhaïl Bakhtine)** في تحديد مفهوم الخطاب بأنّه:

"le discoure rapporté, c'est le discours dans le discours, l'énonciation dans l'énonciation, mais c'est, en même temps, un discours sur le discours, une énonciation sur l'énonciation.

"خطاب في خطاب، وتلفظ في تلفظ، لكنه في الوقت ذاته خطاب عن خطاب وتلفظ عن تلفظ"[2]، يفسر **باختين** خطاب بالخطاب نفسه، وأنّ الخطاب الواحد قد يكون شاملا لعدة خطابات، وكأنّه ينفي عن الخطاب التفرد والتجرد، فهو دائم الارتباط بالعلاقات الخارجية، وبالمجتمع عامة[3].

أما **سعيد يقطين** في تحديد الخطاب السردي فيرى" أنّ الخطاب هو الطريقة الّتي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية، وقد تكون المادة الحكائية واحدة، لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولته كتابتها ونظمها"[4].

ويعرف عبد **السلام المسدي** الخطاب الأدبي بكونه "خلق لغة من لغة" أي صانع الأدب ينطلق من لغة موجودة فيبعث فيها لغة وليدة هي لغة الأثر الفني"[5].

---

[1]–ينظر: ميشل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة:محمد سبيلا، دار التنوير للنشر والتوزيع، ص4.

[2]- Mikhail Bakhtine , le marxisme et la philosophie du langage , les Edition de minuit , 1977 , paris , p161.

[3]–ينظر: لطفي فكري محمد الجودى، جماليات الخطاب في النص القرآني، ص80.

[4]–ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ط3، المركز الثقافي، الدار البيضاء،1997م، ص17.

[5]–ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية،الدار العربية للكتاب، ص17.

ويسعى (**أحمد متوكل**) إلى تحديد الخطاب " كل ملفوظ /مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات. إنّ هذا التعريف يتضمن ثلاثة أمور مفادها:

أولا: تعين الثنائية التقابلية جملة/خطاب حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة.

ثانيا: اعتماد التواصلية معيارا للخطابية.

ثالثا: إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب"[1].

ويورد **سعد مصلوح** تعريفا للخطاب، ويقول إنّه: "رسالة موجهة من المنشيء إلى المتلقي تستخدم فيه الشفرة اللّغوية المشتركة بينهما، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية الّتي تكوّن نظام اللغة، أي(الشفرة المشتركة)، وهذا النظام يلبي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية، وتتشكل علاقاته من خلال ممارستهم كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم"[2].

فمصطلح الخطاب إذن متعدد المعاني، فهو وحدة تواصلية ابلاغية، ناتجة عن مخاطب معين موجهة إلى مخاطب معين في سياق معين، يدرس ضمن ما يسمى بلسانيات الخطاب، والخطاب يتنوع بتنوع الطرق الّتي يتخذها المتكلمون أو الكتاب وذلك بحسب المواقف الاجتماعية والثقافية محدّدة فينتج بذلك أنوعا كثيرة من الخطابات، مثل الخطاب الديني والخطاب العلمي والخطاب السياسي والخطاب اليبداغوجي...الخ"[3]

نلخص من كل ذلك أنّنا إزاء اتجاهات متعدّدة لضبط مصطلح الخطاب، تعزو صفات وخصائص مشتركة انصب عليها اهتمّام جلّ الدّارسين بوصفها من ممّيزات الخطاب إلى دلالات ومفاهيم أساسية يمكننا أن نجزها على النحو التّالي:

---

[1]–ينظر: أحمد متوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط–المغرب، 2010م، ص24.

[2]– ينظر: هاجر مدقّن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013م، ص27.

[3]– ينظر: نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والاجراء ، ط1، ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،2012م، ص20.

1-الخطاب ظاهرة لغوية قصدية تؤثر في بنيتة تآلف مجموعة من الجمل (الملفوظات) المكتوبة أو المنطوقة ينتجها مخاطب معين .

2-الخطاب يتضمن وحدات لغوية أو متتالية دلالية مترابطة ومتسقة ومنسجمة فيما بينها تؤدّي وظيفة تواصلية اجتماعية بين متكلم ومستمع.

3-الخطاب نشاط لغوي يؤدّي إلى التفاهم والتفاعل والمشاركة بين المتخاطبين قصد تحقيق أثرا ثم هدفا انطلاقا من السياق الذي وظف فيه.

4-للخطاب علاقة قصدية بين الجانب اللّغوي والجانب التواصلي لاشتراكهما في الجانب السياقي الاجتماعي.

ب-تحليل الخطاب وآلياته:

عرض الباحثون والدارسون عدّة دراسات جوهرية حول تحليل الخطاب، وقد أسهموا في توسيع نطاقه وإرساء قواعده، ولا نبالغ إذا قلنا اكتسب حظا موفورا في الدّراسات النقدية الغربية، بما أضافته في سبيل تقدّم مفهمه النّظري والتّطبيقي، وعلى رغم من تنوع ومن تفاوت في الإجرءات البحثية والمنهجية، فلكل اتجاه مبادئ ومنطلقات يرتكّز عليها، فمنهم من يرجع إلى الاتجاهات اللّسانية والبلاغية- الأسلوبية، ومنهم من يرجع إلى الاتجاهات الدلالية والسميائية، إلاّ أنّ ما يجمع بينهما واضحا ومعبرا عن المراد هو تحليل النص/الخطاب دون ذلك، ولعلّ هذا السبب ولضيق مقام الدراسة اعتبرنا ما نجده عند "**هاريس**Harris " و"**محمد خطابي**" مدخلا هاما لهذا المبحث لكونهما يمثلان لسان الباحثين الغربيين والعرب في تحديد منهجية أو طريقة تحليل النصوص.

يطلق مصطلح تحليل الخطاب على تحليل الكلام الذي يتجاوز طوله الجملة الواحدة بُغية اكتشاف أنماط العلاقة الجامعة بين الجملة المختلفة، وذلك باستخدام معايير فنولوجية ونحوية ودلالية"[1]. أو هو تفكيك النص، وحلّه إلى وحداته التي ساهمت في بنائه الشكلي

[1]- رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ص153.

ودلالته، للتعرف على وظيفة كل عنصر منها في الخطاب، وأثرها فيه لاستنباط أسراره ومقاصده "[1].

والغاية من تحليل الخطاب هي الوقوف على دلالات النص الأكثر عمقا، وإعطاء النص القراءة الدلالية الأدق، غير أنّ تلك القراءة لن تكون نهائية، لأنّها قراءة تجُرنا إلى قراءات أخرى تتحكم فيها ظروف الخطاب الأولى، كما تتحكم فيها ظروف القراءة، وعليه فسيغدوا تحليل الخطاب آلية تتجاوز مقاصد المؤلف، لتقتحم النص في عمقه لتكتشف دلالاته التي ربما أسقطها المؤلف ولم تخطر بباله، فهو لم يقلها، و لكن النص قالها[2].

ومن أجل هذه الغاية، قدّم **زيليغ هاريس (zillig harris)** أوّل منهج لتحليل الخطاب من خلال دراسته سنة 1951م، بانطلاقه من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب. وفي هذا الصدد، يعرف طريقة تحليل الخطاب "بأنّها طريقة لتحليل الكلام (المكتوب)، وهي تعتمد على ظهور (مورفيمات) كعناصر قابلة للتمييز، ولا تعتمد على معرفة المحلل بالمعنى الخاص لكل مورفيم. وينطلق تحليل الخطاب بمعالجة مسألتين أساسيتين تتمثّل الأولى في مد اللسانيات الوصفية أبعد من حدود الجملة الّتي تتوقف عندها، والثانية في قضية الربط بين اللّغة والمقام الاجتماعي"[3].

وقد اعتمد هاريس **Harris** على اللسانيات التوزيعية البلومفيدية كنموذج شكلي لتحليل الكلام الشفهي أو المكتوب، متأثرا في ذلك بفكرة محاولة تحليل الفنولوجي والنحوي للغة دون الرجوع إلى المعنى.

---

[1]– ينظر: محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة–دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، ط1، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، 2013م، ص11.

[2]– ينظر: حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب،ط1، دار الفرابي– بيروت لبنان، منشورات الاختلاف– الجزائر ،2011م، ص27.

[3]– ينظر: صفاء جبارة، الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن –عمان، ،2012م، ص136.

ومن هنا فالتحليل يقوم على التوزيع أو الترتيب داخل مسار الكلام لبعض الأجزاء أو معالم بارزة بالنسبة لبعضها. ومن هذا المنطلق ينتقل إلى إحصاء ترددات الحروف والمرفيمات وتوزيعها ضمن جداول محدّدة و مقارنة تقاربها مع الارتباطات الإحصائية، بالإضافة إلى ذلك إيجاد جملة البُنى الّتي تحكم لغة معينة من خلال توزيع العناصر داخل النص، و هذا ما اعترض عليه علماء اللّغة ؛ لأنّها محاولة تقوم عند حدود الاهتمام بإعادة ترتيب بُنية الجملة، لا على مجمل البُنى الأخرى التي تميز الخطاب، و تحليل الخطاب كما هو واضح مرتبط بوصف النص مادام جملة مبنية عبر وسائل (قرائن) أو ارتباطات، فيقترح وصف انتظام الخطاب عبر كشف تكافؤات وحدات شكلية محدّدة[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ هاريس (Harris) اقترح عددا من المفاهيم الأساسية الّتي تستخدم في تحليل الخطاب مثل الحدث الكلامي أو الحدث الاتصالي (Speech act) وهي أداة تحليلية أساسية لدراسة الخطاب من المنظور الاجتماعي– الثقافي. ويتم من خلال هذا الحدث الاتصالي أو الكلامي البحث عن علاقة التفاعل بين اللّغة والسياق الاجتماعي – الثقافي، كما يتم تحديد مكوناته التي يبلغ عددها (16) مكونا، وقد قام هايمز(Hymes) بجمعها تحت ثمانية مداخل مستندا إلى نموذج جاكبسون للوظائف اللغوية. وهذه المداخل هي:

1– الحالة أو المقام: ويشمل المحيط والمشهد.

2– المشاركون: وهنا يفصل بين المخاطب والمخاطب.

3– الغايات: الأغراض والأهداف.

4– تسلسل الفعل: شكل الرسالة ومضمونها.

5– المفتاح.

6– الوسائط: ويصنف فيها قناة الاتصال وأشكال الحديث.

[1]–ينظر: صفاء جبارة، الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، ص137–138.

7- المعايير: وهي معايير التفاعل، ومعايير التأويل.

8- الأنواع[1].

وإذا عدنا إلى الدّراسات العربية التي تعرضت لتحليل الخطاب، نجد **محمد خطابي** – من الباحثين العرب – الذي تناول كتاب تحليل الخطاب (Discousrse analyse) لمؤلفين اثنين هما: (G.Brown) و(G.yule) 1983. الذي يذهب من خلاله إلى تأكيد على أنّ موضوع تحليل الخطاب يُبنى أساسا على الوحدة اللّغوية المحللة وحجمها، ويتطلب استعارة أدواته من العلوم الأخرى مثل: اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية واللسانيات الحاسوبية، الذكاء الاصطناعي، علم النفس المعرفي[2].

وينظر كل من **براون** Brown و **يول** yule إلى أن للغة وظائف متعددة تتوقف عليها دلالة الخطاب، إلاّ أنّهما "يختزلان وظائف اللّغة في وظيفتين: الأولى نقلية تكمن في نقل المعلومات وتداولها بين النّاس، والثانية تفاعلية تكمن في تأسيس العلاقات الاجتماعية أو تعزيزها أو الحفاظ عليها من خلال التعبير عن الأراء والمواقف والعواطف"[3]، ويستند ذلك إلى المتكلم والسامع والكاتب والقارئ ضمن سياق تواصلي معين يهدف إلى عملية التخاطب. ويتطلب التحليل التركيز على اللّغة كعملية تأخذ جميع أطراف التواصل بعين الاعتبار (المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والسياق... الخ)، ويستوجب في هذه المرحلة ذكر كل العناصر المنظمة لعملية التواصل والتفاعل، وقد عبر المؤلفان عن هذا الرأي كالتالي: "سنعتبر الكلمات والعبارات والجمل التي تظهر في تدوين نص خطابي ينتجه (متكلم/كاتب) لإيصال رسالة إلى متلق (مستمع/قارئ) ومنهم على الخصوص يبحث كيفية وصول متلقي ما إلى فهم الرسالة المقصودة من قبل المنتج في موقف معين، وكيف أنّ متطلبات المتلقي

---

[1]–صفاء جبارة، الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل ، ص208–209 .

[2]– محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت ،1991 م، ص47.

[3]– عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصوّر شامل، ص 52.

المعين، في ظروف بعينها، تؤثر في تنظيم خطاب منتج، وتُتخَذ هذه الوظيفة كنقطة انطلاق للبحث تحرص على وصف الشكل اللغوي، ووسيلة دينامية للتعبير عن المعنى المقصود"[1].

والخطاب يقوم على مبادئ وقواعد تؤدّي إلى تحقيق الانسجام والاتساق بين أجزائه، يقدّمها محمد خطابي كالتالي:

1- السياق: ويقصد به المقام لأنّ محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب، وسياق يتشكل لديهما من: (المتكلم والسامع، أو الكاتب والقارئ، وزمان ومكان) لأنّه يؤدّي دورًا فعالا في تأويل الخطاب، بل كثيرا ما يؤدّي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين.

2- مبدأ التأويل المحلي: ويشير هذا إلى أنّ مهمة المتلقي "ألا ينشئ سياقا أكبر من ذلك الذي يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويل يتناسب مع سياق الخطاب.

3- التشابه: وهو مبدأ يقارن ويماثل من خلال "مواجهة الخطابات الّتي تنتمي إلى أصناف متنوعة ممّا يؤهله إلى اكتشاف الثوابت والمتغيرات، وعلى هذا النحو يمكنه الوصول إلى تحديد الخصائص النوعية لخطاب معين.

4- التغريض: أنّ مفهوم التغريض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب ونقطة بدايته، مع اختلاف حسب تنوع الخطابات، أنّ في الخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقه وتحوم حوله بقية أجزائه[2].

كما توجد مبادئ ومنطلقات أخرى تبين لنا آليات انسجام الخطاب في نظر **(يول وبراون)**، مثل المعرفة الخلفية أو المعرفة المسبقة الّتي توظف في عملية فهم وتأويل الخطاب، وتتداخل الأطر لتشكيل تصورات ذهنية جاهزة أثناء تلقي الخطاب، بالإضافة إلى

---

[1]- محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص47- 56.

[2]- المرجع نفسه، ص56-62.

الاستدلال كعملية يقوم بها المتلقي للانتقال من المعنى الحرفي لما هو مكتوب أو منطوق إلى ما يقصده المرسل من إيصال الخطاب[1].

تتحكم هذه المبادئ والآليات في الربط بين الوحدات الخطاب المختلفة، تنتج بدورها نصا متسقا ومنسجما، وحتى يتحقق ذلك لا بد من وجود متلقي يسعى إلى تحقيق الانسجام عن طريق الفهم والتأويل.

أشرنا سابقا إلى مفهوم الخطاب وآلياته، وأهمّ العناصر الّتي يقوم عليها، وسنتطرّق إلى مفهوم التداولية وأبعادها الخطابية والتواصلية مع التركيز على أهم المبادئ الأساسية الّتي قامت عليها وعلى رأسها نظرية "أفعال الكلام" الّتي طرحها الفيلسوف "أوستين"، والّتي كانت بمثابة خطوة رائدة في ميدان الدّراسات اللّغوية المعاصرة.

ج- البعد التداولي للخطاب:

نستعين في هذا المقام بالاتجاه التّداولي الذي أفرزته اللسانيات الحديثة كاستراتجية تواصلية فعالة تسهم في إثراء مجال التربية والتعليم بالمقارنة مع الاتجاهات اللّغوية الأخرى، ويرجع ذلك إلى أنّ التداولية علم يولي أهمّية وعناية كبيرة للكفايات الإبلاغية والتخاطبية وفي أي خطاب من الخطابات المتنوعة، ولعل أهمّ مساهمة في هذا الجانب التعليمي كانت حين كشف أحد الباحثين عن أهمية التداولية ووظيفتها من جهة التبليغ بقوله: « إن تزويد المتعلم أو المتعلمين بالأدوات الّتي تمكنهم من التحرك بواسطة الكلام تحريكًا يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها، وإنّ الأمر لم يتعلق بتلقين بنية نحوية معينة، بل إنّه يتعلق بتوفير الوسائل اللسانية الّتي تسمح للمتعلم بإجراء اختيار بين مختلف الأقوال وبحسب المقام »[2]، ويقول أيضًا « ذلك لأنّ مفهوم التبليغ هو الذي يجب أن يكون الأسبق والمحرك وليس اللّغة،

---

[1]-محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص63-73.

[2]-ينظر:جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1992 م، ص46.

وأنّ الاهتمام بالمتعلم يعني الاعتراف الكلي بأنّ هدفه هو التبليغ لا إحكام اللّغة وحذقها، وإن هذا الوجه الأخير سوى وسيلة وليس غاية في حد ذاته، ووسيلة واحدة ضمن وسائل أخرى»[1]. أما بخصوص مفهوم التداولية فبإمكاننا أن نورد أقدم تعريف لها من قبل الباحث الأمريكي شال موريس(**Charles mourris**) في كتابه الشهير «أسس نظرية العلامات » الذي نظر إليها على أنّها « جزءًا من السِّيميائيَّةِ الّتي تهتمُّ بدراسةِ العلاقةِ بين العلامات ومُستعملي هذه العلامات »[2]، فالتداولية حسب هذه النظرة واسعة وشاملة " تتعدَّى المجالَ اللِّسانيَّ إلى السميائيِّ، والمجالَ الإنسانيَّ إلى الحيوانيِّ والآليِّ»[3]، وفي هذا الشأن يرى مانغونو (**Dominique maingueneau**) أنّ التداولية تطلق على «المكوّن الدلالي والمكوّن التركيبي، وهذا المكوّن التداولي انبثق عن التقسيم الثلاثي من قبل الفيلسوف الأمريكي ش.موريس Charles mourris في 1938م الذي ميّز بين مجالات ثلاثة في دراسة اللّغة، سواء أكانت صورية أم طبيعية، أولا: علم التراكيب (**Syntax**)، ثانيا: علم الدلالة (**Semantics**)، ثالثا: علم التداولية (**Pragmatics**) »[4]. وقد زادت أهمية التداولية في الدّراسات العربية المعاصرة بعد ترجمتها كمقابل العربي للمصطلح الأجنبي (**Pragmatics**)، إذ وضعه الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن في سنوات السبعينيات من القرن الماضي، « ولفظة التداول كما يرى مقترحها تفيد في علم الحديث الممارسة المعبر عنها بـ**LA praxis**، وتفيد أيضا التفاعل زيادة على أنّها من نفس مادة الدلالة الّتي تتقاطع معها»[5]. كما عرّفها د. صلاح فضل التداوليَّةَ على أنَّها «أحدث فروع العلوم اللّغوية ، وهيِ الّتي تختصُّ بتحليلِ

---

(2) –المرجع نفسه ، ص48–49.

(2)– ينظر: نعمان بوقرة، المدارس للسانية المعاصرة، مكتبة الآداب ،القاهرة، ص166.

(3) – المرجع نفسه ،ص166.

(4)–ينظر:دومينيك مانغونو،المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتين،ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،2008م، ص101.

(5)– ينظر: إدريس مقبول، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية،ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ،2011م،ص8.

عمليَّاتِ الكلامِ والكتابة، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التَّواصلِ بشكلٍ عامٍّ»[1]، ويحدد «د.مسعود صحراوي» في كتابه (التداولية عند العلماء العرب) التداولية بقوله:« هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللّغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية جديرة بأنّ تسمى علم الاستعمال اللّغوي، ويقول أيضًا: « التداولية ليست علمًا لغويًا محضًا، بالمعنى التقليدي، علمًا يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللّغوية في مجال الاستعمال»[2]، ومنهم من حدّد مهمتها في « دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل، في كيفيّة قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله، وكيفية إدراك المعايير والمبادئ الّتي توجه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق، بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه»[3]. وكل ذلك يشكل غاية التداولية الّتي تحمل في طياتها أبعادا خطابية وتواصلية واجتماعية ، وبالتالي هي « دارسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل»[4] ، ولاسيّما دراسة الخطاب والبحث عن السياق والمقام المتكلمين ومقاصدهم وحيثيات الاستعمال والأفعال اللّغوية. وبهذه المعطيات الّتي حددت أهدفها ومنطلقتها يمكننا أن ندرج التداولية من حيث تقسيمها إلى ثلاث درجات متتابعة ، والّتي صنفها**هانسون** **(Hansson)** على النحو التّالي :

---

(1)– ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد164،1992م، ص8.

(2)–ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب– دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،1 ط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005م، ص16–17.

(3)–عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية–، ص22.

(4)– ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2002م، ص14.

1-تداولية من الدرجة الأولى : يعكف الدارسون في هذا المستوى على دراسة البصمات الّتي تشير إلى" عنصر الذاتية في الخطاب، فهم يدرسون الأقوال و الصيغ الّتي تتجلى مرجعيتها و دلالتها في سياق الحديث، و تتناول نظريات الحديث ...

2-تداولية من الدرجة الثانية : و هي تتضمن دراسة الأسلوب الذي يرتبط فيه القول بقضية مطروحة، حيث تكون هذه الأخيرة متباينة عن الدلالة الجانبية للقول، وهي تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي، وما ينبثق عنها من ظواهر خطابية كالافتراض المسبق و الأقوال المضمرة و الحجاج.

3-تداولية من الدرجة الثالثة :وتتمثّل في الدّراسات التي تدخل ضمن نظريات الأفعال الكلامية، الّتي تنطلق من مسلمة مفادها أنّ الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محدّدة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية" [1].

ولعل أهمّ نقلة حدثت أيضا للعمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة ، كانت حين وضع **بول غرايس** (**Paul Grice**) قواعد خطابية للفعل اللغوي، منطلقا من مبدأ عام سماه " التّعاون" الذي يوجب أن يتعاون المرسل والمتلقي من أجل تحقيق الغرض المقصود من عملية التخاطب، وقسّم هذه القواعد إلى أربعة أقسام، وهي:

أ-قاعدة الكمّ : تقديم الفائدة للمخاطب على قدر حاجته من غير زيادة ولا نقصان.

ب-قاعدة الكيف: وهي قول المتكلم الصدق والقدرة على اثباته بأدلة وحجج معقولة.

ج-قاعدة العلاقة: مرعاة المناسبة في الكلام.

د-قاعدة الجهة: تجنب الغموض والحشو والاطناب والاضطراب.[2]

---

[1]-ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،ط1، منشورات الاختلاف ،الجزائر، ودار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ص12-13.

[2]-طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص261-262.

تستهدف هذه القواعد من وجهة نظر غرايس (**P .Grice**) مبتغى واحدًا يتمثّل في ضبط مسار الحوار بحيث يؤكّد على أنّ احترام هذه القواعد، هو السبيل الكفيل بجعلنا نبلغ مقاصدنا، حيث يفضي كلّ خروج عنها–أو عن احداها– إلى اختلال العملية الحوارية[1].

المبحث الرابع: الخطاب النّبوي مفهومه وخصائصه:

نود الاشارة إلى أنّ معظم القراءات سواء المتعلقة بالمفاهيم القرآنية والمعجمية أو التصورات البحثية والنقدية بشقيها العربية والغربية، بأنّ مصطلح الخطاب مرادف للكلام ومظهر من مظاهر التواصل والتفاعل الاجتماعي.

ونخص في هذا المقام التركيز على مفهوم **الخطاب النّبوي**، لأنّه كلام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الموجه إلى جميع النّاس في كونه مستمدًا من مصدر أصلي وثابت متمثّلا في القرآن الكريم. وهو خطاب « توجه به الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الإنسان دونما تحديد للزمان والمكان أو لعرق وحضارة، وهذا الاستيعاب لجميع العصور قد تجلّى بتميز الخطاب النبوي بكلّ ما في شأنه أنّ يؤمّن لهذا الحديث مخاطبة الإنسان أينما كان وفي أي زمان» [2]. والقرآن الكريم هو خطاب إلهي معجز، ورسالة إبلاغية ربانية عالمية ، أنزله الله تعالى على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) قال الله تعالى﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [3].

---

[1]– العياشي ادراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،2011م، ص100.

[2]– ينظر: منال محمد هشام سعيد، المقام في العربية في ضوء البراغماتية: النظرية والتطبيق، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010 م، ص203.

[3]– سورة الجمعة، الآية: 2.

لقد بعثه الله ليصنع به أمة متميّزة سماها الله "أمة وسطا" وخير أمة أخرجت للنّاس"، وهي أمة الصراط المستقيم، صراط التوازن والتكامل بين المادة والروح و الدنيا والآخرة والمثالية والواقعية والفردية والجماعية والحرية والمسؤولية والإبداع المادي والالتزام الإيماني، فقامت على أساس هذه التعاليم حضارة عالمية فذة، جمعت بين الربانية والإنسانية وبين العلم والإيمان وبين الرقي والأخلاق وبين الحضارة الّتي سادت العالم قرونا، واقتبست من حضارات الأقدمين وهذبتها وأضافت عليها وابتكرت الجديد المفيد في علوم الدّين ومعارف الدنيا فلا عجب أن يجد الباحث المدقق في مصادر السنة الكثير الطيب بوصف الرسالة المحمدية مصدرا للمعرفة والحضارة خاصة المعرفة المتعلقة بالجوانب الإنسانية[1].

والعلاقة بين الخطاب القرآني والخطاب النّبوي متمثلة في إبلاغ الرسالة الربانية وتوضيحها، ولذلك يقول الله تعالى:﴿ ۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2]، ومن أهمّ متطلبات البلاغ أن يشرح ويوضح ويبين ما التبس على النّاس إدراكه، ويفهمهم ما استغلق عليه فهمه، ويفصل ما جاء مجملا من التكاليف بحيث يتوافق التطبيق مع المقاصد، وهو في كل ما يتناول من حيثيات الرسالة لا ينطق عن الهوى، وإنّما وفق ما يوحى إليه من ربه – جل شأنه"[3]، استنادا إلى قول الحق تبارك وتعالى﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾[4]، ومن الجلي أيضا أنّ يكون البلاغ بيّنًا للنّاس وواضحًا ومفهومًا فيما يتعلق بالرسالة وإبلاغها إلى أهل مشارق الأرض ومغاربها، وقال الله تعالى:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾[5]، وقد أمر

---

[1]– آمال عميرات، الاتصال الاجتماعي(العمومي) ، ص204.

[2]– سورة النحل ، الآية: 44.

[3]– أحمد رجب الأسمر، النبي المربي، ط1، ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان– الأردن ، 2001م، ص27.

[4]–سورة النجم، الآية: 3 .

[5]– سورة المائدة، الآية :92 .

الحق – تبارك وتعالى – أيضا النّاس بطاعته و بطاعة رسوله صلى الله عليه و سلم فيما يتعلق بالرسالة.

ومن خلال تتبّعنا وإطّلاعنا على الدّراسات الّتي تتحدث عن موضوع الخطاب، لوحظ غياب المفهوم المصطلحي للخطاب النبوي الشريف، كمصطلح له تعريف واضح ومحدّد وخصوصية جوهرية، وبناءًا على هذا الأمر "اصطلح محدثون على تسمية كلام الرسول صلى الله عليه وسلم حديثا أو سنة"[1]، ومن هنا اقتضى الأمر أن نحدّد كلمة الحديث والسنة حسب المفهوم المعجمي والمفهوم الاصطلاحي، بما في ذلك اكتشاف المفردات اللّغوية الّتي تستخدم للدلالة على الخطاب النّبوي.

-1- تعريف الحديث:

إن **الحديث** في معناه اللّغوي يدّل على " الجديد من الأشياء ، **والحديث:** الخبر يأتي على القليل والكثير، والجمع : **أحاديث** كقطيع وأقاطيعَ، وهو شاذ على غير قياس، وقد قالوا في جمعه: حِدْثان وحُدْثان ، وهو قليل، أنشد الأصمعي :

تُلَهي المَرْءَ **بالحِدْثَان** لَهْوًا وتَحدِجُه كمَا حُدِجَ المُطِيقُ"[2].

وجاء في **القاموس المحيط:** الجديد، والخبر، كالحِدِّيثي، ج: أحاديثٌ[3].

وفي الاصطلاح يراد به " ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف. وهناك ألفاظ مرادفة للحديث، وهي: الخبر، الأثر والحديث القدسي.

– **الخبر:** بمعنى الحديث فيعرف بما سبق في تعريف الحديث وقيل الخبر ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى غيره فيكون اعم من الحديث وأشمل.

– **الأثر:** ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي، وقد يراد به ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه و سلم مقيدا فيقال: وفي الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم[4].

---

[1]– محمد أبورية، أضواء على السنة المحمدية، ط6، دار المعارف، القاهرة ، ص 12.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (حدث) ، ج2، ص150.

[3]– محمد الدين بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، ص 336.

[4]–ينظر: محمد بن صالح العثيمين، مصطلح الحديث، القاهرة، 1994م–1415هـ، ص5–6 .

- **الحديث القدسي:** كل حديث يضيف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قولا إلى الله عز وجل يسمى بالحديث القدسي أو الإلهي، الأحاديث القدسية كثيرة، قد جمعها بعضهم في جزء كبير، ونسبة الحديث إلى القدس والطهارة والتنزيه، لأنّه صادر عن الله عز وجل من حيث أنّه المتكلم به أولا والمنشئ له، وأمّا كونه حديثا، فلأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحاكي له عن الله تعالى، بخلاف القرآن الكريم.

والقرآن الكريم ما كان لفظه ومعناه من عند الله عز وجل بوحي جلي، بينما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله تبارك وتعالى بالإلهام أو المنام، وقد يكون بوحي جلي[1].

2-تعريف السنة:

تتمثل السنة من الناحية اللغوية في: " الطريقة أو السيرة، حسنة كانت أو قبيحة. وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها، والأصل فيه الطريقة أو السيرة، وإذا أطلقت في الشَرع فإنّما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا مما لا ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشَرع: الكتاب والسنة أي القرآن والحديث"[2].

أما اصطلاحا: فهي كل ما أثر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير، صفة خَلقية أو خُلُقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها، وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم. القول: ما تحدث به النبي صلى الله عليه وسلم في مختلف المناسبات ممّا يتعلق بتشريع الأحكام كقوله صلى الله عليه وسلم: "إنّما الأعمال بالنيات"[3].

---

[1]-ينظر: محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان ، 2006م، ص20- 21.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة سنن ، ج13، ص225.

[3]-صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي الى رسول الله ، ص08.

الفعل: ما نقله الصحابة من أفعال النبي صلى الله عليه وسلم في شؤون العبادة وغيرها، كأداء الصلوات، ومناسك الحج، وآداب الصيام، وقضائه بالشواهد واليمين.

التقرير: ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضي، أو بإظهار استحسان وتأييد[1].

من المقرر لدى جمهور المسلمين أنّ السنة النّبوية هي المصدر الثاني في الإسلام بعد القرآن الكريم، ومن المقرر أيضا أن تقديم (القرآن) على (السنة النبوية) هو تقديم اعتباري، فالقرآن أصل، والسنة فرع لأنّها استندت في حجيتها على ما قرره القرآن.

ووظيفة القرآن الأساسية هي: هداية الخلق وإرشادهم لما فيه خيرهم في الدنيا و الآخرة.

وأما الوظيفة الأساسية لسنة النّبي (صلى الله عليه سلم) فهي " البيان والتفصيل للقرآن الكريم[2].

للسنة في المجال التربوي فائدتان عظيمتان:

- إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم، بيان التفاصيل الّتي لم ترد في القرآن الكريم.
- استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول صلى الله علية وسلم مع أصحابه ومعاملته مع الأولاد، وغرسه الإيمان في النفوس[3].

ولئن كانت السنة النبوية أو الحديث النّبوي من الألفاظ الموحية للخطاب النبوي، فإنّ ثمة علاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أفراد مجتمع عصره مبنية على التواصل والتفاعل والتأثير، وتتجسد طبيعة هذه العلاقة في مقاصد الخطاب النّبوي بما يتضمنه من

---

[1]–ينظر: مصطفى السّباعي، السنة ومكناتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع، ص65–66.

[2]– ينظر: السيد عبد الماجد الغوري، السنة النبوية حجيتها وتدوينها دراسة عامة، ط1، دمشق، دار ابن كثير، 2009م، ص19.

[3]– ينظر: عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق ، 2010م، ص26.

نصائح وإرشادات لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية، ولعلّ أوّل ما نجده من هذه الأهداف ثمرة المنهج التربوي النبوي في رسم المبادئ الأساسية للتربية النفسية والاجتماعية وفق قواعد مثالية غايتها تحقيق سعادة النّاس في الدنيا والآخرة، وهذا ما يراه أحد التربويين عن مجال التواصل التربوي في السنة النبوية يقول بأنّه: عملية تفاعل إنسانى، بين الرسول المربي (صلى الله عليه وسلم) والناس من حوله، باستخدام اللغتين: اللفظية (الشفهية)، والصامتة (لغة الجسد)، وتقوم تلك على التفاعل والمبادرة بين طرفي الاتصال، بقصد تحقيق مقاصد تربوية عديدة، تفضي إلى بناء شخصية فاعلة ومتميّزة"[1]. ويبدو أنّ هذا التعريف يرمي إلى غرضين اثنين:

1. غرض تواصلي يسعى إلى تصميم العلاقة التربوية معتمدا في ذلك على مبدأ التفاعل يتوافق مع الأهداف منشودة.
2. غرض لغوي يتمثل في الخطاب النبوي في كونه خطابا هادفا ومتميزا من نَواح عديدة.

وهذا ما سنتوقف عليه من خلال خصائصه المنهجية والتربوية استنادا إلى الآيات القرآنية والسنة النبوية وما أنجزه علماء الإسلام على اختلاف تخصصاتهم حول ذلك. وعليه يمكن تحديد خصائص الخطاب النبوي على النحو التالي:

1- الخصائص المنهجية:

- **منهج رباني:** المقصود بالربانية أنّ كل أحكام الإسلام وتوجيهاته مصدرها أصلي من الربّ عز وجل وليست نابعة من أهواء البشر[2]، وكل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم –سوى القرآن الكريم– وهو بوحي من الله تعالى، وبيان لأحكام الشريعة، وتفصيل لما في الكتاب الكريم، وتطبيق له يسمى الحديث النبوي أو السنة النبوية كما أسلفنا، وباجتهاد

[1]– ينظر: محمود خليل أبودف، الاتصال التربوي في السنة النبوية دراسة تحليلية، بحث مقدم لمؤتمر الحوار و التواصل التربوي، الجامعة الاسلامية، غزة ،2011م، ص4.

[2]–ينظر: خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ط1، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 2000م، ص45.

من الرسول صلى الله عليه وسلم، إلاّ أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقر عن الاجتهاد خطا، وعلى هذا فمرد السنة إلى الوحي[1].

وذكر الإمام **الشافعي** أنّ "سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كتاب الله وجهان:

– أحدهما: نص كتاب فإتّبعه رسول الله كما أنزله الله تعالى.

– والآخر: جملة بيّن رسول الله فيها عن معنى ما أراده الله بالجملة، وأوضح كيف فرضها عاما، أو خاصا، وكيف أراد أن يأتي به العباد. وكلاهما اتبع فيه كتاب الله[2].

والربانية من حيث الهدف والغاية تعني أنّ المسلم في ظل التوجيهات النبوية الإسلامية يبتغي بأفعاله وأقواله رضى الله عز وجل، فهو يستمدها من منهج الله [3]، متبعا في ذلك أمر الله تعالى، حيث قال:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [4]، فإنّ كلّ ما صدر عن رسوله (صلى الله عليه وسلم) هي ذاتها أحكام وتعاليم الله سبحانه وتعالى الّتي أوجبها علينا حتى تكتمل دعوته.

- **منهج شامل:** إنّ الله جلت حكمته جعل الإسلام المُنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم نظاما شاملا لجوانب الحياة البشرية كلّها، وجعل حياة رسوله نموذجا لدينه كله، وفي كلّ جوانبه، حتى تقوم الحجّة على النّاس مرتين، مرة بالبيان النظري ومرة بالبيان العملي، لأنّ البشر فيهم الأب والابن والزوج وفيهم السياسي والاقتصادي ورجل الشورى، فالحياة البشرية متعددة الجوانب، وكل إنسان يعيش حياة تختلف في بعض جوانبها أو تتفق مع الآخرين، وقد

---

[1]–ينظر: محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، 2006م، ص24.

[2]– ينظر: عبد الحليم محمود، السنة ومكناتها في التشريع الإسلامي، بيروت، المكتبة العصرية، 1977م، ص27.

[3]–خالد بن حامد الحزمي، أصول التربية الإسلامية، ص46.

[4]–سورة الأنعام، الآية 153.

فرض الله على اختلاف مستوياتهم أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتهم في كل شيء[1].

قال الله تعال في سورة الأحزاب:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[2]. فهو صلى الله عليه وسلم القدوة والأسوة في كل ما يهم الإنسان في حياته وشؤونه، لذلك كان (صلى الله عليه وسلم) هو النموذج الأوحد في الكمال الإنساني والرقي الحضاري، وتعاليمه صلى الله عليه وسلم هي البوصلة الهادية إلى الطريق المستقيم، وبها يتم التوازن المنشود للحياة والأحياء[3].

• **منهج الواقعي:** يتصف الخطاب النبوي بالواقعية لأنّه (صلى الله عليه وسلم) لا يتعامل مع النّاس على أنّهم ملائكة أولو أجنحة، بل على أنّهم بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، لهم غرائزهم وشهواتهم، ولهم ضروراتهم وحجاتهم، فهم خُلقوا من طين وحمأ مسنون، كما أنّ فيهم نفحة من روح الله. ولذلك راعت السنة ضعف الإنسان، فأباحت له الضرورات عند وقوع المحظورات، بل راعت حاجات الإنسان فأباحت له بعض المحرمات عند الحاجة، كما رخص الرسول لاثنين من الصحابة بلبس الحرير عندما اشتكا من مرض الحكة. وراعت السنة اختلاف أحوال النّاس، وراعت الفروق بينهم، ولذا كان الرسول الكريم يجيب عن سؤال الواحد من عدة أشخاص بأجوبة متعددة، رعية لاختلاف ظروفهم، فلا يعامل الشيخ معاملة الشاب، ولا يعامل الإنسان في حالة الضرورة معاملته في السعة والاختيار"[4]، فالنفس الإنسانية تنفر من المشاق، ويستهويها الميسور، وهذا أحوج ما يكون

---

[1]– سعيد حوى، الرسول صلى الله عليه وسلم، ص115

[2]– سورة الأحزاب، الآية21.

[3]–ينظر: عبد السميع أنيس، الأساليب النبوية في معالجة المشاكل الزوجية، قطر، دار المعروفة لطباعة والنشر، 2010م، ص07.

[4]–ينظر: يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2002م، ص29–31.

إليه الداعية إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وبهذا تتجلى السهولة والمرونة والمثالية والواقعية في خطاب النبي (صلى الله عليه وسلم).

- **منهج الوسطي:** إنّ الخطاب النبوي يوازن بين الروح والجسد، بين العقل والقلب وبين الدنيا والآخرة، بين المثال والواقع بين النظر والعمل بين الغيب والشهادة بين الحرية والمسؤولية بين الفردية والجماعية بين الإتباع والابتداع ولهذا كان صلى الله عليه وسلم، إذا لمح من بعض أصحابه جنوحا إلى الإفراط أو التفريط وردّهم بقوة إلى الوسط وحذرهم من مغبة الغلو والتقصير، ولهذا أنكر على الثلاثة الذين سألوا عن عبادته، فكأنهم رغبوا فيما هو أكثر، فعزم أحدهم أن يصوم الدهر كله فلا يفطر، والأخر بأن يقوم الليل ولا يرقد، الثالث، أن يعتزل النساء فلا يتزوج، وقال حين بلغه قولهم "أمّا أنّي أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكن أصوم وأفطر وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[1]، والرسول (صلى الله عليه وسلم) يبين لنا في خطابه أنّ الإسلام دين يسر لا دين عسر، وأنّه دين الوسطية فلا إفراط فيه ولا تفريط.

2- الخصائص التربوية:

يمثّل الخطاب التربوي في السنة النبوية الكلام الموجه من قبل الرسول (صلى الله عليه وسلم)، سواء للفرد أو الجماعة، والذى يحمل مضمونا تربويا ذا طابع توجيهي ارشادي، بما يحقق المصلحة العامة للمخاطب في الدنيا والآخرة، ويسهم في بناء شخصية سوية ومتوازنة"[2]، ففي هذا التعريف نجد بالفعل تكامل وظيفي بين ما هو ديني وما هو تربوي، حيث يتكامل فيه الوحي مع العقل، والتشريع مع التربية، فالتربية دورها في التكوين والتوجيه،

[1]-ينظر: سعيد اسماعيل علي، السنة النبوية رؤية تربوية،ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 2002م، ص446.

[2]-ينظر: محمود خليل أبو دف، جودة الخطاب التربوي في السنة النبوية، بحث مقدم لمؤتمر المعلم الفلسطيني، جامعة الأقصى، غزة، 2008م، ص5.

و للتشريع دوره في الصيانة والإلزام والتأديب والعقاب، فلا تُغني التربية وحدها بلا تشريع، ولا يُغني التشريع وحده بغير تربية، وكان رسول الله هو القائم على التربية والتشريع معا.

وقد عكست سيرته منهج حياته صلى الله عليه وسلم، ويظهر ذلك جليا في شخصيتيه التعليمية والتربوية والأخلاقية.

• **شخصية أخلاقية:** أبرز سمة في شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم)المتعددة الجوانب الأخلاقية التي لا مثيل لها، فلو أنّنا جمعنا كل خلق عظيم في العالم وكل تصرف أخلاقي سليم تصرفه في يوم من الأيام إنسان، فإنّ ما نجده في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم يربوا على هذا كلّه، مع انعدام التصرفات غير الأخلاقية في حياته عليه الصلاة والسلام، ممّا لا تستطيع معه أنّ تجد في حياته كلّها تصرفا يمكن أن ترى أعظم منه، وكان الصحابة يعرفون منه هذا، ويتصرفون على أساسه، فكثيرا ما كنوا يوقفون ناسا موقفا سننَ الأنبياء السابقون، إذ أنّهم يعرفون عنه أنّه لا يرضى أن يكون أحد أرقى منه تصرفا أو مسلكا."[1]، وبهذه الأخلاق العظيمة يقوم الخطاب التربوي النبوي على وظائف أساسية والمتمثّلة في التبليغ والإقناع والتأثير لتحقيق هدف الخطاب.

• **شخصية تعليمية:** ممّا يميز الخطاب النبوي التربوي، أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان بحق المعلم الأوّل للخير في هذه الدنيا، في جمال بيانه، وفصاحة لسانه، ونصاعة منطقه، وحلاوة أسلوبه، ولطف إشارته، وإشراق روحه، ورحابة صدره، ورقة قلبه، ووفرة حنانه، وحكيم شدَته، وعظيم انتباهه، وسموَ ذكائه، وبالغ عنايته، وكثير رفقه بالنّاس، حتى قال صلى الله عليه وسلم "إنّما بعثت معلما"[2].

• **شخصية تربوية:**إنّ المتأمّل في السيرة النبوية يجد في شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) مربيا عظيما ذا أسلوب تربوي فذ، يراعي حاجات الطفولة، وطبيعتها، ويأمر بمخاطبة

---

[1]– سعيد حوى، الرسول صلى الله عليه وسلم، ص117.

[2]– ينظر: عبد الفتاح أبوغدة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مكتب المطبوعات الاسلامية، بيروت، 2003، ص8.

النّاس على قدر عقولهم، أي يراعي الفروق الفردية بينهم، كما يراعي مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم، يراعي في المرأة أنوثتها، وفي الرجل رجولته، وفي الكهل كهولته، وفي الطفل طفولته، ويلتمس دوافعهم الغريزية، فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألف في قلبه، ويُقرّب إليه من يحب المكانة لأنّه في قومه ذو مكانة، وهو في كلّ ذلك يدعوهم إلى الله وتطبيق شريعته، لتكميل فطرتهم، وتهذيب نفوسهم شيئا فشئا، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم، وتوجيه طاقاتهم وحسن استغلالها للخير والسمو: طاقات العقل وطاقات الجسم وطاقات الروح، لتعمل معا وتتجاوب للهدف الأسمى، وبذلك يسمو الفرد وينهض المجتمع[1].

وبلغت هذه التربية النبوية والإسلامية في تأسيسها ثلاثا وعشرين سنة، وهي متواصلة ومستمرة، وقد شملت الجزيرة، وبدأت تخطط للتطلع إلى الخروج منها عن طريق الوفود والمكتابات، وهو لا يزال حيا يرزق مع إشرافه عمليا على حياة وسلوك الصحابة، أطفالا وراشدين، كل ذلك جعله مربيا إنسانيا عالميا بكل ما في "التربية السليمة" من مفاهيم، ومجالات... بل إنّه أعظم مرب بفضل تأثيره العميق في شعوب وأجيال تبقى ما بقي الإنسان على وجه هذا الكوكب الأرضي المعمور علما ويقينا وأخلاقا، ولا ريب في ذلك أن نصادف شهادة الفيلسوف وأكبر كاتب قصصي في روسيا (تولستوي) اتجاه محمد صلى الله عليه وسلم يقول "هذا النبي من كبار الرجال المعلمين الذين خدموا الهيئة الاجتماعيّة خدمة جليلة، ويكفيه فخرا أنّه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تنجح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا، ويكفيه فخرا أنّه فتح لها طريق الرّقي والتقدّم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلاّ شخص أوتي قوة وحكمة وعلما، ورجل مثله جدير بالإجلال والاحترام"[2].

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص26 –27.

[2]–ينظر: محمد الصالح الصديق، محمد (صلى الله عليه وسلم) في نظر المفكرين الغربيين، الساحة المركزية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2005م، ص51.

اشتمل الخطاب النّبوي على مميزات وخصائص سامية، وكان لهذه الخصائص أثر يشير إلى أغراض وأساليب الرسول (صلى الله عليه وسلم) التربوية، فمن حيث أغراضه فإنّ مزاياها متعدّدة يصعب حصرها، فتعاليمه ترسم أحكام العقيدة الإسلامية الفاضلة، ومبادئه تطمح إلى آداب إنسانية رفيعة وآداب اجتماعية سامية، والتحلي بأحكامه وبآدابه وأخلاقه من المساعي المستقبلية لتربية الأجيال، وكان إلى جانب أغراضه أساليب متنوعة وبارزة في شخصيته التربوية والتعليمية الّتي سنتناولها بالتّفصيل في الفصل الموالي.

الفصل الثاني

أساليب التواصل التربوي في الخطاب النّبوي

أولا: التواصل التربوي اللفظي:

أ –التواصل بأسلوب الحوار.

ب – التواصل بأسلوب ضرب الأمثلة.

ج– التواصل بأسلوب القصة.

د–التواصل بأسلوب التكرار.

ثانيا: التواصل التربوي غير اللفظي:

أ –التواصل بتعابير الوجه:

1– الابتسامة

2– الضحك

3– الغضب

4–إيماءات الرأس

5– لغة العيون

6– اللسان

ب –التواصل بحركات الجسم:

1– الإشارة باليد .

2– حركة الأصابع.

3– حركة الأرجل.

ج–التواصل بالرسومات التوضيحية والبيانية.

وردت في السّنة النّبوية أساليب متنوّعة ومتعددة حافلة بالدروس والعبر ذات تقنيات تعليمية وأبعاد تربوية الّتي ساهمت في تغيير السلوك التربوي للمتعلمين وتطويره، سواء كان باستعمال الوسائل اللّغويّة المؤثرة في نفوسهم، أو غير اللّغوية الّتي تتفاعل معها قلوبهم وعقولهم، وقد تبيّن ذلك بوضوح من خلال كتب الحديث ، حيث كان النّبي (صلى الله عليه وسلم) "يُلوِن الحديث لأصحابه ألوانًا كثيرة، فكان تارة يكون سائلا، وتارة يكون مجيبا، وتارة يجيب السائل بقدر سؤاله، أو يزيد كما سأل، وتارة يضرب المثل لما يريد تعليمه، كما قد يصحب كلامه القسَم بالله تعالى، ويلفت السائل عن سؤاله لحكمة بالغة منه (صلى الله عليه وسلم)، وتارة يعلم بطريقة الكتابة، أو الرسم، أو التشبيه أو التصريح، أو بطريقة الإبهام أو التلميح. وكان (صلى الله عليه وسلم) يسلك سبيل المداعبة والمحاجاة فيما يعلمه، كما يمهد لما يشاء تعليمه وبيانه تمهيدا لطيفا، وأحيانا يسلك سبيل المُقايسة بين الأشياء، أو يشير إلى عِللها لذكر جوابها، وأحيانا يسأل أصحابه وهو يعلم ليمتحنهم بذلك، وقد يسألهم ليرشدهم إلى موضع الجواب، كما قد يلقي عليهم العلم قبل السؤال إلى غير ذلك من أساليب تعليمه صلى الله عليه وسلم"[1].

ومن الواضح أنّ هذا المعنى المهم يشكل نظرة ضيقة عن الأساليب النّبوية لأنّها لم تعد تتوقف عند هذا الحدّ ؛ إذ أصبحت من أبرز الموضوعات العصريّة ومن ثمار الدّراسات التواصلية بما يستوجب نظرة فاحصة ومعمّقة عن خصائصها التّخطابية، ويستدعي الوقوف على أهمّ أهدافها ومقاصدها التربوية نظرًا لما تحتويه من سمات ومميّزات مستفيضة، الأمر الّذي يساعدنا على تحقيق نمط الدّراسة الّذي نسعى من خلاله إلى رصد منهج الرسول(صلى الله عليه وسلم) في التواصل التربوي مع الآخرين والاقتداء به، ومردّ ذلك إلى أنّه "أنموذج رائع ونظام محكم، قائم على أساس أخلاقي وإنساني، جميل في شكله ومضمونه، يحتاجه المربون في كل مستويات ومراحل التعليم، أن ينهلوا من نبعه الصافي والشافي، لكلّ مظاهر التنافر وعدم الانسجام والتفاعل، بين المعلم المتعلم"[2]، ومن هنا يمكننا أن نحدّد تلك

[1]-عبد الفتاح أبوغدة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص 63-64.

[2]- ينظر: محمود خليل أبو دف، الاتصال التربوي في السنة النبوية، ص2.

الأساليب التواصلية الّتي تتفرع بدورها إلى نمطين مختلفين منها ما هو لفظي يتم بالأصوات أو الكتابات ومنها ما هو غير لفظي يتم بالإشارات والحركات والرسومات، لنبدأ من أول نوع وهو التواصل اللفظي.

أولا: التواصل التربوي اللفظي:

إنّ المقصود بالاتصال اللفظي هو" الاتصال الّذي يتم من خلال استخدام اللغة المنطوقة أو الشفوية (الكلام) في توصيل الرسالة أو المعلومات إلى المستقبل، فهو الذي يستخدم فيه اللفظ كوسيلة تمكن المرسل من نقل رسالته إلى المستقبل سواء كانت مكتوبة أم غير مكتوبة كالمذكرات والخطابات والتقارير والكتب والمحادثات التليفونية والمناقشة والمناظرة والندوة والمؤتمر، وغالبا ما يتم ذلك وجها لوجه، ويسمى أيضا بالاتصال الشفهي، ويأتي ضمن هذا النوع من الاتصال: الاتصال بين الشخصين، الاتصال داخل الجماعة، الاتصال بين الجماعات، الاتصال العام مع الجمهور"[1].

ويعد الاتصال اللفظي من أكثر أدوات الاتصال انتشارا، وأكثرها فعالية، حيث معظم النشاطات الإنسانية، تتم من خلال اللغة المحلية، ويعطي ذلك النمط من الاتصال الفرد الفرصة لإجراء التغيير السريع في الأفكار والمعاني"[2].

أمّا الاتصال اللفظي في المجال التربوي فإنّه لا يكفي بوصفه شكلا من أشكال الإبلاغ والتواصل، بل يتضمن مهارات تتعلق بإتقان الأداء اللغوي التواصلي أو مهارة الحديث التي تبرز "قدرة الشخص على اكتساب المواقف الايجابية عند الاتصال بالآخرين، ويتكون موقف الحديث من المتحدث الذي يحاول نقل فكرة، أو رأي إلى المستمع، أو المتحدث إليه إلى جانب الظروف المحيطة بموقف الحديث"[3]، ف"كلما نجح الإنسان في إجادة فن الكلام

---

[1]– ينظر: رحيمة طيب عيساني، مدخل إلى الإعلام والاتصال–المفاهيم الأساسية والوظائف الجديدة في عصر العولمة الإعلامية، جدار للكتاب، عمان–الأردن، 2008م، ص28 .

[2]– محمود خليل أبو دف، الاتصال التربوي في السنة النبوية، ص 2.

[3]– ينظر: محمد البدوى الصافي خليفة، المهارات المهنية للأخصائي الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث،2011م، ص182.

وامتلاك زمام الفصاحة والبلاغة، كلما كان أقدر على التأثير في الآخرين وتوجيههم الوجهة الّتي يريدها"[1]، وفي ذات السياق يمكن القول بأنّ مهارة التواصل اللفظي في الخطاب النّبوي تتمثّل في تنوع الوسائل اللّغوية بحسب تنوع المواقف التعليمية الّتي استثمرها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تنمية الجانب الأخلاقي والفكري للمتعلمين. ومن أهمّ الوسائل التربوية:

أ-التواصل بأسلوب الحوار:

يعتبر فن الحوار من أبرز الوسائل التواصلية والخطابية، حيث "يتعاون المتحاورون على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف منهم ما خفي على صاحبه منها، والسير بطريق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، والحوار مطلب إنساني، تتمثل أهميته باستخدام أساليب الحوار البناء لإشباع حاجة الإنسان للاندماج في الجماعة، والتواصل مع الآخرين، فالحوار يحقق التوازن بين حاجة الإنسان للاستقلالية، وحاجته للمشاركة والتفاعل مع الآخرين، كما يعكس الواقع الحضاري والثقافي للأمم والشعوب"[2].

ويتم هذا الأسلوب بطرح الأسئلة ومناقشة الإجابات ووجهات النظر، لإثارة انتباه المتلقين وتحريك قدراتهم العقلية وقدح فطنتهم وإكسابهم المعلومات والأفكار والاتجاهات والقيم في قالب مقنع مناسب، فإنّ للمناقشة والحوار أثرا في نفس السامع الذي يتتبع الموضوع بشغف واهتمام، إذ يعرض هذا الأسلوب الموضوع عرضا حيويا وواقعيا فيغري السامع بالمتابعة ويوقظ فيه العواطف والانفعالات ويستثير اهتمامه"[3].

للحوار شروط لا بد الالتزام بها ليؤدّي هدفه وتتضح الحقيقة، ومع ذلك لا بد من آداب تراعى في الحوار لأنّها تهيّئ الجو الحسن للحوار وتوفر المناخ الصحي الذي يمكّن للنّاس أن يتحاوروا فيه، وآداب الحوار بالحكمة كثيرة، نذكرها بإيجاز:

---

[1]- ينظر: عودة عبد الله، الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ص07 .

[2]- ينظر: أسامة خيري، مهارات الحوار،ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن-عمان ،2014م،ص15.

[3]- ينظر:علي راشد، شخصية المعلم وأداؤه في ضوء التوجهات الإسلامية في التربية نحو تأصيل إسلامي للتربية، ط1، ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993م، ص43.

1. الاحترام المتبادل بين الشخصين المتحاورين.
2. المجادلة بالتي هي أحسن بإتباع الأسلوب اللّين والمقابلة السليمة.
3. حسن الاستماع والفهم.
4. تجنب جارح الكلام وفاحش القول[1].

يعدّ الحوار من أساليب الدعوة إلى الله الّتي سلكها النّبي (صلى الله عليه وسلم) في محاوراته مع المخاطب، " إذ كانت وسيلته الفعالة ليُملي به حُجّته الإقناعية التأثيرية ويدعو الفكر للتأمل والتدبر وبه استمال قلوب النّاس وغيّر مفاهيم خاطئة اقتنعوا بها"[2]، والمتأمل في السيرة النّبوية يلحظ اهتمام كبير بهذا الأسلوب عند الرسول صلى الله عليه في العديد من المواقف التربوية، ومن ذلك مثلا ما جاء **عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: أتدرون من المفلسُ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إنّ المفلس من أمّتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**" [3].

ويشير الخطاب إلى أنّ أسلوب الحوار هو الّذي يميّز العملية التواصلية ولاسيّما التعليمية، إضافة إلى الصياغة التعبيرية الّتي تخاطب عقل المتلقي وقلبه، كما يظهر ذلك في إبراز المعاني بالطابع المجازي والذي يجتاز من خلاله بث الرسالة التربوية إلى المتعلم ، حيث اعتمد " الرسول صلى الله عليه وسلم على استخدام أسلوب تطبيق صورة معروفة من صور الحياة الدّنيا الشائعة بين النّاس على قضية من قضايا الجزاء الأخروي هي أحرى بأن

---

[1]- ينظر: عبّاس محجوب، الحكمة والحوار- علاقة تبادلية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن-عمان، 2006م، ص191-198.

[2]- ينظر: لغة الحكمة وإقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النبوي، حنان محمد مهدي العقيدي، جامعة بغداد، العدد2، كلية التربية، 2013م، ص239.

[3]- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم2581، ص839 .

تطبّق عليها، فالنّاس يعرفون في أسواقهم التجارية من هو المفلس، ويعرفون كيف يحدث له الإفلاس عند اجتماع الدائنين عليه، وعجز أمواله عن الوفاء بحقوقهم، وهو أمر يخشاه تجّار الحياة الدّنيا خشية عظيمة" [1].

وهكذا يدرك المتعلم أنّ المفلس الحقيقي الذي أشار إليه الحديث ليس ذاك الرجل الذي خسر ثروته وماله وأصبح فقيرا لا يجد ما يكفيه أو يلبي حاجته، وإنّما المقصود بالمفلس هو الّذي يأتي بالأعمال الصالحة الكثيرة والموافقة للعقيدة على أساس أنّها مقدمة للآخرة والّتي تنفع صاحبها للفوز بالنعيم والنجاة من العذاب والجحيم، غير أنّه أصبح مُعرض إلى الإفلاس لبعده عن طريق الخير ودرب الإحسان، فجميع أعماله وأفعاله اقتصرت فقط على أداء العبادات كالصلاة والصيام والزكاة، أمّا عن المعاملات وعلاقاته بالنّاس سلك طريق الشر والمعصية فكان مصيره الخسران والعذاب نتيجة لاقتراف الفواحش والمنكرات والسيئات متمثّلة في الشتم والسب والقذف وأكل المال بالباطل وسفك الدماء بغير حق وغيرها من المظالم الّتي دلّ عليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الخطاب، ويوم الحساب والجزاء يفقد المفلس كلّ حسناته، فثواب الصلاة يزول، وثواب الزكاة يزول، وثواب الصيام يزول، كل ما عنده من حسنات يزول فإن فنيت ولم تف بتسديد حقوق المظالم فيؤخذ من سيئاتهم وتطرح عليه، ثم يطرح في النّار. ويمكن أن نستخرج من هذا الخطاب الفوائد التربوية الآتية:

أ. معرفة مصير الظالمين والمفسدين وجزاء المظلومين و المحسنين يوم القيامة.

ب. استشعار عظمة الخطر والبلاء، فالعمل السيئ هو الذي يفسد العمل الصالح ويقود صاحبه إلى العذاب والجحيم وبئس المصير.

ج.وقاية النفس من شر الذنوب وأمراض القلوب بفعل الحسنات وترك السيئات.

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الميداني، روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم–دراسة لغوية وفكرية وأدبية–، دار القلم، دمشق، 1995م ، ص405.

د. على المتعلم أن يتدارك أعماله ويراجع أفعاله قبل أن ينتهي الأجل ويقع العدل الإلهي وذلك برد المظالم والحقوق لأصحابها والإقبال على الله عز وجل.

هـ. أن يبتعد المتعلم عن العمل الفاسد للحفاظ على حسناته من الزوال.

وفي موضع آخر تبلور هذا الأسلوب التربوي في الخطاب النّبوي حرصا على توجيه النساء وتعليمهن، **فعن عبد الله بن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال:" يا معشر النّساء، تصدّقن وأكثرن الاستغفار، فإنّي رأيتكنّ أكثر أهل النّار." فقالت امرأة منهنّ جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النّار؟ قال:" تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين، أغلب لذي لبّ منكنّ". قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدّين؟ قال:" أمّا نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدّين"**[1].

قدّم النّبي (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحوار توجيهات طلبيه خاصة بالنساء المؤمنات بأن يستبدلن الذنب أو الإثم بالصدقة والاستغفار، وأنّ يلزمن الحيطة والحذر من إنكار العشير والإحسان؛ لأنّهن لا يعرفن الجزاء والعقاب لهن إن عصين، ويبدو أن الأمر قد التبس عليهن فيمضي الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوضح المسألة بأسلوب المحادثة والحوار، وفي ذلك يقول **الإمام النّووي:**" إن أحكام الحديث ففيه الحث على الصدقة وأفعال البر والإكثار من الاستغفار وسائر الطاعات وفيه أن الحسنات يذهبن السيئات كما قال الله عز وجل، وفيه أن كفران العشير والإحسان من الكبائر فإن التوعد بالنّار من علامة كون المعصية كبيرة...كما أنّ اللعن من المعاصي الشديدة القبح...وفيه إطلاق الكفر على غير الكفر بالله تعالى ككفر العشير والإحسان والنعمة"[2].

---

[1]– صحيح مسلم، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، ككفر النعمة وحقوق، رقم 79، ص37.

[2]– صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، ج2، ص66–67.

إن ما يميّز هذا النص هو الطبيعة الحواريّة الّتي كانت مقتصرة على النساء غرضها الرئيسي التوجيه والتحذير، وما يتفرع عنها من أبعاد تواصلية متعدّدة من شأنها أن تغرس قيما تربوية تنعكس ايجابيا على سلوك المتعلمين، ويتجلّى ذلك في الأهداف التّالية:

أ. أن يستشعر المتعلم بعظم الذنب وآثاره وعواقبه الوخيمة.

ب. أن يدرك المتعلم فضل الزوج ونعمه.

ج. ترقيق قلب ومشاعر المتعلم بذكر الله والتوبة والصدقة والاستغفار.

د. أن يحذر المتعلم من سخط الله بالكفران والجحود لما يترتب على ذلك العذاب والجحيم.

أما الفوائد التربوية المستقاة من هذا الحوار:

1. تربية النفس على الخوف من عذاب الله يوم القيامة، وذلك بتطهيرها من شر الذنوب بكثرة الصدقة والاستغفار.
2. تربية الفكر على الإقرار بالذنب والتوبة، فالله غافر الذنب وقابل التوبة.
3. تربية العقل على تزكية النفس وعفة اللسان وضبطه بالعمل الصالح.
4. تربية السلوك على الاستقامة والطاعة وفعل الخيرات وترك الشبهات والمحرمات.

وبناء على هذا، يظل أسلوب الحوار الذي استعمله النّبي (صلى الله عليه وسلم) في دعوته والذي يستدعي السؤال والجواب من الوسائل التواصلية الهادفة الّتي يعتمدها المعلم كوظيفة أساسية لتوضيح المعلومات للمتعلم وإيصالها، في حين يستغلها المتعلم كوظيفة للسؤال والاستفسار والاستعلام.

وقد استمر النّبي (صلى الله عليه وسلم) على هذا الأسلوب التواصلي والنشاط العملي، كما جاء في حديث **أبي هريرة رضي الله عنه- أنّ النّبي الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلّى، ثم جاء فسلّم على النّبي-صلى الله عليه وسلم- فردّ النّبيّ عليه السّلام، فقال :" ارجع فصل فإنّك لم تصلّ"، فصلّى ثمّ جاء فسلّم على النّبي-صلى الله عليه وسلم- فقال:" ارجع فصلّ فإنّك لم تصلّ"، ثلاثًا، فقال: والّذي بعثك بالحقّ فما**

أحسن غيره فعلّمني، قال:" إذا قمت إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن، ثم اركع حتّى تطمئنّ راكعًا، ثم ارفع حتّى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتّى تطمئن ساجدًا، ثمّ ارفع حتّى تطمئن جالسا، ثمّ افعل ذلك في صلاتك كلها"[1].

نتج عن هذا الحوار فوائد معرفية تتمثّل في إظهار الخطأ والتركيز عليه ثم تصحيحه عن طريق الممارسة الفعلية أو العملية تستهدف حسن الفهم والاستيعاب، ولا شك أنّ النّبي (صلى الله عليه وسلم) جعل الرجل يمارس خطأه، وفي الوقت نفسه كان يأمره بأداء الصلاة أكثر من مرة ليتعرف المتعلم على الفهم الجوهري وإدراك صفة الصلاة الصحيحة، " فكان هذا الأسلوب المشوق أوقع في نفس المتعلم، وأدعى إلى قبوله وانطباع أعمال الصلاة في ذاكرته"[2]، موضحا بذلك خاصية معرفية نافعة تبرز الأحكام الأساسية للصلاة وسماتها الأصلية كالصبر، والخشوع والاطمئنان باعتبارها الغاية المقصودة، لأنّ " الصلاة زاد روحي كبير، يتزود به الصابرون الثابتون، فهم يسعدون بالاتصال بالله ومناجاته، ويأنسون بذكره وتطمئن قلوبهم إليه...وأن الصلاة تسكب في نفس المصلي المعاني الإيمانية، وتفيض عليه الفيوضات الربانية، وما أن يفرغ من صلاته حتى يكون قد تزود بالزاد الضروري لحياته، ولهذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأنس بالصلاة، ويرى قرة عينه فيها، وكان إذا حزّ به أمر فزع إلى الصلاة، وكان يجد فيها راحته وسلواه، وكان يقول لبلال رضي الله عنه :(أرحنا بها يا بلال)" [3].

تضمن الخطاب عدة أهداف رئيسية، تعمل على تنمية المعارف الفكرية والمهارات الفعلية والمدركات الحسية للمتعلمين، والّتي تشكّل أساسا نتيجة الخطاب، وهي كثيرة نجملها فيما يأتي:

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أمر النّبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يتمّ ركوعه بالإعادة، رقم793، ص97.

[2]– عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص214 .

[3]–ينظر: مجموعة من العلماء والدعاة، رسائل من نور، ط1، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، الأردن –عمان، 2011م–1432هـ، ص166.

- إدراك المتعلم أهمية الصلاة وعظم أمرها على سائر العبادات.
- استشعار السكينة والثقة أثناء أداء فرائض الصلاة.
- اطمئنان القلب في الركوع والسجود والجلوس.
- أن يتعلم حقيقة الصلاة لأنّها عماد الدين وقوامه.
- اكتساب المعرفة عن طريق الممارسة الفعلية أو العملية.
- وجوب الصبر والاحتمال في التعليم والتعلم.
- تعليم مهارة أداء الصلاة الصحيحة بأسلوب الإعادة والتكرار.
- عدم التسرع في تقديم الإجابة الصحيحة بعد تهيئة المتعلم لاكتشاف المعرفة بنفسه.

ووقع هذا الأسلوب التربوي أيضًا على الصحابة لمعرفة أمر قيام الساعة، **فعن أنس بن ملك رضي الله عنه قال: بينما أنا والنّبي صلى الله عليه وسلم خارجان من المسجد فلقينا رجلا عند سدة المسجد فقال: يا رسول الله متى السّاعة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" ما أعددت لها؟" فكأن الرّجل استكان، ثمّ قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبيرَ صيام ولا صوم ولا صدقة، ولكنّي أحبّ الله ورسوله، قال:" أنت مع من أحببت"**[1].

يستثمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) استفسار السائل في تقديم معطيات ضرورية بدلا من الإجابة عن السؤال المطروح ممّا يوحي ببيان عاقبة محبة الله ومحبة رسوله للمتعلم، قال **الطّيبيّ:** "سلك مع السّائل طريق الأسلوب الحكيم، لأنّه سأل عن وقت السّاعة، وأجاب بقوله:" **ما أعددت لها؟**" يعني: إنّما يهمك أن تهتم بأهبتها وتعتني بما ينفعك عند قيامها من الأعمال الصّالحة، فقال هو: **ما أعددت لها؟**"[2]، ثم إفادته أنّ أمر الساعة وعلمها إلى الله وحده لأنّ " مهمة النّبي صلى الله عليه وسلم ليست أن يتحدث إليهم عن تحديد وقتها... بل مهمته أن ينبه النّاس إلى وجودها من أجل أن يستعدوا لها في عملهم،

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب القضاء والفُتيا في الطريق، رقم 7153 ، ص752 .

[2]– ينظر: محمد صالح المنجد ، كيف عاملهم (صلى الله عليه وسلم)، ط3، السعودية، مجموعة زاد للنشر، 2016م، ص524.

كما أن تعيينها لا يخدم الفكرة الّتي يستهدفها الدّين في واقع النّاس من التركيز على الانضباط العملي من خلال الخوف من النتائج السيئة للأعمال الشريرة في يوم القيامة، ولهذا لم يُعرفها الله لنبيه ولم يعرفها للآخرين من خلقه"[1].

وقد أثبت (صلّى الله عليه وسلم) أنّ الاجتهاد في الطاعات دليل عملي على محبة الله ورسوله بشكل فعال وناجح من خلال إجابته الصريحة "**أنت مع من أحببت**"، حيث "يتجلى حبّ الإنسان لربّه بوصفه عبدا لله تعالى، عليه عبادته وطاعته والدعاء إليه والخشية منه، وشكره على نعمه، وإذا تملّك حبّ الله تعالى قلب الإنسان ظهر في كل عمل يقوم به، وفي كلّ سلوك يصدر عنه، بحيث تكون حركاته وسكناته منقادة لطاعة الله تعالى وموجّهة إلى فعل ما يحبّه سبحانه ويرضاه. ولذلك كان من واجب المسلمين أن يحبوا الله ورسوله ويعملون على طاعتهما، ولا يكون إلاّ بتمسكهم بتعاليم الإسلام، والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنّه القدوة الحسنة، والسّير على منهج هذا الدّين القويم"[2]. كما أخبرت آيات في القرآن الكريم وذلك بقول الحق تبارك وتعالى:﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ [3]﴾

عالج الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المسألة بأسلوب الحوار والمناقشة رغبة في التعليم والوصول إلى الحقائق المعرفية، من ذلك ما نصح به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لا يتم إلا بالنظر إلى هذه الأهداف ، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

- أن يحرص المتعلم على نيل محبة الله ومرضاته بالإتباع والاقتداء برسوله.
- أن يحسن المتعلم الاستعداد ليوم القيامة بالتقوى والطاعة والعمل الصالح.

---

(1)-ينظر: محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن-قواعده. أساليبه. معطياته، ج1، دار المنصوري للنشر، الجزائر ، ص181 .

(2)- ينظر: خالد عبد الرحمن العك، تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، ط7، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 2005 م، ص104-106.

(3)-سورة أل عمران، الآية:32/31.

- ترسيخ الإيمان وتثبيت العقيدة في نفس المتعلم بهدف الزهد في الدّنيا والاستعداد للآخرة.

ونستنتج من خلال ما سبق أنّ طريقة الحوار وسيلة تعليمية هامة وضرورية تجلت في التحاور النّبوي، إذ تسعى إلى تحقيق أمور عدّة من خلال التواصل التشاركي الفعّال قوامها الدقة والوضوح والقوة والفهم والتفاعل، ولعلّ هذه المزايا هي الّتي تبرر ذلك إزاء تحقيق مجموعة من الأهداف التربوية المنشودة الّتي تعود بالنفع والفائدة على المعلم والمتعلم، لذلك لابد على المعلم أن يستعمل هذه الوسيلة المناسبة للتبليغ ويحسن استغلالها ويجيد استخدمها أثناء أداء مهمة التربية والتعليم. وذلك " من أجل خلق روح التعاون والشراكة والتشاركية، والاندماج داخل فريق تربوي، وتعويد المتعلم على تقبل الآخر في إطار فلسفة التعايش والتسامح، ولا يمكن أن نخلق مجتمعا سويا يؤمن بالتعارف والانفتاح وضرورة التواصل إلاّ إذا طبقنا أسلوب الحوار في مدارسنا التربوية، وفصولنا الدراسية"[1]

ولكي تحقق طريقة الحوار أهداف عملية التربية، ينبغي على المعلم مراعاة المبادئ التالية:

1- إثارة السؤال المشوّق وصياغته قصد تشجيع المتعلم على التركيز والانتباه والتعليم.

2- الحرص على استثمار أسلوب الاستجواب وإتباع نهجه الحكيم في التعليم والتوجيه.

3- إدماج المتعلم من خلال تقديم معلومات واضحة وهادفة للمشاركة في العملية الحوارية.

4- استحضار أسلوب الحوار الفعال للحصول على المبتغى، تزويد المتعلم بمجموعة من المعارف المفيدة وبشكل أكثر من الاستفسار أو المطلوب.

5- الاهتمام بتساؤلات المتعلم وعدم تجاهله يفضي إلى نجاح العملية التعليمية والتربوية.

(1)-جميل حمداوي، التواصل اللساني والسميائي والتربوي، شبكة الالوكة ، ص56. www alalucah.net

6- الحرص على الإجابة عن التساؤلات الملائمة للمواقف التعليمية ممّا ينتج عن ذلك استيعابا جيدا للمعلومات.

ونضيف إلى هذا النمط أسلوبا آخر من الأساليب التواصلية اللفظية، وهي الأمثال الحسية الرفيعة الّتي اتخذها النّبي صلى الله عليه وسلم في خطابه كوسيلة تعليمية، بالإضافة إلى مميّزاتها من حيث قدرتها على التصوير والتمثيل والّتي ثبت وردها في الأحاديث النّبوية الشريفة.

ب- التواصل بأسلوب ضرب المثل:

ضرب الأمثال من الأساليب التواصلية الهادفة، تتجلى أهميتها التربوية والتعليمية في التعبير عن الأفكار وتصويرها وتوضيح الكثير من المعاني وتشخيصها وذلك بالتشبيه والتمثيل، "وصيغة المثل وما يشتق منها تفيد التصوير والتوضيح والظهور والحضور والتأثير، فالمثل هو الشيء المضروب الممثّل به الذي تتضح به المعاني وهو صفة الشيء أيضا"[1]، ويقول **الرازي:**" إنّ المقصود من ضرب الأمثال أنّها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه. وذلك لأنّ الغرض من المثل تشبيه الخفّي بالجلّي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقا للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح"[2]، وبالتالي فهذه الوسيلة تعمل على تشبيه المعاني الذهنية المجردة بالأشياء الحسية الملموسة ومن ثمّ وضوحها، وتؤدّي إلى تقريب الأفكار من الفعل وجعلها مفهومة، كما يؤدّي إلى إدراك المعنى وتكوين صورة أشد من الأفكار المجردة، بالإضافة إلى ما في التصوير والتشخيص الحي من الإثارة والمتعة ممّا يطرد السأم في الآخرين"[3].

وقد استخدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا الأسلوب التربوي في تعليم أصحابه أمور دينهم ودنياهم، وهذا ما قرره علماء البلاغة "إن ضرب الأمثال شأن عظيم في إبراز

---

[1]-ينظر: ابن القيم الجوزيّة، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ص28.

[2]- الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص 293.

[3]-ينظر: عقيل سعيد ملازاده، الحوار قيمة حضارية -دراسة تأصلية لمنهجية الحوار في الإسلام، ط1، الأردن، دار النفائس للنشر، 2010م، ص172-173

حفيّات المعاني، وقد أكثر الله سبحانه من ضرب الأمثال في كتابه العزيز، واقتدى النّبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك بالكتاب العزيز فكان يكثر من ذكر الأمثال في مخاطباته ومواعظه وكلامه"[1]، ومن أمثلة ذلك في بيان فضل هذا الأسلوب التربوي كما جاء في العديد من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، منها ما ذكره نعمان بن بشير رضي الله عنه، **عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الّذين في أسفلها إذا استقاموا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا، ونجوا جميعا**"[2].

جاء الخطاب ليبرز أهمية حرية العمل في حدود الشّرع ويكشف الأصول التربوية للروابط الإنسانية والعلاقات الاجتماعية الّتي يقوم عليها المجتمع المسلم بأسلوب التمثيل والتصوير لتوجيه نظر المتعلم إلى معرفة واقع المجتمع في حالة المعصية، بأنّه فساد عظيم يضر جميع النّاس، ولذا شبه المجتمع كأنه سفينة الحياة ووصف النّاس بأنّهم الركاب، وقد انقسم هؤلاء الركاب إلى قسمين بعد أن اقترعوا فيما بينهم، فريق في الأعلى وفريق في الأسفل حيث لا ينعمون بما ينعم به الآخرون، فيطلبون نصيبهم بثقب أسفل السفينة دون التطلع إلى حدود تلك الحرية، فإن تركوهم غرقوا في البحر، وإن منعوهم نجوا جميعا. وهكذا يقرر الحديث حقيقة مهمة متمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وهذه الوظيفة ضرورية لإقامة منهج الله في الأرض، ولتغليب الحق على الباطل، والمعروف على المنكر، والخير على الشر"[3].

---

[1]– عبد الفتاح أبوغدة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص 113.

[2]– صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم 2493، ص296.

[3]– أنور الباز، الإعجاز التربوي في القرآن الكريم ،ج1، مصر، دار ابن حزم، 2007م ، ص188.

فالحديث وضّح المفهوم الحقيقي للحرية، وذلك بأن يكون للإنسان الحق في أن يفعل ما يريد أو يمتنع عن عمل ما يريد دون إكراه من أحد، ولكن الحرية بهذا المعنى لها شروط تحدها لأنّه لا يصح أن يكون الإنسان حرا حرية كاملة مطلقة، لانّ الإنسان لو كان حرا حرية مطلقة لفسدت الدنيا، لكن حرية الإنسان حرية محدودة مقيدة بشروط ، وهذه الشروط هي عدم الضرر والضرار، فلا يضر الإنسان نفسه ولا يضر الآخرين. ويمكن أن نستشف من هذا الخطاب بعض الفوائد التربوية:

1.بيان صورة النّاس في الحياة على ثلاثة أصناف، أولها صنف قائم على حدود الله، وثانيها منتهك لها، أما الصنف الثالث يرى المنكر ولا يغيره فيقود المجتمع إلى الهلاك.

2.بيان أهمية الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق النصح والتناصح والتعاون ممّا يساعد على نشر الأمن والسلم والاستقرار،و الحرص على توثيق رابطة الأخوة والوحدة والألفة بين المؤمنين.

3.التحذير من السكوت عن المعصية وأثارها السيئة على المجتمع عامة، فالواجب المحافظة على سلامة الفرد والمجتمع.

وهناك ضرب آخر يحث فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المتعلمين على صحبة الأخيار والصلحاء والتحذير من صحبة الأشرار، فقد روى عن أبي موسى رضي الله عنه عن النّبي (صلى الله عليه وسلم) قال:" **مثل الجليس الصّالح والسّوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك، وإمّا تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحا طيّبة، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثةً**"[1].

لقد اقترن أسلوب التصوير بأسلوب الترغيب والترهيب، وهو بذلك يخاطب نفس وعقل المتعلم على أساس التعرف على حالتين متقابلتين والإطلاع على الصفات الّتي حددها الخطاب عن هاتين الحالتين، فالحالة الأولى: تشمل الصحبة الطيبة والصالحة فهي كحامل

[1]– صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم5534 ، ص 683 .

مسك يقدم الخير والنفع لكل النّاس إما بالعطاء أو الشراء أو اقتباس للرائحة الطيبة. وأما الثانية: الصحبة السيئة وهي حالة خطيرة تصور جليس السوء كنافخ الكير يؤثر على غيره بالشر والفساد إما أن يحرق ثيابه وإما أن يتلقى منه رائحة خبيثة يتخللها الدخان.وفي هذا التشبيه النّبوي الكريم أبلغ ترغيب في الخير، وأزجر تحذير عن الشر بأقرب أسلوب يدركه المخاطَبون، وفيه إرشاد إلى رغبة في صحبة الصُّلحاء والعلماء ومجالستهم، فإنها تنفع في الدنيا والآخرة، وفيه أيضا تحذير من صحبة الأشرار والفسّاق"[1].

تضمن هذا الخطاب مجموعة متعدّدة من التعليمات والتوصيات التربوية، فالغاية من ذلك هو الرغبة في تهذيب النفس وتقويم سلوك المتعلم أو تفعيل مهاراته الفكرية والفعلية بالنصح والتوجيه في كيفية انتقاء الأصدقاء وكيفية اجتناب أصدقاء السوء، تبعا لذلك ينبغي أن نقف عند هذه الأهداف كالأتي:

أ- استشعار أصل المصلحة والفائدة بمعية الجليس الصالح، وشر المضرة والمفسدة من الجليس السوء.

ب- استحباب صحبة أهل الخير والإيمان حتى يصل المتعلم إلى أسمى الدرجات وأرفعها عند الله تبارك وتعالى.

ج- كراهية إتباع أهل الضلال وأصحاب العقول الفاسدة حتى لا ينال المتعلم العذاب الأليم والجحيم السعير.

د- أن يحسن المتعلم اختيار الأصدقاء فالمرء على دين خليله، وأن يحذر المتعلم من فتنة رفقاء السوء ومكرهم و فجورهم.

ويستفاد من هذا الحديث الشريف أمران:

1- الترغيب في مجالس أهل التقى والصلاح والعلم، والإفادة من أخلاقهم الطيبة وسلوكهم واتجاهاتهم.

[1]- عبد الفتاح أبوغدة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص114.

2- الترهيب الشديد من مجالس رفقاء السوء والمعصية لما تفضي إليه من أثار سيئة ومدمرة.

إن شرح المادة التعليمية للمتعلم، لا يفيد إذا كان شرحا لفظيا فقط، بل يتطلب من المعلم أن يضرب الأمثلة الحسية لتقريب الفهم وتبسيط ما هو معقد من المسائل المقفلة من العلم، لأن المحسوس يقرب المادة المعرفية من ذهن التلميذ ويدلل الصعاب ويجعله يدرك كنه الأشياء والموضوعات وما تحمله من معرفة" [1].

ومما يلفت النّظر أيضا في الخطاب النّبوي اهتمامه الكبير بأسلوب التمثيل لتحقيق الغايات وتبليغ المقاصد للمتلقين، **فعن أبي موسى عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنّ مثل ما بعثني الله به عزّ وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها النّاس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفةً منها أخرى، إنّما هي قيعانٌ[2] لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً. فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الّذي أرسلت به"**[3].

بهذا المثل رسم النّبي (صلى الله عليه وسلم) صورة بارزة المعالم من خلال تشبيه النّاس بالأرض والعلم بنعمة الغيث الذي يهب الكثير من الخيرات، تزخر بها الأرض، ويتمتع بها النّاس، ويأتي الهدى والعلم موافقا للغيث في التصوير المعنوي لامتلاكه ثمرات وفوائد عظيمة يصعب حصرها، فالغاية من ذلك هو تزويد المتعلمين المؤمنين بمفاهيم جديدة ومعلومات مفيدة الّتي تمكنهم من إدراك فضل العلم والتعليم في المستويات الثلاثة التي حددها أسلوب الخطاب على النحو التالي:

---

[1]-ينظر: عسوس محمد، مقاربة التعليم والتعلم بالكفاءات، ص134 .

[2]- قيعان: جمع قاع، وهي: الأرض المستوية الملساء الّتي لا تنبت.

[3]- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي (صلى الله عليه وسلم) من الهدى والعلم، رقم2282، ص756.

1- المستوى الأول: أصاحب العلم العاملون به كمثل الأرض الطيبة الخصبة أخذت الماء فشربت فأثمرت خيرات عظيمة النفع.

2- المستوى الثاني: أصاحب العلم غير العاملون به مثل الأرض الصلبة أخذت الماء واحتفظت به على سطحها فلم تنبت نباتا ولا ثمرا ولكن النّاس انتفعوا به.

3- المستوى الثالث: الجهلاء أو العميان الذين لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعملون مثل الأرض السخبة أو الملساء لم تقبل ماء ولم تنفع أحدا.

تكمن أهمية الخطاب في أسلوب التمثيل الذي وظفه النّبي صلى الله عليه وسلم، ولعلّ هذه الخصوصية تعين على تحقيق مجموعة من الأغراض التربوية والتعليمية نشير إلى أبرزها كمايلي:

أ. استحباب العلم والهدى لأنّه أصل من أصول الدّين والطريق إلى الجنة.

ب. استشعار قيمة العلم الهادف وفضله بالاجتهاد والطاعة والتقوى وأثاره في الدنيا والآخرة.

ج. تزكية النفس من قبح الجهل وسوء عاقبته يقتضي الإقبال على القرآن والعلم والتعلم.

د. أن يلتزم المتعلم بأوامر الله ويجتنب نواهيه في سبيل طلب العلم النافع ونشره وتبليغه.

لنستخلص من خطاب النّبي (صلى لله عليه وسلم) أنّ الجهل أصل الشر والفساد لما يترتب عليه من نتائج وأثار سيئة على الفرد والمجتمع، وأن العلم حق ضروري في الحياة كنعمة المطر وحاجة النّاس إليه، وهنا حقق أسلوب ضرب المثل الغاية التربوية؛ وهي معرفة قيمة العلم وأهميته في حياتنا الدينية.

ولعرض محاسن القرآن الكريم، **فعن أبي موسى الأشعريّ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "مثل المؤمن الّذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيّب وطعمها طيّب، ومثل المؤمن الّذي لا يقرأ القرآن كمثل التّمرة، لا ريح لها وطعمها طيب، ومثل المنافق الّذي يقرأ القرآن مثل الرّيحانة، ريحها طيّب، وطعمها مرّ، ومثل المنافقِ الّذي لا يقرأ القرآن كمثل حنظلة، ليس لها ريح وطعمها مرٌّ"**[1].

[1]- صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، رقم 5427، ص 671 .

اشتمل الخطاب النّبوي على أسلوب التمثيل لذكر فوائد مهمة من خلال قراءة القرآن وتدبر آياته، فإن كان قارئا للقرآن ويعمل بما جاء به، فهو كالأترجة لها رائحة طيبة وطعمها طيب، وأمّا المؤمن الذي لا يقرا القرآن، فهو كمثل التمرة طعمها حلو ولكن ليس لها رائحة، وهكذا يدرك المتعلم بأنّ للقرآن الكريم شأن عظيم مثل فوائد الأترجة وثمارها المختلفة"، وهو وسيلة لمعرفة ما يريده الله منّا، وكيفيّة عبادته تبارك وتعالى، ومعرفة ما أنزله إلينا، لأنّ القرآن الكريم منهج حياة أنزله الله عز وجل، وهو أساس التّشريع الذي يجب على العباد أن يتدبّروه، ويلتزموا بأوامره، ويجتنبوا نواهيه ليحقّقوا عبادة الله تعالى"[1].

ثم وصف الحديث حال الفاجر(المنافق) الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة لها رائحة طيبة وطعمها مر، إلّا أنّ "قراءة الفاجر والمنافق لا ترفع إلى الله، ولا تزكو عنده، وإنّما يزكو عنده ما أريد به وجهه، وكان على نيّة التّقرّب"[2]، والفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها رائحة وطعمها مر. وبهذا التشبيه الجليل يؤكّد النّبي (صلى الله عليه وسلم) على أهمية قراءة القرآن للمتعلمين والعمل بما فيه وتحذيرهم من هجره للنجاة من عذاب الله والفوز بالنعيم، "ففي هذا الحديث تبيّن لنا فضيلة حافظ القرآن العامل بما فيه، وأنّ المقصود من التّلاوة هو العمل بما دلّ عليه القرآن، لا مجرّد تلاوته"[3].

اقتصر الحديث على تشبيه كلّ من المؤمن والفاجر الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ القرآن بنوع من النباتات المختلفة وذلك تقريبا للأذهان وتوضيحا للمعاني، والذي يعدّ تشبيها مميزا يعرض لحقيقة أنماط سلوكنا اتجاه القرآن الكريم والذي نزل أساسا لهداية الإنسان، وفيما يلي عرض لأهم الأغراض التربوية المقصودة :

أ. استشعار المنزلة العظيمة والغاية السامية للقرآن الكريم.

---

[1]-ينظر: محمود أحمد الدوسري، هجر القرآن العظيم-أنواعه وأحكامه، ط1، دار ابن جوزي، الرياض، 2008م-1429هـ، ص566.

[2]- فتح الباري شرح صحيح البخاري،ج13 ، ص657 .

[3]-محمود أحمد الدوسري، هجر القرآن العظيم-أنواعه وأحكامه ، ص588.

ب. استحباب القرآن الكريم لأنّه غذاء الروح والقلب ونفس القارئ و السامع.

ج. تذوق حلاوة الإيمان وطيب الكلام ولذة الإخلاص بتلاوة القرآن والعمل به.

د. تعويد النفس على قراءة القرآن وتدبره لأنّه سبيل التقوى وزيادة الإيمان.

هـ. إدراك معاني القرآن الكريم وأحكامه وأسراره ومقاصده العامة والخاصة.

و. ضرورة تبليغ كتاب الله وسنة رسوله، وكيفية التعامل مع الأحكام والشرائع.

ومن الفوائد التربوية هذا الخطاب:

1. وجوب قراءة القرآن ومدارسة آياته وأحكامه والالتزام بما فيه، لأنّ القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين ليكون هدى للمتقين.

2. الاستجابة للقرآن الكريم والاتعاظ بما فيه لأنّه من سبل النجاح والفلاح، والإعراض عنه ومعصيته سبب للهلاك والخسران.

3. التمسك بالقرآن الكريم والثبات على حقه من أعلى المراتب والمقامات الدنيوية والأخروية.

فالملاحظ من خلال أسلوب التمثيل الّذي تبناه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في سبيل نقل الأفكار وإثارة عواطف وانفعالات المتعلمين ممّا يعكس رؤيتهم الايجابية للخطاب، بأنّه أسلوب يعين على تقريب الفهم ويعزز العملية التعليمية ويحقق مجموعة من الأغراض التربوية، لذا نجده "أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع ، وقد حفل القرآن الكريم والأحاديث النبوية بالأمثال تضرب للتذكرة والعبرة، واستعان بها الداعون في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق، ووسائل التربية في الترغيب أو التنفير أو المدح"[1]، لذلك نرى أن ضرب المثل يقوم على أسس ومميزات، ويمكن إيجازها في النقاط الآتية:

[1]-ينظر: مصطفى محمد طحان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ط1، دار المعرفة، بيروت-لبنان ،2006م-1427هـ، ص171 .

1. ضرب الأمثال تلفت الأنظار والانتباه نظرا لعنايتها الشديدة بالحالة الوجدانية والنفسية للمتعلم.

2. ضرب المثل وسيلة مهمة لدعم التفكير ونجاح العملية التعليمة من شأنها تثمين معارف المتعلمين.

3. تعميق الفهم المعنوي وزيادة وضوحه من خلال استخدام الأسلوب الحسي.

ونجد أيضًا في الحديث النّبوي أسلوبا آخرا منتميا إلى فن القصة ينبغي أن نحدد طرقه التواصلية وخصائصه الخطابية بما يحقق البعدين التأثيري والتعليمي لدى المتعلم.

ج- التواصل بأسلوب القصة:

يعتبر أسلوب القصة من أهمّ أساليب التربية الحديثة، " لما لها من تأثير نفسي في الأفراد خاصة إذا ما وضعت في قالب مشوّق يشد الانتباه، ويؤثر في العواطف والوجدان، ويجذب الذهن إلى محتواها فيتفاعل معها المتلقي، ويتقمص بعض شخصيات القصة فيحس بإحساسها، فيستشعر بانفعالاتها، ويرتبط نفسيا بالمواقف التي تواجهها فيسعد بسعادتها ويحزن لحزنها، وهذا ما يثير فيه النوازع الخيّرة لا شعوريا وينعكس في سلوكه وتصرفاته"[1]، وأسلوب القصة في القرآن الكريم ليس عملا فنيًا مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو شأن في بقية القصص الفنية، إنّما هو وسيلة من الوسائل التربوية والدعوية"[2]، لأن القرآن الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعيم والعذاب، والأدلة التي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضربها"، وشأنها شأن أساليب الاستدلال، والمناظرة والتعجيز والوعد

---

[1]-ينظر:عبد الحميد الصّيد الزناتي، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ط2، دار العربية للكتاب، تونس، 1993م، ص217.

[2]- ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، 2004م، ص143 .

والوعيد"[1]، وغير ذلك من الأغراض والمقاصد الّتي " تسهم في بناء الشخصية الإسلامية من خلال توصيل المعلومات والحقائق بطريقة شيقة لذيذة، وتربية المتعلمين تربية خلقية صحيحة، فهي تضع المثل أمامهم وتستثير ميلهم إلى التقليد وتحريك قابليتهم للاستهواء"[2].

و كان النّبي (صلى الله عليه وسلم) أول من سلك نهج القرآن الكريم، وترسم خطاه في توظيف القصة من أجل نشر الوعي وتعميق مبادئ الإسلام في النفوس، حيث نجده صلى الله عليه وسلم يتخذ من القصة أسلوبا مهما من أساليب الدعوة والتربية، يحملها قيم الإسلام ومعانيه، ويربي عليها الصحابة من جيل الإسلام الأول، ويوجههم من خلالها إلى استلهام هذا الدين عقيدة في الفكر والتصور وطريقة في السلوك وواقع الحياة، و فوق ذلك، كان صلى الله عليه وسلم يتلقى طلبا من الصحابة وغيرهم بأن يقص عليهم بعض الأخبار الماضية لتعجيزه أو لبيان صدق نبوته، كما يوحي لهم بذلك أهل الكتاب، فكان صلى الله عليه وسلم يقص عليهم من القرآن، كما كان يُفصّل أحيانا بعض قصص القرآن الكريم"[3].

وإذا ألقينا الأضواء على الأحاديث النّبوية الشريفة نجدها حافلة بالقصص الّتي لا تنفصل حتما عن الدروس التعليمية والتربوية بمقدمتها وخلفياتها وأبعادها ممّا تحدث أثارا قوية في نفس وذهن المتعلم، ونذكر على سبيل المثال القصة المشهورة "للرجل التائب"، **حدّثنا معاذ بن هشام، حدّثني أبي، عن قتادة، أبي الصّدّيق، عن أبي سعيد الخدريّ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدلّ على راهب، فأتاه فقال: إنّه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل لي من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثمّ سأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على رجل عالم، فقال: إنّه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين**

---

[1]–ينظر: سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000م، ص306.

[2]– ينظر: مصطفى محمد الطحان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ط1، دار المعرفة، بيروت–لبنان ، 2006م، ص174.

[3]– ينظر: مصطفى رجب، السنة النبوية رؤية تربوية، ط1، دار العلم والإيمان، الإسكندرية، 2008م، ص345 .

التّوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإنّ بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنّها أرض سوء، فانطلق حتّى إذا نصف الطّريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرّحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرّحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنّه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدميّ، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى آيّتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض الّتي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة"[1].

يستعرض هذا الخطاب قصة تاريخية تعليميّة مثيرة للانتباه تستهدف مقاصد دينية وتربوية، وهي وسيلة توافق الحاجات النفسية والقدرات العقلية لطبيعة المتعلمين للتزود بجميع المعارف اللازمة وما ينبغي أن يتعلموه من تلك العبر ومزاياها العظيمة خاصةً إذا علموا أن الله تعالى يتوب على عبده حينما يقرر المرء التوبة والرجوع إليه عن طريق التغيير الجذري في سلوكه وأخلاقه حتى ينال رضا ربه ومحبته، تمامًا كما فعل الرجل الذي قتل تسعة وتسعين ثم أكملها مائة نفس حينما قتل العابد الذي أخبره أنه ليس له توبة، "فقد أخبرنا رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) أن هذه قصة رجل أسرف على نفسه في الذنوب، وكان من أمره أنه قتل مائة نفس، وقتل النفس أمره عند الله عظيم، ووزره كبير ولكن لا يوجد ذنب لا تسع صاحبه رحمه الله، فالله يغفر الذنوب جميعا إذا أناب العباد وتابوا، وعندما طرق هذا الذي أسرف في سفك الدماء باب ربه بصدق، وعاد إليه تائبا منيبا، غفر له ذنبه ورحمه" [2].

من الملفت للنظر أن سياق الحديث يشير إلى درس تربوي عظيم يتمثل في التوبة ومراجعة النفس ومحاسبتها مع الله تبارك وتعالى، وما يترتب على ذلك من أهداف مهمة أخرى نقف عندها كالأتي:

أ. استشعار عظمة الله وشمول رحمته وعفوه ولطفه بالعباد لمن تاب وأناب.

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، برقم 2766 ، ص890-891.

[2]- عمر سليمان عبد الله للأشقر، صحيح القصص النبوي، ط1، دار النفائس لنشر والتوزيع، الأردن، 1997م، ص245.

ب. بطهارة النفوس والقلوب من المعاصي والذنوب وذلك بالرجوع إلى الله.

ج. تربية الوجدان على الاعتراف بالخطأ والذنب قبل فوات الأوان.

د. استرشاد أهل التقى والعلم في جميع المسائل والأمور.

والفوائد التربوية المستقاة من هذه القصة:

1. أن يأخذ المتعلم العبرة والعظة من القصص النّبوي لمن أراد أن يكون مستقيما ملتزما.
2. أن يحرص المتعلم على إتباع القوم الصالحين و التزام جماعة المسلمين.
3. من فضل الله تعالى ورحمته أنه يقبل توبة التائبين إذا ندموا ولم يعودوا إلى المعصية.
4. التحذير من الغفلة عن التوبة، فعلى المذنب أن يستيقظ من غفلته.
5. ترك البيئة الفاسدة بيئة الصالحة، لأن البيئة بلا شك تساعد الإنسان على تغيير قناعاته وسلوكياته وحياته.

وعن أبي صالح السّمّان عن أبي هريرة رضي الله عنه –أن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: " بينما رجل بطريق اشتدّ عليه العطش فوجد بئرًا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثّرى من العطش، فقال الرّجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الّذي كان بلغ منّي، فنزل البئر فملأ خفّه ماء، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له"، قالوا: يا رسول الله وإنّ لنا في هذه البهائم لأجرًا؟ فقال:" في كلّ ذات كبد رطبة أجر"[1].

يسوق الحديث مشهد آخر من مشاهد الحياة المؤثرة في قالب قصصي حكيم بما يفيد إثراء الحصيلة المعرفية لدى المتعلمين وذلك بإدراك قيمة العمل الصالح فهو الأساس للنجاة في الآخرة، حيث يقدم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة لهذا الرجل الذي شعر بآلام العطش في حر الشمس، فعظم الأمر وأشفق على هذا الحيوان وأدرك أن الكلب يعاني نفس الألم الذي أصابه ولكن بصورة مغايرة وبمشقة كبيرة، فنزع خفه ونزل البئر فملاه ماء ثم أمسكه بفمه ليعالج الصعود العسير بيديه، فصعد فوضع الخف أمام الكلب، فشكر الله له، فغفر له بسبب إحسانه إلى هذا الحيوان. وقال السامعون من الصحابة – وقد عجبوا لهذا

[1]– صحيح البخاري، كتاب المظالم ، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذى بها، رقم 2466 ، ص292 .

الأمر العظيم- كأن لنا في سقي بهائمنا أجرا يا رسول الله؟، وجوابه صلى الله عليه وسلم (**في كل كبد رطبة أجر)** " معناه في الإحسان إلى كل حيوان بسقيه ونحوه أجر، وسمي الحي ذا كبد رطبة لأن الميت يجف جسمه، وكبده، ففي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى الحيوان المحترم"[1].

ومن المعلوم أن هذا الحديث تناول قصة واقعية تتضمن أحكام وعظات وعبر تربوية ترسم للمتعلم صورة واضحة المظاهر عن علاقة الإنسان بالحيوان، ويتجلى لنا هذا الأمر بوضوح من خلال الأهداف التالية:

أ- إدراك فضل الله تعالى بأنّه جزيل العطاء على قدر العمل.

ب- الشعور بأحداث القصة برهافة الإحساس والاستعدادات العاطفية الميالة إلى حب الخير والبر والمعروف.

ج- أن يتذكر المتعلم رحمة الله بعباده المؤمنين الذين يقدمون الأعمال الصالحة والنافعة في الدّنيا والآخرة.

ومن أهم الفوائد التربوية في هذا الحديث نذكر ما يلي:

1. إثارة تفكير المتعلم بأسلوب القصة بغية تثبيت العبر والمواعظ والأحكام.
2. تربية نفس المتعلم على الرحمة والشفقة والمعاملة الحسنة حتى مع الحيوان.
3. تكفير الخطايا والسيئات بالأعمال الصالحة النافعة في الدّنيا والمجازى بها في الآخرة.
4. الحذر من الإساءة للحيوان ووجوب العطف عليه ومعاملته بالحسنى.

لقد وظّف النّبي (صلى الله عليه وسلم) الأسلوب القصصي المتميّز في إبلاغ رسالته، فلأنّه "أدرك أثر القصة في النفوس، باعتبارها أسلوبا من أهم أساليب الدعوة، وأجاد استعمالها بما أبدع في قصصه من وسائل وصورة بيانية للمعاني، من أجل وضوح الفكرة وإبرازها في صور رائعة مؤثرة كشفا لحقائق الدين، وتصويرا لمكنونات النفوس، وتحليلا

[1]- شرح صحيح مسلم بشرح النووي، ج13، ص461 .

للدوافع النفسية"[1]، ليصبح "من أساليب التعليم الذي يوظف في المواقف الدراسية المختلفة، ويستند إلى قصة تربوية هادفة يسردها المعلم على المتعلمين بهدف تعزيز قيمة أو اتجاه، كما أنه يشمل أهدافا لغوية وثقافية ومعرفية واجتماعية أخرى، وفقا للأهداف التعليمية المتوخاة"[2]، إذن فلابد أن يتّخذه المعلم أو المربي مطيّة لتوصيل المعلومات والعبر بأسلوب قصصي شيق وجذاب يستثير قلب المتعلم ويؤهله لأن يستفيد منه، وبالتالي يجعله في خدمة الهدف التربوي.

كما يمكننا أن نستفيد أيضا من وظيفة التكرار في سياق الخطاب كأسلوب تربوي قد يصنف إلى جانب الوسائل التعليمة الأخرى على النحو التالي:

د-التواصل بأسلوب التكرار:

أُتخذ أسلوب التكرار وظيفة خاصة في تبليغ الخطابات، تكمن قدرتها التواصلية في توكيد الدلالات وتقريرها، إما بتكرير اللفظ أو المعنى، والتكرار" أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثيرها، واللفظ المكرر منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على صورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماما عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيها"[3].

ويمثّل هذا الأسلوب وأثره العظيم في القرآن الكريم عنصرا أساسيا من عناصر التبليغ ، إذ إنه يجمع بين الوظيفة البلاغية والإقناعية للخطاب، لذلك " اهتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بوسيلة التكرار لفاعليتها في شرح وتثبيت كثير من القواعد والتعاليم الدينية، خاصة في مثل هذا المجتمع الأمي الذي كان يتحدث إليه، وكان (رسول الله صلى الله عليه وسلم)

---

[1]- ينظر: عبد الجليل العشراوي،الحجاج في الخطابة النبوية، ص109 .

[2]-ينظر: ماجد زكي الجلاد، تعلم القيم وتعليمها-تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتجيات تدريس القيم، ط3 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2010م، ص119-120.

[3]-ينظر: عز الدين علي السيد، التكرار بين المثير والتأثير، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1986م، ص136 .

يعيد كلامه لتعليم المسلمين وتوجيههم، ويستوعبوا ما يوجههم إليه ويتيقنوا ممّا يأمرهم به"[1]، فعن أنس رضي الله عنه قال أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم "**إذا تكلّم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تُفهَمَ عنه، و إذا أتى على قومٍ فسلّمَ عليهم سلّم عليهم ثلاثاً**"[2].

فقد أُثر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) توجيهات كثيرة، تضمنت أسلوب الإعادة والتكرار حيث يمكن توضيح ذلك من خلال حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- عن محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

" **كُلُ سُلاَمَى**[3] **مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَومٍ تَطلُعُ فِيهِ الشَّمسُ،" قال:" تعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرّجل على دابّته، فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، قال:" والكلمة الطّيّبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصّلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطّريق صدقة**"[4].

جاء الحديث الشريف بأسلوب بليغ معجز يفيد التكرار والتوكيد حتى ندرك أن الصدقة عبادة عظيمة تشمل كل الجوانب الخيرية للإنسان، وأن نعلم ما فيها من أنواع مختلفة وما يلحقها من أجر عظيم فهي لا تقتصر على المال فحسب، بل تقترن بأعمال صالحة كثيرة، ومن هذه الصدقات:

1- تتمثل صدقة البدن في ذكر الله وشكر نعمه، أي" أنّ تركيب هذه العظام من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاج كلّ عظم منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه، ليكون ذلك شكرا لهذه النعم"[5] .

2- يعتبر الصلح بين المتخاصمين بالعدل والإنصاف صدقة، نظرا لخطورة الأمر لما يفضي إليه من التعادي والتفريق بين المؤمنين.

---

(1)- سعيد إسماعيل علي، السنة النبوية رؤية تربوية، ص392.

(2)- صحيح البخاري، كتاب العلم، برقم94، ص22.

(3)- سلامي: العظام التي بين كل مفصلين من أصابع الإنسان، ومعنى الحديث على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة.

(4)- صحيح مسلم، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم1009، ص303 .

(5)- الإمام ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 2008م/1429هـ، ص550.

3- تقديم المعونة ومساعدة الآخر إحدى أنواع الصدقات الدالة على زكاة النفس بالإحسان.

4- الصدقة بالكلمة الطيبة من مظاهر العطاء والسخاء، و هي من علامات إدخال السرور على قلب المؤمن ب " كلمة رقيقة لا تؤذي المشاعر ولا تخدش النفوس، جميلة في اللفظ والمعنى، يشتاق إليها السامع ويطرب لها القلب، كما أنها طيبة الثمار، نتائجها مفيدة، وغايتها بنّاءة، ومنافعها واضحة، و فوق ذلك فإن أصلها ثابت"[1].

ويمكن أن نستخرج من هذا النص فوائد كثيرة موجّهة للمخاطبين، منها:

- المشي إلى الصلاة صدقة للحصول على المزيد من الأجر والثواب.
- إزالة الأذى عن الطريق أنفع لصاحبه فيما يناله من الأجر العظيم كأجر الصدقة.
- إدراك فائدة بعض الأعمال الصالحة التي عظّم الله سبحانه وتعالى ثوابها وأجرها كأجر الصدقة.
- استشعار رقابة الله عز وجل في كل الأعمال في الدنيا و المجازى لها في الآخرة.
- الحرص على التقرب إلى الله بفعل الصدقات، فالصدقة ليست مقصورة على المال بل تشمل عدة أعمال صالحة بما تعود بالنفع والفائدة على صاحبها يوم القيامة.
- تعظيم أمر الصدقة في قلب المتعلم، وتعظيم كل ما له علاقة بالعمل الصالح.
- تبيين أن شح النفس والإمساك عن الأعمال الصالحة والقسوة والغلظة من المحرمات والمعاصي.
- التمييز بين الخير والشر وبين الطيب من الخبيث بغية الفوز برضوان الله وجنته.
- الترغيب في القيام بالأعمال الصالحة والنافعة في الدنيا والآخرة بأسلوب التكرار.

وورد أيضا موقف آخر لأسلوب التكرار في الخطاب النّبوي احتراما للمرأة والرفع من شأنها وقدرها على النحو ما هو معروف عن وصية، **فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى**

[1]- ينظر:عقيل سعيد ملا زاده، الحوار قيمة حضارية -دراسة تأصلية لمنهجية الحوار في الإسلام، ص156.

الله عليه وسلم قال: " استوصوا بالنّساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإنّ أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنّساء" [1].

يحمل الخطاب معارف ومعلومات ضرورية فيها توصيات وتوجيهات حددها النّبي صلى الله عليه وسلم، ولكنها اقتصرت على الآباء والإخوة والأزواج وغيرهم أن يستوصوا بالنساء خيرا، ثم يعلمهم ويذكرهم الأصل الذي خلقت منه المرأة، فقال في فاتحة القول **(استوصوا بالنساء)** "يعني اقبلوا هذه الوصية التي أوصيكم بها، وذلك أن تفعلوا خيرا مع النساء، لأن النساء قاصرات في العقول، وقاصرات في الدين، وقاصرات في التفكير، وقاصرات في جميع شؤونهن، فإنهن خلقن من ضلع" [2]، ثم وضح لهم طبيعة خلقتهن حتى يكون ذلك أدعى للعمل بتلك الوصية، "فقال: **(فان المرأة خلقت من ضلع)**، وقال: **(وإن أعوج شيء في ضلع أعلاه)** أي أن أعوج ما في المرأة لسانها، **(فان ذهبت تقيمه كسرته، وان تركته لم يزل أعوج)** قيل هو مثل للطلاق أي إن أردت منها أن تترك اعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها"[3].

وكرر في خاتمة القول **(فاستوصوا بالنساء)** " وإنّما كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يكرر وصيته بالنساء، لما يعلمه من حالهنّ التي قد لا يقدر على تحمّلها بعض الرجال الذين لا يملكون أنفسهم عند الغضب، فيحمله عوج المرأة على أن يفارقها، فيتفرق شمله، وتتشتّت أسرته وأهله"[4]. ولم يقتصر غرض الحديث على هذه الجانب فحسب، وإنما تناول أغراض أخرى لبلوغ الغاية التربوية، ويمكننا توضيح ذلك في النقاط الآتية:

أ. أن يتعرف المتعلم على أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر وقيل من ضلعه القصير.

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم3331 ، ص 402.

[2]-محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، ج4، ص272 .

[3]- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: عبد القادر شيبة الحمد، كتاب الأنبياء، الرياض، 2001م، ص424 -425.

[4]- ينظر: محمد صالح المنجد، كيف عاملهم صلى الله عليه وسلم، ط3، الرياض، مجموعة زاد للنشر، 2016م-1437هـ، ص58.

ب. استشعار عظمة طلب الوصية المكررة ليلتفت المتعلم إلى أهميتها وقيمتها.

ج. أن يكون المتعلم حكيما لطيفًا لينًا في التعامل مع المرأة حتى لا يكون سببا في الطلاق لما يترتب عليه من نتائج سيئة وعواقب سلبية.

ومن فوائدها التربوية كما جاء في هذا الخطاب :

1- وجوب الإحسان إلى النساء، وذلك بتقويم النفس وتهذيب السلوك باحتمال عوج أخلاقهن وتصرفاتهن وتوجيههن إلى طريق خير.

2- ضرورة تطبيق هذه الوصية النافعة التي تحث الرجال على الرفق بالنساء، وأنّه لا مطمع في استقامتهن طالما أن المرأة لا تستطيع التحكم في أعصابها والقدرة على كضم غيظها.

3- بيان سبب تقديم الوصية وتكرارها على المتعلمين، وفي ذلك تحذير وتنبيه من الإساءة إليهن بالقول أو الفعل.

وهكذا يتبين لنا أن هذا الأسلوب نوع من أنواع الوسائل التعليمة الفعّالة في تأكيد المعارف لدى المتلقي وترسيخها، لذا نجد" أدباء العصر الحديث قد تنبهوا إلى أهمية هذا النمط الأسلوبي فاعتبروه من بين أهم الخصائص الفنيّة الّتي يتميّز بها الكلام الراقي عامة، وقد خصصت الباحثة العراقية (نازك الملائكة) فصلا كاملا للتكرار في كتابها (قضايا الشعر المعاصر)، ونوهت بهذه الخاصيّة الأسلوبية، كما اهتمّ علماء الأسلوب به ووضعوا له جداول إحصائية، وبيّنوا أغراضه وأسراره في الكلام، ولم يغفل علماء التربية والتعليم عن التكرار ، حيث اعتبروه من بين أهمّ الوسائل التعليمية"[1] ، خصوصًا وأنه يزيد من نسبة الاحتفاظ بالمعلومة، وكذلك بقاء أثر التعلم بشكل أكبر، وهي طريقة فعّالة يحصل بها التفاعل بين المعلم والمتعلم. وأوضح مثال على ذلك:

[1]- ينظر: نصر الدين بن رزق، الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم، دار هومة، الجزائر، 2013م، ص77 .

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "بينما أنا رديف النّبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلاّ أخرة الرحل فقال:" يا معاذ، بن جبل" قلت: لبّيك رسول الله وسعديك. ثمّ سار ساعة ثمّ قال "يا معاذ" قلت : لبّيك رسول الله وسعديك. ثمّ سار ساعة، ثمّ قال:"يا معاذ" قلت لبّيك رسول الله وسعديك. قال: "هل تدري ما حقّ الله على عباده؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال:" حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا". ثمّ سار ساعة ثمّ قال:" يا معاذ بن جبل". قلت: لبّيك رسول الله وسعديك. فقال:"هل تدري ما حقّ العباد على الله إذا فعلوه؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حقّ العباد على الله أن لا يعذّبهم".[1].

ومن المعلوم أنّ النّبي (صلى الله عليه وسلم) حريص على تنمية الجانب التعبدي للمتعلم نتيجة الإيمان بوحدانية الله ومعرفة الحق العظيم الذي خلق من أجله العبد بالإضافة إلى جزائه وثوابه الجسيم في الآخرة، وهذا الحرص دل عليه أسلوب الإعادة والتكرار وما نتج عنه من إثارة العواطف والانفعالات قصد الانتباه والاهتمام ، مع استخدام أسلوب النداء **(يا معاذ بن جبل)** وأسلوب الاستفهام **(هل تدري ما حق الله على عباده؟)** ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم، ويأتي هذا الأسلوب (التكرار) يبين عظم شأن هذه المسألة التي تقتضي وجوب العبادة والطاعة، لذلك حث النّبي صلى الله عليه وسلم على أن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أما حق العباد على الله إذا هم عبدوه ولم يشركوا به شيئا ألا يعذبهم فهو حق مكافأة وتكريم يستهدف تثبيت عقيدة التوحيد في النفوس المؤمنين.

أما بخصوص الأغراض التربوية، فإن الرسول (صلى لله عليه وسلم) كشف من خلال خطابه عن أهم مقاصد الرسالة المحمدية ككل، وقد أمكننا إيجازها في النقاط الآتية:

- تربية المشاعر والعواطف على خشية الله، وتقواه نتيجة الإيمان بالله، فالدنيا دار العمل والآخرة دار الجزاء ممّا سيؤدي حتما إلى ضبط سلوك المتعلم وتصرفاته.
- أن يؤمن المتعلم بأن الشرك بالله ذنب عظيم وسبب لدخول النار.

[1]- صحيح البخاري،كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم5967 ،ص724.

- إخلاص الطاعة والعبادة بجميع الأعمال والتصرفات والسلوكيات حق وواجب.
- التأكيد على أهمية الاستمساك والاعتصام بالدين الإسلامي عن طريق أسلوب التكرار.
- ضرورة توجيه المتعلمين بما ينفعهم ويقربهم من الله عز وجل للحصول على ثوابه ورضوانه.
- بيان حق عبادة الله وتوحيده، ووجوب اتقاء عذابه يوم القيامة بالإيمان والأعمال الصالحة.

تبلورت غاية أسلوب التكرر في إثارة انتباه المتعلم وجذب فهمه لاستقبال معلومات مفيدة ومحدّدة، توافق قدراته الذهنية وإمكانياته العاطفية الّتي تعكس المظاهر السلوكية الايجابية للمتعلم؛ ذلك لأنّه "يناسب الهدف التعليمي الراقي الذي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينشده في دعوته، ولعله ينسجم مع مراعاة الفروق الفردية في التلقي، فرسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخاطب النّاس على قدر عقولهم، والفكرة الواحدة تتلقاه الأذهان بسرعات متفاوتة، وتترسخ دلالاتها في العقول بتدرج، بحيث يحمل الدال دلالة ويضيف الدال المكرر دلالة أخرى"[1]. نتيجة استخدام هذا الأسلوب الهادف لاسيّما في مجال التربية والتعليم، و لذلك " لابد من أن يرتكز أسلوب التكرار على بعض الجوانب الخاصة بشخصية المتعلم، كالميول والرغبات والدوافع، بحيث لا يصبح التكرار عملية منفصلة عن العوامل الأخرى المساعدة، وأصفى صورة لدور التكرار في عملية التعلم تتبدى في تعليم اللغات، فاكتساب العادة اللسانية قائم أساسًا على أسلوب التكرار، إما تكرار التلفظ بمتوالية صوتية معينة، أو تكرار التلفظ ببنية تركيبية محدّدة إلى غير ذلك من مكونات النظام اللّساني لدى المتعلم، وتكرار عامل ضروري في العملية التعليمية بعامة، وتعليمية اللغات بخاصة"[2].

---

[1]– ينظر: فوز سهيل كامل نزال، التكرار في طائفة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السابع، العدد الأول،2011م، ص163.

[2]- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ص55.

ما يمكن استخلاصه من خلال دراسة هذه الوسائل والأساليب، أن عملية التواصل التربوي اللفظي تقوم على تفاعل ثلاثة عناصر أساسية، وهي:

1-المعلم: وهو الذي يقوم بدور مهم وفاعل في العملية التعليمية، حيث يراعى مستوى المتعلم وميوله ورغاباته، وذلك بالاختيار طريقة واضحة ومناسبة للمواقف التعليم، والأسلوب السهل الخال من التعقيد الذي يمكن للّمعلم أن يستعين به لبلوغ أهدافه التربوية، وتمكين المتعلم من إبراز دوره الفعّال والايجابي .

2- المتعلم: فلا يقتصر دوره على تلقي المعلومات فحسب، بل نلمحه بشكل واضح وجلي في الاستعداد التام لاستيعاب ما يتلقاه من المعلم، فالرغبة والاستعداد ضروريان لإنجاح العملية التعليمية.

3- الأسلوب: يعدّ أهم خصائص التعليم، حيث تفرض على المعلم " تنفيذ طريقة ما بصورة مميزة عن غيره من المعلمين الذين يستخدمون نفس الطريقة لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف المحددة مسبقا"[1] ، لذلك لابد من طريقة بيداغوجية ناجعة وملائمة يستثمرها المعلم لإنجاح الموقف التّعليمي وبلوغ الأهداف التربوية المسطرة الّتي تسهم في إكساب المتعلم للفعل التربوي من جهة، ومدى تحقيقه من جهة أخرى، وهذا ما يميز العملية التّعليميّة عن بقية العمليات التواصلية.

ولعلّ هذه العناصر تعدّ القطب الروحي للمرجعية المعرفية للنظرية اللسانية المعاصرة بخلفيتها الفلسفية ومفاهيمها واصطلاحاتها وإجراءاتها التطبيقية، وكانت الغاية من ذلك كله هو إضفاء الشرعية العلمية على الصلة المنهجية الوثيقة بين النظرية اللسانية العامة وتعليمية اللغات من حيث إجراء تطبيقي لهذه النظرية في حقل تعليم اللغات للناطقين بها

---

(2)-محمد محمود ساري حمادنة، خالد حسين محمد عبيدات، مفاهيم التدريس في العصر الحديث(طرائق أساليب استراتجيات، ص12.

وللأجانب"[1] ، وذلك من خلال صياغة وضبط معايير فاعلة الّتي تنظم نشاط كل ممارسة تعليمية بشكل جيد ومنظم ومنطقي .

رأينا إذن كيف ركز النبي (صلى الله عليه وسلم) على الأساليب اللفظية لتبليغ الرسالة التربوية ومقاصدها، وذلك لما لها من تأثير قوي على نفوس المتلقين، كما سوف نقف على ذلك في مقام التواصل التربوي غير اللفظي من هذه الدراسة.

ثانيا–التواصل التربوي غير اللفظي:

يعدّ التواصل غير اللفظي سلوكا اجتماعيا يتميّز بالحركات والإيماءات الّتي تقوم مقام الكلام لبلوغ الأهداف التواصلية المحدّدة؛ وذلك لأنّه لغة تستثير العقول والعواطف بفاعليتها المتجلية في قدرتها على القيام بمهمة التبادل والتفاعل، وعلى هذا النحو نجد عددا كبيرا من العلماء يهتمون بهذه المسألة ويولونها عناية كبيرة فمنهم من لاحظ "بأنّ هناك جزءا كبيرا من المعلومات التي يتناقلها النّاس فيما بينهم، وعن بعضهم، إنّما تجري بواسطة المؤشرات والحركات الجسدية، وقلّما يتناقل النّاس المعلومات شفويا دون اللجوء إلى إشارات وحركات جسدية تتناسق مع التناقل الشفوي، يستعمل النّاس هذه الإشارات والحركات(الاتصال غير اللفظي) إما للتأكيد على صحة ما يقال، أو لإثارة الشك، أو لإخفاء شعور باطني لا يريد المتكلم أن يبوح به، أو للإيحاء باتجاه معيّن، وهناك من يستعمل الكثير من الحركات الجسدية كمرادف لما يقوله شفويا أثناء التحدث"[2].

وهذه الحركات والإشارات لا تأتي اعتباطا، بل تتم عن طريق معان محدّدة متميّزة، يعنيها المتحدث ويفهمها المتلقي؛ ومعنى ذلك اتفاق الطرفين على استخدام هذه الرموز للتعبير عن الدلالات المقصودة، ويفهم من ذلك أن هناك ارتباطا غير مباشر بين الجهاز

(1)- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ص42–43.

(2)– ينظر: فؤاد إسحاق الخوري، لغة الجسد،ط1،، دار الساقي، بيروت–لبنان ،2000م، ص5–ص6.

العصبي للمتكلم والجهاز العصبي للمخاطب" [1]، ويتضح من ذلك أن الحركات والإشارات ليست خطابات عشوائية دون قصد، وإنّما هي خطابات لها أهدافها وغاياتها وأساليبها.

وقد أدرك الجاحظ (ت255هـ) سرّ الدلالات الحركية والإيمائية وأثارها الخاصة في نقل الرسائل التواصلية، وأشار إلى ذلك في كتابه البيان والتبيين، بقوله: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياءَ لا تنقص ولا تزيد، أولهما اللفظ، ثمّ الإشارة، ثمّ العقد، ثم الخطّ، ثمّ الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحالة الدّالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقتصّر عن تلك الدّلالات، ولكلّ واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صور صاحبتها، وهي الّتي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثمّ عن حقائقها في التّفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصّها وعامّها..." [2].

ويضيف في بحثه عن الإشارة لما لها من أهمية بالغة بأنّها تنوب عن الكلام المنطوق، وهذا ما يبديه في قوله: "والإشارة واللّفظ شريكان، ونعم العونُ هي له، ونعم الترجمانٌ هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ" [3].

وفي هذا العصر ثمة تسميات عدة أطلقت على الاتصال غير اللفظي نلتمس منها تعريفات متنوعة، منها: الاتصال الجسدي، واللغة الجسدية، والكلام الجسدي، والحركة الجسمية، والسلوك الحركي، وعلم السلوك الحركي، والعلامات الحركية، والتعبير بالوجه، والتمثيل بالإشارات، واللغة الصامتة، ونحوها" [4].

---

[1]-ينظر: أحمد عارف حجازي عبد العليم، دراسات لسانية في الحديث النبوي،ط1، دار فرحة للنشر،2006م،ص87.

[2]- أبو عثمان عمرو بن بحر- الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003م، 1424هـ، ص61 .

[3]-المرجع نفسه، ص61-62 .

[4]-ينظر: محمد العبد، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة ،2007م، ص100.

والاتصال غير اللفظي يقصد به " تلك الحركات التي يقوم بها بعض الأفراد مستخدمين أيديهم أو تعبيرات الوجه أو أقدامهم أو نبرات صوتهم أو هز الكتف أو الرأس، ليفهم المخاطب بشكل أفضل المعلومة التي يريد أن تصل إليه". [1].

و يعني أيضًا " بأنّه منبهات جسمية تترجم الألفاظ أو هي الترجمة الحركية للتلفظ المنطوق بغرض تعزيز اللغة المنطوقة مثل الإشارات المصاحبة للحديث والصادرة بتلقائية دون تخطيط مسبق كحركات الأيدي مثلا". [2]، أو هو نظام رمزي للاتصال ومن إنتاج الإنسان ويستخدم رموزا على شكل إشارات وحركات لها معانً، وهي ثلاث لغات:

أ. لغة الإشارة: وهي تتكون من الإشارات البسيطة أو المعقدة التي يستخدمها الإنسان في الاتصال بغيره.

ب. لغة الحركة: وتتضمن جميع الحركات التي يأتيها الإنسان، لينقل إلى الغير ما يريد من معان أو مشاعر.

ج. لغة الأشياء: يقصد بها ما يستخدمه القائم بالاتصال غير الإشارة والأدوات والحركة والتعبير عن معان أو يريد نقلها للمتلقي". [3].

إذن، لم يعد الاتصال غير اللفظي من خلال تحديدنا لمفهومه يتلخص في تلك الوسائل البصرية، بل أصبح من أهم الأساليب التواصلية العصرية بالمقارنة مع الأساليب الأخرى، ويتجلّى ذلك في الخصائص التالية:

• إن التواصل غير اللفظي نافذة تطل على الأحاسيس الحقيقية للمتحدث وتكشف مواقفه، ويمكن للكلمات أن تخدع، فكثير من النّاس لا يعني ما يقول أو يقول ما لا يعني، بينما تبقى

---

[1]–ينظر: حسنين شفيق، لغة الجسد في الإعلام، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2012م،ص23 .

[2]–ينظر: آمال عميرات، الاتصال الاجتماعي العمومي وأبعاده في منهج الدعوة المحمدية، ص59 .

[3]–ينظر: أحمد العبد أبو سعيد،ز هير عبد اللطيف عابد ،مهارات الاتصال وفن التعامل مع الآخرين، ص33 .

لغة الجسد نشاطات عقلية تحت عتبة الوعي تفضح ما تفكر وتشعر به حقيقة"[1]، وقد أثبتت الأبحاث أنه في أية رسالة يريد المتحدث توصيلها إلى الآخرين، يقوم الكلام المنطوق بنقل نصف المعنى فقط ، بينما تنقل لغة جسد المتحدث المعنى الباقي" [2].

• إن الاتصال غير اللفظي، "يفيد التأكيد ودعم للاتصال اللفظي، خاصة المواجهي منه، فهو يقدم تفسيرا للرسالة، ويوضح ما يخفق النص اللغوي من إيضاحه، وأنه الوسيلة التي يستخدمها الإنسان، فالطفل مثلا لا يستطيع التعبير عن انفعالاته خلال المرحلة الأولى من عمره عن طريق اللغة، لكنه يستخدم الإشارات وحركات الجسم وتعبيرات الوجه وسيلة صادقة التعبير عن انفعالاته وتحقيق احتياجاته"[3] .

• ويعدّ التواصل غير اللفظي أحد أهم أنواع الاتصال التي تحدد غالبا شخصية الفرد وميوله، فعبر الإيماءات والحركات التي تصدر عفويا عن شخص ما، يستطيع آخرون قراءة أفكاره بصورة أبلغ من التحدث بعبارات طويلة"[4].

أما بالنسبة للميدان التربوي التعليمي، فنجد "حركة أعضاء الجسم تنقل الرسالة، ولها تأثير فعال من خلال الإيماءات بالرأس والإشارات باليد، فهي تزودنا بمدلولات مختلفة عن الشخص الذي نتعامل معه فندرك من خلالها حالة الفرد الانفعالية، لذا يستطيع المعلم أن يكشف عن بعض جوانب شخصية المتعلم، لاتخاذ القرارات المناسبة لتحقيق التعلم الفعال"[5]، كما تفيد هذه الإشارات المعلم في "الاختصار أو زيادة التأكيد على الكلام، أو

---

[1]–ينظر: مخلوف سيد أحمد، اللغة والمعنى–مقاربات في فلسفة اللغة، ط1، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، مصر، 2010م، ص199.

[2]– ينظر: بيتر كليتون، لغة الجسد، ط1، دار الفروق للنشر والتوزيع، مصر ، ص90 .

[3]–ينظر: أحمد العبد أبو سعيد، زهير عبد اللطيف عابد، مهارات الاتصال وفن التعامل مع الآخرين، ص34 .

[4]– ينظر:حسنين شفيق، لغة الجسد في الإعلام،ط1، ص8 .

[5]–ينظر: فراس السليتي، استراتجيات التعلم والتعليم–النظرية والتطبيق، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن –عمان، 2008م، ص208 .

ترسيخ وتعميق بعض الأمور الهامة أو جذب انتباه السامع، أو تساعد المعلم في التعبير عن بعض المعاني التي قد يتعذر على اللسان الإتيان بها "[1].

يتضمن الخطاب النّبوي مجموعة من الأشكال التواصلية غير اللفظية مختلفة التعبير تقوم أساسا على التعليم والتوجيه لما لها من أثر عظيم في استجابة المتعلمين للحاجة النفسية والعقلية، " وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكثر من استخدام الاتصال غير اللفظي، وذلك لعلمه بأهميته وقدرته على توصيل ما يريد إلى أصحابه ومجتمعه، وكان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون هذه الرسائل، ويدركون معناها، دلّ على ذلك كثير من الأحاديث التي صحّت عن الرسول صلى الله عليه وسلم"[2]، بمدى الاستعانة بهذه الوسائل لنقل أفكاره ومشاعره للآخرين، إذ هناك " حركات جسديّة ملمحة حينا، ومصرّحة حينا آخر بدلالات، بل قد تقوم تلكم الحركات والإيماءات مقام كلمة، أو كلمات، أو جمل، وقد تكون من الرّوافد المعزّزة المتجلي في هيئة كلام منطوق، وقد تكون في سياق رابع سبيلا من سبل المعنى، أو تمثيله"[3]، وهكذا يمكن تحديد أشكال التواصل غير اللفظي في الخطاب النّبوي التي نروم من خلالها إلى فهم معانيها ومقاصدها وقدرتها التأثيرية في معالجة الظواهر التعليمية لتحقيق الأهداف التربوية، والتي تتفرع بدورها إلى ثلاثة أنواع، منها تعبيرات الوجه وحركات الجسم والرسومات التوضيحية.

1-التواصل بتعابير الوجه:

يعتبر الوجه من أسرع الوسائل الّتي تنقل المعاني من المرسل إلى المتلقي، فملامح الوجه تشير إلى ما يمور في باطن الإنسان من مشاعر وأحاسيس، فالإشاحة بالوجه تعني الإعراض والنفور، والإقبال بالوجه يعني الموافقة والاستجابة، وهزّ الرأس يمينًا وشمالاً يعني

---

[1]- ينظر:علي بن نايف شحود، الأساليب النبوية في التعليم، ط1، دار المعمور، 2009م، ص230 .

[2]- خبراء المجموعة العربية لتدريب والنشر، لغة الجسد وقراءة الأفكار، ط1، المجموعة العربية لتدريب والنشر، القاهرة ، 2014م، ص15.

[3]- ينظر: مهدي عرار، التواصل غير اللفظي في الحديث النبوي الشريف-دراسة في لغة الجسد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، 2009م، ص23 .

الرفض، وهزّ الرأس من الأعلى إلى الأسفل يعني الموافقة والرضا والاستحسان... إلى آخر تلك الإشارات والإيماءات"[1] وهذا ما أكّده بعض الباحثين من " أن تعبيرات الوجه التي يسعى الإنسان إلى إظهار مشاعره بواسطتها مثل الابتسامة أو التكشير أو بالعكس إلى إخفاء مشاعره، هي جزء من البنية العصبية للمخ، وليست مهارة يكتسبها الإنسان بالتعلم"[2]. إذن، هو التواصل الّذي يتمّ به الكشف عن عواطف وأحاسيس المتكلّمين النّاتجة عن ردود أفعالهم غير اللّغوية.

وعلى الصعيد التربوي، غالبا ما يستخدم المعلمون تعبيرات الوجه الدالة على الغضب للتحكم في السلوكيات الخاطئة الصادرة عن المتعلم، كما يستخدمون تعبيرات المرح لتخفيف التوتر أو لفت انتباه المتعلم، والابتسامة دلالة على الاستحسان، والعبوس دلالة على عدم الرضى"[3]، والتواصل بتعابير الوجه في الخطاب النّبوي يمتلك معانٍ خاصة ورموزًا متباينة اقترنت بردود أفعال مختلفة التعبير، حيث كان صلى الله عليه وسلم لا يخفي مشاعره وأحاسيسه بل يظهر ذلك على وجهه، وهذا ما وصفه كعب بن مالك حين تخلّف عن تبوك بقوله: " **فلمّا سلّمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السّرور، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ استنار وجهه حتّى كأنّه قطعة قمر، وكنّا نعرف ذلك منه**"[4]، وهناك أفعال غير اللفظية كثيرة واردة في الخطاب النّبوي بشكل بارز لما لها من أثر بالغ في التبليغ والتواصل مثل: الابتسامة والضحك والغضب وحركة الرأس وحركة العين... وغير ذلك، وسنتناول عددا منها على النحو التالي:

---

[1]- ينظر: محمد محمد داود، جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية(دراسة دلالية ومعجم)، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص07 .

[2]- ينظر: حسنين شفيق، لغة الجسد في الإعلام، ص45 .

[3]- فراس السليتي، استراتجيات التعلم والتعليم–النظرية والتطبيق، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع–، الأردن – عمان، 2008م، ص208

[4]- صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النّبي صلى الله عليه وسلم، رقم3556،ص430 .

1-1- الابتسامة:

يطلق على الابتسامة الحقيقية التي تأتي من أعماق النفس، بأنّها الحركة التي تتم في داخل النفس، فتشرح لها الصدور، وتنفرج القسمات، حيث إن تعبيرات الوجه تتكلم بصوت أعمق من صوت اللسان، وبالتالي فإن لها تأثيرات سحرية، تنفذ إلى الأعماق، فتربط المتحاورين برباط الجاذبية والتقارب"[1].

لعلّ أبرز ما يمكن الإشارة إليه في هذا المقام، أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر النّاس تبسما مع غيره **فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " ما رأيت النّبي (صلى الله عليه وسلم) مستجمعا قط ضاحكا، حتى أرى منه لهوته إنما كان يتبسّم "**[2].

وعن إسماعيل عن قيس عن جرير: قال ما حجبني النّبيّ صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآني إلاّ تبسّم في وجهي" [3].

والابتسامة أكبر من ذلك، فقد توصَّلت دراسة قام بها عدد من علماء النفس والاجتماع إلى أنَّ الابتسامة سبب من أسباب النجاح والسعادة، حيث تبين أنَّ الشخص دائم الابتسام هو أكثر الأشخاص جاذبية وقدرة على إقناع النّاس، فَضْلاً عن أنَّه أكثرهم ثقة بالنفس"[4].

1-2- الضحك:

يعدّ الضحك أحد المظاهر الايجابية غير اللفظية بما تشمل معانيه على السعادة والفرح والسرور والّتي تميزه عن غيره من الانفعالات الأخرى، وقد أشارت بعض الأحاديث إلى حرص النّبي (صلى الله عليه وسلم) على هذا الجانب لمعالجة عدة مواقف تعليمية، ويتبدى لنا ذلك بوضوح من خلال النماذج التالية:

---

(1)- ينظر:عقيل سعيد ملازاده، الحوار قيمة حضارية -دراسة تأصلية لمنهجية الحوار في الإسلام، ص157.

(2)- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التّبسم والضحك، رقم6092 ، ص736 .

(3)- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التبسم واالضحك، رقم6089، ص736.

(4)- ينظر: عودة عبد الله،الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن والسنة النبوية، لبنان، مجلة المسلم المعاصر، العدد 112، 2004م، ص29 .

أ-الضحك للتعجب:

عن صهيب رضي الله عنه، قال: بَيْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد مع أصحابه إذْ ضحك. فقال: "ألا تسألوني ممّ أضحك؟" قال: عجبت لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه خير، إن أصابه ما يحبُّ حمد الله وكان له خير، وإنْ أصابه ما يكره فصبر كان له خير، وليس كلّ أحدٍ أمره كلّه خير إلاّ المؤمن" [1].

هيأ النّبي (صلى الله عليه وسلم) للمتعلمين موقفا نفسيا يليق بمقام الرسالة وأهدافها التربوية ممّا يجعلهم مستعدين لذلك، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يضحك ممّا تعجّب منه حتى أجاب عن السؤال بنفسه بقوله: فالمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خير له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، ومعنى ذلك أن المؤمن يشكر ربه في السراء ويصبر على الضراء في كلا الأمرين نعمة وخير، ومن هنا ازدادت طمأنينة قلوب المؤمنين حين تُلي عليهم هذا الأمر العجيب الذي فيه خيرهم وصلاحهم، في الدّنيا والآخرة فكلاهما فضل من لله تعالى.

ب-الضحك للإحسان والتعاطف والتفاهم:

وقد جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن النّاس خُلقا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتّى أمرّ على صبيان، وهم يلعبون في السّوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: "يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟" قال: قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله". وفي قوله أيضا:" **والله لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ أو لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا**"[2].

---

[1]- مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث صهيب، ج39، رقم23930، ص350-351 .

[2]- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، رقم2310، ص763.

يرد في هذا السياق الكلام عن أخلاق النّبي (صلى الله عليه وسلم) الرفيعة والعظيمة بشكل ظاهري وواقعي وتربوي تتمثل في رقة مشاعره ورهافة قلبه وسمو روحه وما ينتج عنها من حسن الآداب والأخلاق، وهذا واضح في معاملته صلى الله عليه وسلم الخاصة مع خادمه أنس رضي الله عنه، والأسلوب التربوي الذي اتخذه صلى الله عليه وسلم حيث جمع مع السؤال الضحك تعبيرا عن التعاطف والتفاهم.

وهناك ضرب آخر يتحدث فيه أنس بن مالك رضي الله عنه عن أخلاق النّبي صلى الله عليه وسلم الرفيعة والعظيمة قائلا: "**كنت أمشي مع النّبي الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانيّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه بردائه جذبة شديدة، حتّى نظرت إلى صفحة عاتق النّبي الله صلى الله عليه وسلم قد أثّرت به حاشية الرّداء من شدّة جذبته، ثمّ قال: يا محمد مر لي من مال الله الّذي عندك، فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم، فضحك، ثمّ أمر له بعطاء**"[1].

يشير هذا الخطاب إلى موقف الأعرابي إزاء شخص النّبي (صلى الله عليه وسلم) حتى ندرك صبره وعفوه على المسيء وسوء أدبه معه، ويبدو ذلك ظاهرا عندما جذبه جذبة شديدة بردائه حتى أثرت حاشية الجبة في عنقه الشريفة من شدة الجذب، فالتفت فإذا هو أعرابي يطلب منه عطاء، غير أن النّبي لم يوبِّخه ولم يشدد ويضيق عليه رغم قدرته على ذلك بل ضحك وأحسن إليه وأمر له بالعطاء.

وهكذا عرفه النّاس وتعاملوا معه وتعامل معهم على مبدأ هذا الخلق بحيث أنّه لم يرد قط على الإساءة بالإساءة، ولا على الظلم بالظلم، ولا على الأذى بالأذى، بل كان يرد على ذلك باللين والرحمة والحلم والعفو والإحسان متجنبا كل ما من شأنه أن يتسم بالعنف، وإذا استعمل شيئا من ذلك فإنما يستعمله لتطبيق الشرع وحماية الدعوة الإسلامية"[2]، وفي ذلك

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النّبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلّفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه رواه عبد الله بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم، رقم 3149، ص381 .

[2]–ينظر: الشيخ سليمان بشنون، الأخلاق النبوية مدرسة للتربية والتعليم، ط2، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص79.

توجيه المربي أو المعلم على أن يتعامل مع المتعلم بكل لين وسماحة وسهولة ولا يشدد عليه حتى يلتزم بعد ذلك بكل ما يلتزم به من أخلاق وقيم وآداب وسلوكيات تربوية.

ج- طلاقة الوجه:

وتسمى البشاشة والابتسامة الّتي تظهر في الوجه، فهي بالتالي "ضد العبوس، وتعني الانبساط للإخوان ببشاشة الوجه، وهو مصدر للألفة والمحبة، وهي أحد مصادر الحسنات"[1]، إلاّ أنها تجلّت في الخطاب النّبوي في العديد من المواقف التواصلية المختلفة ممّا ترتب على هذا توجيه أنظار المشاهدين، كما يظهر ذلك من حديث عائشة رضي الله عنها تقول: "**أنّ رجلا استأذن على النّبي صلى الله عليه وسلم، فلمّا رآه قال: "بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة". فلمّا جلس تطلّق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه. فلمّا انطلق الرّجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرّجل قلت له كذا وكذا، ثمّ تطلّقتَ في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يا عائشة متى عهدتني فاحشا؟ إنّ شرّ النّاس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه النّاس اتقاء شره**"[2].

يتناول هذا الخطاب في سياق الحديث حسن تعامل النّبي (صلى لله عليه وسلم) مع أعدائه والمسيئين إليه بالقول والفعل لاتقاء شرهم وشر النّاس، ففي مثل هذا الموقف الصعب يعطي النّبي (صلى الله عليه وسلم) أفضل ما عنده من خلق وسلوك فأظهر للرجل البشاشة والانبساط ولم يجبه بالمكروه رغم استشعار بغضه وكرهه له، فلما خرج سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن سبب هذا الموقف المتناقض والمختلف فقالت: " قلت عن الرجل بئس الرجل فلما دخل أحسنت إليه"، فأوضح لها النّبي صلى الله عليه وسلم موقفه من الرجل بإتقاء شره وشر النّاس عند الله يوم القيامة، إذن فمن يحذره النّاس ويحسنون إليه اتقاء شره.

---

[1]- خالد بن حامد الحزامي، أصول التربية الإسلامية، ص164 .

[2]- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النّبي فاحشا ولا متفحشا، رقم6032، ص730.

د-إشراق الوجه:

عن ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحبّ إليّ ممّا عدل به: أتى النّبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين، فقال المقداد بن الأسود: لا نقول كما قال قوم موسى: "فاذهب أنت وربّك فقاتلا"، ولكنّا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النّبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسرّه، يعني قوله"[1].

أبرز النّبي (صلى الله عليه وسلم) تفاعله مع هذا الموقف وتأثيره بالاتصال غير اللفظي، الّذي انعكس على وجهه الشريف حينما تعلق بأمرٍ عظيم، وقد اتضح ذلك في "إشراق الوجه دال على السرور، والإشراق هنا هو تعبير الوجه عن هذا السرور وتبسمه، وقد فهم عبد الله بن مسعود هذا الإشراق وعرف دلالاته، ولذلك عبر عنه بجملة (وسره)، ومعنى ذلك أن كلام المقداد قد أدخل السرور على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فعرف عبد الله ذلك السرور بإشراق وجه الرسول الكريم"[2]، وفي هذا الموقف ملمح تربوي وأثار ايجابية نافعة في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) " تدل على مقدار الثقة التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قلوب أصحابه "[3].

وهكذا نجد التواصل بتعابير الوجه قد حقق نتائج مهمة ومشاركة ايجابية بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه من خلال تبليغ أهداف ومقاصد تربوية متعددة الّتي تعود بالنفع والفائدة على المعلم والمتعلم، ولذلك لابد أن نقتدي بمثل هذه الوسيلة المناسبة للتبليغ ونحسن استغلالها ونجيد استخدمها في تربية الناشئين.

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة غزوة بدر، رقم3952، ص 377 .

[2]-أحمد عارف حجازي، دراسات لسانية في الحديث النبوي، ص118 .

[3]- سعيد حوى، الرسول صلى الله عليه وسلم، ص178.

و- تهلّل الوجه:

عن المنذر بن جرير عن أبيه، قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النّهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النّمار أو العباء، متقلّدي السّيوف، عامّتهم من مضر، بل كلّهم من مضر، فتمعّر[1] وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل، ثمّ خرج، فأمر بلالاً فأذّن وأقام، ثمّ خطب، فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ } إلى آخر الآية {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١}[2] ، والآية التي في الحشر:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ }[3] ، "تصدّق رجل من دينار، من درهمه، من ثوبه، من صاع برّه، من صاع تمره"- حتى قال-:"ولو بشق تمرة". قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفّه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثمّ تتابع النّاس حتّى رأيت كومين من طعام وثياب، حتّى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلّل[4]، كأنّه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من سنّ في الإسلام سنّة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيّئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[5].

تدل ملامح وجه النّبي صلى الله عليه وسلم على بيان أثر تلك المواقف الايجابية وثمارها النافعة التي ولدت فيه شعورا فياضا للتعبير عن فرحه وسروره، وفي هذا الشأن **يقول**

---

(1)- تعمر وجه: بمعنى تغير نقلا عن محمد صالح المنجد، كيف عاملهم صلى الله عليه وسلم، ص 301.

(2)- النساء، الآية1.

(3)- الحشر، الآية 18.

(4)- يتهلّل: بمعنى يستنير فرحا نقلا عن محمد صالح المنجد، كيف عاملهم صلى الله عليه وسلم، ص301.

(5)- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنّها حجاب من النّار، رقم1017، ص305.

الإمام النووي:" أمّا سبب سروره صلى الله عليه وسلم ففرحا بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى، وبذل أموالهم لله، وامتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض، وتعاونهم على البرّ والتّقوى. وينبغي للإنسان إذا رأى شيئا من هذا القبيل أن يفرح، ويظهر سروره، ويكون فرحه لما ذكرناه".[1]

1-3- الغضب:

يُعرّف الغضب بأنّه انفعال يعكس رد فعل داخلي غير مبرمج، يلجأ إليه الفرد بطريقة لا شعورية، إنه من أسهل الردود للتعبير عن الرفض لأمر ما، والجميع يغضب، عُرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّه لم يكن يغضب"[2]، فظاهرة الغضب في حياته (صلى الله عليه وسلم) كان لها جانب نفساني تربوي يثير الانتباه والانفعال،والّتي توفي بالأغراض كالتوجيه والتعليم والتحذير والأمر والنهي، ويبدو ذالك ظاهرا من خلال الأحاديث الآتية:

أ- احمرار الوجه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمرّ وجهه، حتّى كأنّما فقيء في وجنتيه الرّمّان، فقال: "أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلتُ إليكم؟ إنّما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمتُ عليكم (أي أقسمت عليكم) ألاّ تتنازعوا فيه"[3].

تعرض الرسول (صلى الله عليه وسلم) لموقف أغضبه حتى تغير لون وجهه الشريف باللون الأحمر لما سمع الصحابة يتجادلون بشأن القدر، ففي دلالة احمرار الوجه غضب وإنكار وتحريم واضح للنّاس عن الكلام في القدر، لأنّه سر من أسرار الله تعالى في خلقه، وفيه توجيه أيضا إلى الإيمان بقدر الله وقضائه.

ب- الغضب عند رؤية المنكر:

---

[1]- شرح النووي على صحيح مسلم ،ج7، ص103 .

[2]- ينظر: عبلة بساط جمعة، مهارات في التربية النفسية-الفرد متوازن وأسرة متماسكة، ط2، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 2005م، ص79 .

[3]- سنن الترميذي، كتاب القدر، باب ما جاء في التّشديد في الخوض في القدر، رقم2133، ج4، ص11 .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر، وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم هتكه، وقال: " أشد النّاس عذابا يوم القيامة الّذين يضاهون بخلق الله".قالت فجعلناه وسادة أو وسادتين"[1].

وانطلاقا من الحديث الشريف ندرك أن غضب النّبي (صلى الله عليه وسلم) كان بسبب القرام الذي فيه التصاوير والتماثيل، إذ نزعه (صلى الله عليه وسلم) وتلون وجهه الشريف أي أنّه غضب عند رؤية هذا المنكر في بيته، ثم أشار النّبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله الصريح: "**أشد النّاس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**"، "يعني المصورون فهم أشد عذابا، لأنّهم أرادوا أن يضاهوا الله سبحانه وتعالى في خلقه وفي تصويره"[2]. وهكذا نجد أن إشارة الغضب أوضح دليل على تحريم الصور والتماثيل مادام الأمر فيه انتهاك حرمات شرع الله سبحانه وتعالى فتستهدف تثبيت عقيدة التوحيد في نفوس المؤمنين.

ج- الغضب عند سماع ما يكرهه أو يستاء منه:

وعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: " أتى رجل النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: إنّي لأتأخّر عن الصلاة الغداة من أجل فلان ممّا يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قطّ أشدّ غضبا في موعظة منه يومئذ. قال: فقال "يا أيّها النّاس، إنّ منكم منفّرين، فأيّكم ما صلّى بالنّاس فليتجوّز فإنّ فيهم المريض، والكبير، وذا الحاجة"[3].

يظهر لنا من خلال الحديث الشريف أن الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) حريص على مراعاة أحوال النّاس وظروفهم، فيعاتب كل من يطيل في الصلاة مع الجماعة، وهو الأمر الذي أثار غضبه وسخطه، وقد بيّن (صلى الله عليه وسلم) هذا المعنى فقال لهم: إنّ

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما وطيء من التّصاوير ،رقم 5954، ص723 .

[2]- محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، ج، ص 394.

[3]- صحيح البخاري، كتاب الأدب ،باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى، رقم6110 ، ص738 .

منكم من ينفّر النّاس عن طاعة الله، ويكرّه إليهم الصلاة ويثقّلها عليهم، فأيكم أمّ بالنّاس فليوجز، فإنّ منهم العاجزين وذوي الحاجات... ، ونظرا لأهمية هذا الحكم انعكس على سلوكه (صلى الله عليه وسلم) انعكاسا واضحا يبيّن انفعاله وغضبه، فمن الممكن إذن أن يُعظّم هذا الأمر وينعكس إيجابيا على السلوك التربوي للمتلقّين(المتعلمين).

1-4- إيماءات الرأس:

تتفاعل حركات الرأس مع المواقف الاتصالية لتشكّل بذلك رسائل غير لفظية قوية التعبير، ويمكن انتقاء هذه الإيماءات من الخطاب النّبوي ودراستها على النحو التالي:

أ- رفع الرأس للاهتمام:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا اشتكى النّبيّ صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة، يقال لها مارية، وكانت أمّ مسلمة وأمّ حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حُسنِهَا وتصاويرَ فيها، فرفع رأسهُ، فقال:" أولئك إذا مات منهم الرّجل الصّالح، بنوا على قبره مسجدَا، ثمّ صوّروا فيه تلك الصّورة، أولئك شرار الخلق عند الله"[1].

لقد شكلت هيئة الرأس في هذا الخطاب مصدرا مهما للتواصل والتفاعل غرضها الأساسي تنبيه أهله من الأخطاء العقديّة بسب التصاوير والتماثيل، والتحذير من أثارها السيئة التي تؤدي إلى الفهم الخاطيء للدين أو الانحراف عنه، لذلك أقدم النّبي صلى الله عليه وسلم على رفع رأسه، وقد اشتملت هذه الإشارة الجلية على دروس تربوية تبيّن خطورة الفعل وعظمه على سلوك المؤمن فتهدف إلى إحداث تغيير في النفوس وبالتالي غرس الإيمان وتثبيت عقيدة التوحيد.

ب- رفع الرأس للاستدراك:

[1]- صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب بناء المسجد على القبر، رقم1341، ص161 .

عن أبي موسى، قال: جاء رجل إلى النّبيّ فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله، فإنّ أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حميّة، فرفع إليه رأسه، قال وما رفع إليه رأسه إلاّ أنه كان قائما، فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عزّ وجل".[1]

وإذا تتبعنا تلك الإشارة الّتي كانت جوابا عن السؤال استنبطنا منها سمة واضحة، تعكس صورة عملية على موقف النّبي (صلى الله عليه وسلم) الدال على الإعراض والاستنكار معللا ذلك برفع رأسه، وهي بهذا تضيف بعدا تربويا للخطاب تهدف إلى تصويب السلوك السلبي الصادر عن الرجل، وعقب هذه الإشارة يفصح النّبي (صلى الله عليه وسلم) عن علة هذا الموقف حيث فصّل، ووضّح تأكيدا على الغاية، وهي الترغيب في الجهاد في سبيل الله، وهو القتال المشروع، " فالإسلام لا يعرف قتالاً إلاّ في هذا السبيل، لا يعرف القتال للغنيمة، ولا للسيطرة، ولا للمجد الشخصي، أو القومي، إنّه لا يقاتل للاستيلاء على الأرض، ولا للاستيلاء على السكان أو الخامات الصناعية، والأسواق الاستهلاكية...إنّه لا يقاتل لمجد طبقة، أو دولة، أو أمة ، أو جنس، إنّما يقاتل في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله في الأرض، ولتمكين منهجه في تصريف الحياة، وإشاعة العدل بين النّاس...فإذا قاتل المسلم بهذا المفهوم الرباني ثم قُتل، فاز بالشهادة ونال مقام الشهداء عند الله سبحانه وتعالى[2].

1-5- لغة العيون:

تتبوأ نظرات العين مكانة رئيسية في لغة الإشارات والحركات من حيث هي حاسة أرقى قوى الإدراك كلّها؛ لأنّها تدرك الشكل، والرمز، والإشارة، والمكان، واللون"[3]، ولذلك تعتبر "جزءا أساسيا من القدرة على قراءة مواقف الأشخاص وأفكارهم، فالعين أكثر إشارات التواصل

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالما جالسا، رقم123، ص26 .

[2]- مجموعة من العلماء والدعاة، رسائل من نور، ط1، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، 2011م-1432هـ، ص202 .

[3]- ينظر: البخاري حمانة، الإدراك الحسي عند الغزالي، ط2 ، دار القدس العربي، الجزائر-وهران، 2013م، ص62 .

البشرية دقة وكشفا، لأنها نقطة مركزية في الجسم، وتستخدم العين حركاتها لأعلى أو لأسفل، أو يمينا أو يسارا بمفردها، وتعني أشياء ودلالات، كما تستخدم النظرة الايجابية لإبداء الاهتمام أو العداء، وعندما تجتمع مع رفع الحواجب بخفة أو ابتسامة، فإنها تدل على الاهتمام والتودد"[1]، وأما عن الخطاب النّبوي فإنها كانت من أهم المؤثرات النفسية والإدراكية لتبليغ مقاصد كثيرة، إذ تتمثل مهمتها في:

أ- العين الباكية الخاشعة:

عن عمرو بن مرّة قال: قال لي النّبيّ صلى الله عليه وسلم " اقرأ عليّ" قلت: أقرا عليك وعليك أنزل؟ قال:" فإني أحبّ أن أسمعه من غيري". فقرأت عليه سورة النّساء حتّى بلغت { فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا}[2]، قال:"أمسك"، فإذا عيناه تذرفان"[3].

ينقل الخطاب مشهدا مقترنًا بالعواطف والانفعالات العميقة، وذلك بتكريم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتمييزه على سائر الأنبياء والمرسلين، وهذه الآية الّتي أبكت النّبي (صلى الله عليه وسلم) لما سمعها أنّها اشتملت على معان كثيرة ومضامين جليلة تبيّن عظم شأنّه (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة والمقصود منها أنّه يأتي كل نبي شهيدا على أمته، ويأتي الرسول (صلى الله عليه وسلم) شهيدا على كل هؤلاء، وهو مشهد تربوي يلفت النظر ويشد الانتباه حتى يشعر المتعلم بفضله ومكانته ومنزلته (صلى الله عليه وسلم) عند الله سبحانه وتعالى ويسير على هديه ورشده ويفخر بذلك.

وتكررت الإشارة في مقام آخر **العين الباكية الحزينة و الرحيمة: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: شهدنا بنتًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر، قال: فرأيت عينيه تدمعان، قال: فقال:" هل منكم رجل لم يقارف اللّيلة؟"، فقال أبو طلحة: أنا، "فأنزل"، قال: فنزل في قبرها"[4].**

---

[1]- ينظر: حسنين شفيق ، لغة الجسد في الإعلام، ص43.

[2]- سورة النساء، الآية41 .

[3]- صحيح البخاري، كتاب، باب{ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}، رقم4582، ص552.

[4]- صحيح البخاري ، كتاب الجنائز، باب قول النبي يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته، رقم 1285، ص155.

في هذا الخطاب يوضح السياق طبيعة النفس الإنسانية وموقفها من مصيبة الموت في شدة ابتلائها وامتحانها، لأنّها من أعظم المصائب الدنيوية وبما تتركه من آثار نفسية عميقة ولاسيما إذا كانت من الأهل والأقارب، ويبدو بوضوح تلك الحقيقة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأثارها على جوارحه وتصرفاته التي كانت سببًا في بكائه وحزنه، ولعلّ في ذكر ذرف الدموع وما يمثله من الحزن الشديد بعد موت ابنته صلى الله عليه وسلم إشارة إلى عواطف الرحمة والصبر أيضا، "فهي ليست دموع جزع، أو سخط من قضاء الله وقدره، وإنما هي دموع رحمةٍ وشفقةٍ تذرف من عيون الرحماء"[1].

ج- العين الفاحصة المتبصرة:

عن سهل بن سعد السّاعديّ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله جئت أهب لك نفسي". قال: فنظر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم- فصعّد النّظر فيها وصوّبه، ثمّ طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه، فلما رأت المرأة أنّه لم يقض فيها شيئا جلست... "[2].

لقد اختار النّبي (صلى الله عليه وسلم) الإشارة المناسبة للتعبير عن أفكاره من جهة، وكذا الاستجابة لمقاصده ومفاهيمه من جهة أخرى، إذ تشير هاتين الإشارتين إلى أنّه صلى الله عليه وسلم رفض الطلب ولكن دون إهمال مشاعر المرأة وعواطفها، فصعد النظر إليها وصوبه أي نظر إلى تلك المرأة وغض بصره عنها وطأطأ رأسه، ومن هنا دفعت هذه الإشارة العلماء إلى أن يستعينوا بهذا الحديث، فاستدلوا منها جواز النظر إلى المرأة التي يراد الزواج منها و**يقول الإمام النووي**" فيه دليل لجواز النظر لمن أراد أن يتزوج امرأة وتأمله إياها"[3]، وهكذا يبين الخطاب أن النّبي (صلى الله عليه وسلم) أحرص النّاس على مراعاة مشاعر الآخرين واحترمها .

---

[1]- ينظر: محمد صالح المنجّد، كيف عاملهم صلى الله عليه وسلم، ص 125.

[2]- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب تزويج المعسر، رقم5087، ص633.

[3]- النووي، شرح المسلم، ج9، ص212 .

د- العين الناهية:

وأما عن تعليم الصغار فقد أشار إلى ذلك **أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتي بالتمر عند صرام النخل، فيجيء هذا بتمره، وهذا من تمره، حتى يصير عنده كوما من تمر، فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التّمر، فأخذ أحدهما تمرة فجعله في فيه، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخرجها من فيه، فقال:" أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة"**[1].

يظهر من خلال هذا الموقف التواصلي أنّ نظرته الشريفة (صلى الله عليه وسلم) الدالة على النهي قد أثرت في المتعلم بشكل مباشر وأحدثت تغييرا فعالا وناجحا في سلوكه وأخلاقه حيث شعر أحدهما بما نبه إليه النّبي (صلى الله عليه وسلم) فأخرج التمرة من فيه قبل أن يلقي عليه الحديث، ثم شرع -بعد هذه الإشارة- إلى التوضيح والتبيين ويمكن أن نستخلص منها أسلوبا تواصليا تربويا للتعليم والتوجيه.

1-6 - اللسان:

فهذا النوع من الحركات قد استخدمه النّبي (صلى الله عليه وسلم) كوسيلة تنوب عن الكلام المنطوق ممّا ينتج عنها إبراز المعاني المراد التعبير عنها وتبليغها، كما يتجلى ذلك في حديث سفيان بن عبد الله الثّقفيّ قال:

قلتُ: يا رسول الله ! حدّثني بأمر اعتصم به، قال: "قل ربّي الله ثم استقم"، قلت: يا رسول الله ! ما أكثر ما تخاف عليّ؟ فأخذ رسول الله بِلسَانِ نفسه، ثمّ قال: "هذا"[2].

وبالنظر إلى إشارة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بيده الشريفة للسان بدلا من قوله **(أخاف عليك من اللسان)**، نجدها أقرب إلى الفهم وأبلغ إلى التأثير لمن أراد أن يكون مستقيما وملتزما بدينه، وأهم ما يمكن أن يستفيد منها المتعلم، التحذير من خطر اللسان على

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل وهل يترك الصبي فيمس تمر الصدقة، رقم1485، ص181

[2]- سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، كف اللسان عن الفتنة، رقم 3972 ، ص1314 .

الإنسان ومنعه من الكذب والكلام السيئ والنفاق والغيبة والنميمة وغير ذلك من المعاصي الّتي تكون سببا في دخول نار جهنم.

ولا تخرج الإشارة عن سياق الخطاب، إذ يقول النّبي (صلى الله عليه وسلم):" **ألا تسمعون إنّ الله لا يعذّب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذّب بهذا، وأشار إلى لسانه، أو يَرحمُ، وإن الميت يُعذّب ببكاء أهلهِ عليهِ**"[1]. فهذه الإشارة قوامها صيانة النفس وكف اللسان وحفظه عما يحرم قوله تعبيرا عن شدة الفاجعة وندبا على ما يحل بهم وبأهلهم، وهي كلمات قد ينطق بها اللسان دون ضبط معناها ودلالتها ممّا يخاف على مرتكبها العقاب الصارم يوم القيامة، وهو الأمر الذي جعلها الأكثر أهمية من الناحية التربوية بتذكير وبيان سوء عاقبتها.

أخذت ملامح الوجه تعبيرات انفعالية مختلفة لتعدد المواقف، وتنوع الآليات التواصلية في سبيل تجسيد المعاني بحركات الوجه ممّا جعلها تتطابق مع مقاصد دلالية محددة ومفيدة في استقصاء الدروس أثبتتها الطريقة الّتي انتهجها المعلم (صلى الله عليه وسلم) في بيان أحكام وأمور الدّين الإسلامي، ولقد نجم عن هذه الإشارات فوائد تربوية جليلة سوف نورد بعضًا منها في النقاط التالية:

- إن قوة تعبيرات الوجه من المقومات التي أعانت على حضور أذهان المتلقين من خلال الانجذاب إلى ملامحها وإدراك مقاصدها وأهدافها.
- إن انعكاس الحركات الطبيعية على الوجه المعلم كالابتسامة والضحك والسرور والغضب والحزن تساعد المتعلم على الفهم والإدراك، وتعينه على التركيز والانتباه.
- تبرز نظرات العين وظيفة التواصل بدقة ومصداقية، وهي المركز الأساس الذي يساهم في قراءة الأفكار وتفكيك دلالاتها ومعانيها من خلال اهتمامات الناظر بالأشكال التعبيرية.

[1]– صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، رقم 1304 ، ص158.

• ترتبط هيئة الرأس بالإيجاز في صياغة الأفكار، والقوة في توصيل المعاني وتوضيحها، والدقة في التبليغ والتعليم.

فهذه الإشارات التواصلية أعطت ثمارها التربوية، حيث يغدو حضورها ضروريا لمزاولة مهنة التربية والتعليم؛ لأنّها وسيلة تساعد في توثيق العلاقة بين المعلم والمتعلم، ومن ثّمة تسهم في تحقيق الهدف المرجو ويكون تواصل جادا ومثمرا بينهما، " لان المعيار النهائي في نجاح الاتصال هو التعبير الحقيقي عن المعنى المراد، وفهم المعنى المراد على وجهه الحقيقي" [1] لذا ينبغي للمعلم أن يستغل جيدا هذه الإيماءات، "فالمعلم الناجح هو الذي يلقي درسه مستعينا بالسلوكيات اللفظية وغير اللفظية بشكل متكامل، دون فصلها عن بعضها البعض، ويشترط أن تكون هذه السلوكيات وظيفية جدا ليكون لها تأثير فعال وايجابي في المتعلمين"[2].

2- التواصل بحركات الجسم :

نلمح في هذا الشأن إلى ذكر نموذج آخر من نماذج التربية النّبوية بالقدرة الجسمية الّذي يعد الأكثر تبليغا وتأثيرا نظرا لبث الرسالة التربوية بشكل ميسور، ومدى استجابة المتعلم لهذا الأسلوب التربوي، حيث " يحمل جسد الإنسان مشاعر وأحاسيس، يتفاعل مع ما يحيط به وينفعل به، فللحركة إيحاءاتها، و للإشارة دلالاتها، و للإيماء معانيه، فقد تعني أمرا أو نهيا، أو تكون جوابا عن سؤال، أو تعبيرا عن فكرة، أو للدلالة على معنى، أو لإثارة الانتباه "[3]، وقد استخدم النّبي صلى الله عليه وسلم في معالجة المواقف التربوية الإشارة والحركة مع الكلام في خطابه، والأمثلة في هذا الشأن كثيرة ومتعددة.

---

(1)- ينظر: يندوجلاس براون، أسس تعلّم اللغة وتعليمها ، ترج: عبده راجحي- علي علي احمد شعبان،دار النهضة العربية ، بيروت، 1994م،ص261.

(2)- جميل حمداوي، التواصل اللساني والسميائي والتربوي، شبكة الالوكة، ص58 www- alalucah.net

(3)- ينظر: نصار أسعد نصار،طرق الاتصال التربوي(السمعية والبصرية) دراسة موضوعية في الحديث النبوي، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد26، العدد الثاني، 2010م، ص446.

2-1- الإشارة باليد:

تنحصر إشارات اليد في الاتصال الصامت أو غير اللفظي، غير أنّها تحمل في طيّاتها رسائل تعبيرية عميقة التأثير تختفي وراءها دلالات ورموز الّتي تمكن المتلقي من إدراك كنه الخطاب بمجرد رؤيتها، لأن لها " تأثير عظيم في تفسير الأفكار المنطوقة، حيث وجدت الدراسات أنّ النّاس يتذكّرون الرسائل الكلامية بوضوح أكثر عندما تترافق هذه الرسائل مع إشارات اليد"[1]، وتنطبق على الخطاب النّبوي في التعليم والتوجيه، نورد أمثلة منها:

أ- اليد المشيرة:

عن أبي هريرة رضي عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «{ فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلّي، يسأل الله تعالى شيئَا إلا أعطاه إيّاه، وأشار بيده يقلّلها (يزهدها)}» [2].

توحي الإشارة باليد في هذا الخطاب إلى التقليل، ولكنها تنادي بالزّهد، كما يوضح ذلك الإمام **ابن حجر العسقلاني** بقوله: "ووضع أنملته على بطن الوسطى أو الخنصرة قلنا يزهدها... وكأنه فسر الإشارة بذلك، وأنها ساعة لطيفة تتنقل ما بين وسط النهار إلى قرب آخره، وبهذا يحصل الجمع بينه وبين قوله: "يزهدها" أي "يقللها" قال زين بن المنير: "الإشارة لتقللها هو للترغيب فيها والحض عليها ليسارة وقتها وغزارة فضلها"[3].

ومن هنا اتضحت أهمية هذه الحركة التربوية لما تحدثه من آثار عملية بديهية تعين على فهم الحديث بأنّها ساعة الأقل زمنًا والأكثر عطاءً ، وتؤدي إلى تحفيز المتعلم للزهد والاستعداد من أجل تدارك وقتها. ولذلك ننصح كل مربٍ على ضرورة العناية بالإشارة، وأن يقتدي بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في تربيته لأصحابه ويسلك طريقه القويم بإتباع سنته.

---

[1]- شفيق حسنين، قوة لغة الجسد، ص 264 .

[2]- صحيح البخاري، كتاب جمعة، باب السّاعة الّتي في يوم الجمعة، رقم 935، ص 113 .

[3]- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج2، ص438 .

ب- اليد المتحركة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قال: «يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج"، قيل: يا رسول لله وما الهرج؟ فقال: هكذا بيده فحركها، كأنّه يريد القتل"[1].

ولعل في تحريك اليد إشارة واضحة للسائل تحمل في ثناياها العديد من المعاني والمضامين الدقيقة، فهو يجمع بين اللفظ والإشارة، وبين التلميح والتصريح من أجل إفادة المتعلم، فكان لابد من الإشارة إلى القتل بيده الشريفة **(هكذا)** بدلا من أن يتلفظ بها وهذه العلامة أقوى من القول المنطوق فأثرها أوقع في النفوس وأرسخ في العقول تقوم أساسا على التوجيه والتحذير ممّا زاد الأمر جلاءً وإيضاحًا وتأثيرًا، وينادي بظهور الجهل وانتشار الفتن وكثرة الصراعات بسبب التهاون بأوامر الله تعالى وحدوده ونواهيه، ولذا حذر من هذا وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة.

ج- اليد الدّليلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله مرّ على صبرة[2] **طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال:"ما هذا يا صاحب الطّعام؟". قال: أصابته السّماء (أي المطر) يا رسول الله. قال:" أفلا جعلته فوق الطّعام، كي يراه النّاس ؟ من غشّ فليس منّي"**[3].

جاءت هذه الإشارة تعلّم النّاس أحكام دينهم في مجال المعاملات الّتي تمنع كلّ غش أو خداع أو كتمان الحق أو نحو ذلك نظرًا لخطورة الفعل على فضائل الإسلام الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية، لذلك نجد أنّ النّبي (صلى الله عليه وسلم) أدخل يده الشريفة إلى تلك الصبرة لمعرفة الحقيقة فإذا بها مبتلة على نحو يوحي بقرب فسادها فينصح الرجل بأن

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، رقم84، ص20-21 .

[2]- الصبرة: الكومة المجموعة بلا كيل ولا وزن.

[3]- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النّبي صلى الله عليه وسلم "من غشنا فليس منّا، رقم 102، ص43.

لا يخفي على النّاس تلك الحقيقة بل اضهارها بجلاء أمامهم، وهذا النوع من المواقف التواصلية يدل على تحريم ظاهرة الغش بأفضل وأنجح السبل التربوية.

د- **اليد الماسحة:**

عن صفيّة بنت حيّ رضي الله عنهما أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم حجّ بنسائه، فلمّا كان في بعض الطّريق، نزل رجل، فساق بهنّ، فأسرع، فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم:«" "كذاك سوقك بالقوارير"، يعني النّساء، فبينما هم يسيرون، برك بصفيّة بنت حيّ جملها، وكانت من أحسنهنّ ظهرا، فبكت، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أُخْبِرَ بذلك، فجعل يمسح دموعها بيده»[1].

وإذا كانت كلّ الإشارات باليد تحمل معان عديدة ودلالات تواصلية مختلفة ذات تأثير واضح في المتلقي، فإن مسح الدموع باليد له تأثير خاص، يشعر به كل من يواجه موقفا نفسيا عاطفيا، "فمسح الدموع بيد الزوج فيها مواساة كبيرة ، وتقدير لعواطف ومشاعر الزوجة، مع أن سبب البكاء أمر هيّن، إذ بكت بسبب بروك جملها الذي كان يعدّ من أحسن الجمال، ومع ذلك لم يحقر النّبيّ صلى الله عليه وسلم مشاعر صفية وعواطفها"[2]، وهذا دليل واضح على أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم سلك سبيل المواساة والمساندة الذي يورث المحبة والألفة والرحمة بين البشر.

2-2- حركة الأصابع:

وترتبط هذه الحركة بآثار واضحة في عملية الإبلاغ والتّواصل، كونها تحمل أشكالا ورموزا فاعلة ومؤثرة فتثير انتباه المتلقي، وهي قادرة على توصيل معانٍ ذات صورة محدّدة، وكافية على توضيح أغراض معينة سواء كانت مقصودة أم غير مقصودة، ولعلّ هذا ما نجده واضحا في الأحاديث النّبوية الآتية:

أ- **التشابك بين الأصابع:**

---

[1]- مسند الإمام أحمد، حديث صفية، ج44، رقم 26866، ص435 .

[2]- محمد صالح المنجّد، كيف عاملهم صلى الله عليه وسلم، ص61.

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: «"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا" ثمّ شبّك بين أصابعه»[1].

فعلامة التشابك بين الأصابع صورة من صور التماسك والتآلف والتلاحم بين الأشياء المختلفة، ففي هذا الخطاب دلت على أمر عظيم، وهو توثيق وتقوية رابطة الأخوة والألفة، فعلى كل المؤمنين في شتى بقاع الأرض أن يكونوا متآخين متكاتفين ومتماسكين كالبنيان في قوتهم وصلابتهم وتعاونهم كأنهم أسرة واحدة حتى تزول بينهم الفوارق القبلية والجنسية، وذلك من أجل خلق الوحدة والانسجام بينهم.

ب- الإشارة بالأصابع:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« بعثت أنا والسّاعة كهاتين، ويشير بإصبعيه فيمدّ بهما»[2].

ارتبطت دلالة حركة الأصابع ارتباطا وثيقا بدلالة اللفظ، من حيث كونها تتطابق مع المضمون الحقيقي للخطاب، فقد رسم النّبي (صلى الله عليه وسلم) للمتعلم صورة متكاملة عن اقتراب يوم الساعة مع البعثة المحمدية، " وأما معناها فقيل: المراد بينهما شيء يسير، كما بين الأصبعين في الطول، وقيل هو إشارة إلى قرب المجاوزة"[3]، وبالتالي تأكيدا على قرب قيام الساعة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة وبأنّها آتية لا محالة.

ومن نماذج استخدام الإشارة بالإصبع موقف تبين مدى قرب كافل اليتيم منه، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا"، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا»**[4]. فالملاحظ من خلال هذا الخطاب أنّه يحمل طابعا رمزيا إشاريا، ممّا يجعله قويّ التأثير على نفوس المتعلمين، فعلامة الإشارة التي وظّفها النّبي صلى الله عليه وسلم دلت على "القرب المكاني في الجنة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومن

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، رقم 36، ص730 .

[2]- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي :" بعثت أنا والساعة كهاتين"، رقم 6503 ، ص780.

[3]- شرح صحيح مسلم، ج17، ط15، بيروت –لبنان، 2008م، ص289 .

[4]- صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، رقم 5304، ص657.

يكفل يتيما، وتستخدم الإشارة نفسها للدلالة على الأخوة والحب والتواصل"[1] ، ومنه نستشف أهمية هذه الإشارة وأثارها العظيم في التبليغ والتواصل .

ولأهمية هذه الحركة التربوية فقد أشار إلى ذلك أيضًا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، **عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال:" من عال جاريتين حتّى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين" وضمّ أصابعه**"[2].

إنّ هذا النوع من الإشارات ينطوي على أبعاد تربوية الّتي تدفع صاحبها لتبؤ المكانة العالية المذكورة آنفا، إذ يبدو أن الخطاب موجه بالضّرورة إلى عول الإنسان للبنات وما يقدمه من بدلٍ وعطاءٍ في سبيل إكرامهن.

2-3- حركة الأرجل:

تخضع حركة الأرجل لأشكال مختلفة التعبير تلاءم مقاصد المرسل ونيته، بيد أن هذه الأعضاء تحمل علامات لغوية تثير اهتمامات المتلقي فيتلقاها كرسائل معينة يعجز اللسان التعبير عنها، أضف إلى ذلك أثارها الخاصة التي تلزمه لكي يتفاعل معها، مثل "الإقدام والإحجام، والحذر والجبن والخوف والثقة والقوة والضعف والألم والخطر والسعادة والحزن والتواضع والتكبر والذل والعزة والغضب واليأس والاستحياء والاستكبار ..."[3].

ونجد هذه الحركة أيضًا في الخطاب النّبوي الّتي تمظهرت كنوع ونمط من العلاقات التواصلية، فقد " كان أسرع النّاس مشية، وأحسنها وأسكنها، قال أبو هريرة في وصف مشية النّبي صلى الله عليه وسلم: ما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه

---

[1]-ينظر: أحمد عارف حجازي، دراسات لسانية في الحديث النبوي، ص95 .

[2]- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، رقم2631 ، ص852.

[3]- احمد العبد أبو سعيد، زهير عبد اللطيف عابد، مهارات الاتصال وفن التعامل مع الآخرين، ص229 .

وسلم، كأنما الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث"[1]، ومما يؤكد بوضوح التأثير الفعلي لحركة الأرجل النموذج التالي:

حدّثنا أحمد بن سعيد الدّرامي حدّثنا النّظر بن شميل حدّثنا حمّاد عن ثابت عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو قال: صلّينا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم المغرب. فرجع من رجع، وعقّب من عقّب، فجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلم مسرعًا، قد حفزه النّفس، وقد حسر عن ركبتيه، فقال:" أبشروا هذا ربّكم قد فتح بابا من أبواب السّماء يباهي بكم الملائكة، يقول انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضةً، وهم ينتظرون أخرى"[2].

إن حركة الأرجل المصاحبة لهذا الخطاب لم تقتصر على الإسراع في مشيته صلى الله عليه وسلم فحسب، بل تحمل البشرى من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة رضوان الله عليهم حيث يبشرهم بأنّ الله يباهي الملائكة بهم. فمن خلال هذا الاتصال غير اللفظي يتبين لنا أهمية هذه الحركة المتوافقة والمنسجمة مع التبليغ عن شدة فرحه وسروره صلى الله عليه وسلم لاحتوائها على أغراض تربوية مهمة تدفعنا إلى معرفة ما يترتب عن طاعة الله عز وجل وعبادته وإدراك فوائدها وثمارها الجليلة.

ب- حركة الأرجل المتثاقلة:

عن عمر بن حفص بن غياث قال: حدّثني أبي قال: حدّثنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود قال: كنّا عند عائشة رضي الله عنها فذكرنا المواظبة على الصّلاة والتّعظيم لها قالت: لمّا مرض رسول صلى الله عليه وسلم مرضه الّذي مات فيه، فحضرت الصّلاة،

---

[1]- الإمام ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط2، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان ،1426هـ-2005م، ص62 .

[2]- سنن ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، رقم 801، ص262.

فأذّن، فقال: "مروا أبا بكر، فليصل بالنّاس". فقيل له: إنّ أبا بكر رجل أسيف، إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلّيَ بالنّاس، وأعاد، فأعادوا له، فأعاد الثّالثة، فقال: "إنّكنّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر، فليصلّ بالنّاس". فخرج أبا بكر، فصلّى، فوجد النّبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خفّة، فخرج يهادي بين رجلين كأنّي أنظر رجليه تخطّان من الوجع فأراد أبو بكر أن يتأخّر، فأومأ إليه النّبي صلى الله عليه وسلم أن مكانك، ثمّ أتي به حتّى جلس إلى جنبه"[1].

تعبر حركة الأرجل في هذا السياق عن تلك الحالة الّتي تصف بدقة قدرته صلى الله عليه وسلم على تحمل المرض قبل وفاته، أما أثرها على الخطاب أراد أن يبيّن "مشية المريض المتثاقل، وقد ظهرت هذه الدّلالة في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم في مرض موته، فقد وجد في نفسه خفّة، فخرج يهادي بين اثنين "ورجلاه تخطّان من الوجع"، وقد وصفت هذه المشية في علم الحركيّة، فقيل "الخطوة المائعة، السّاق المجرجرة، القدمان المثقلتان، العين الغامضة"[2].

لقد تعددت وسائل التعليم وأدوات النصح والتوجيه في الخطاب النّبوي، وذلك لتعدد وتنوع أساليب التبليغ غير اللفظي الّتي تعتبر من الوسائل التعليمية التربوية مادامت تستقطب عقول المتعلمين نظرًا لفاعليتها في جذب الانتباه وأثارها الّتي تصاحب الخطاب ممّا يجعله واضحا وثابتا وراسخا في الأذهان والنفوس.

وتبعا لذلك فإنّ هذه الإشارات الضرورية تعمل على إنجاح العملية التّخاطبية بوصفها آلية من آليات التواصل الفعالة والناجحة الّتي ينبغي مراعتها في العملية التعليمية حتى تمكّن المعلم من بلوغ غاياته وتحقيق أغراضه التربوية، ويمكن أن نستفيد من هذا الجانب التواصلي والتربوي في التطبيقات الإجرائية للعملية التعليمية من أجل تدعيم وتغيير أساليب وطرائق البيداغوجية للتعليم اللغوي ؛ " لأن تعلم اللغة لا يتوقف على القدرة اللغوية، وإنّما لابد من

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب حد المريض إن يشهد الجماعة رقم 664، ص84 .

[2]-ينظر: مهدي عرار، التواصل غير اللفظي في الحديث النبوي الشريف-دراسة في لغة الجسد، ص27 .

القدرة غير اللغوية في الاتصال، لاسيّما دلالات الإشارات والحركات الجسمية، وكل ذلك يؤدي بالمتعلم للوصول إلى القدرة التواصلية"[1]؛ أي قدرة على استعمال اللغة في سياق تواصلي لأداء نويا تواصلية معينة"[2] الّتي تندرج ضمن اهتمامات اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات.

3-التواصل بالرسومات التوضيحية والأشكال البيانية:

لا شك أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم استخدم أساليب تواصلية مختلفة ومتباينة حافلة بالدروس التربوية، وتعتبر من العوامل المؤثرة في سلوك المتعلمين، حيث "كان صلى الله عليه وسلّم يستعين على توضيح بعض المعاني والدلالات بالرّسم على الأرض والتراب"[3] بوصفه من مميّزات "الوسائل التعليمية الممكنة لتقريب الحقيقة وتصويرها وذلك برسم صورتها وإبراز شكلها أمام المشاهد"[4]، ويتضح هذا الغرض التربوي جليا في الأحاديث النّبوية الّتي تتعلق بالاتصال الشكلي الذي يستخدم فيه الرسومات والأشكال البيانية، وأهمها:

عن عبد الله رضي الله عنه قال:« خطّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خطا مربّعا، وخطّ خطّا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا، إلى هذا الّذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به -أو قد أحاط به- وهذا الّذي هو خارج أمله، وهذه خطط الصّغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وان أخطأه هذا نهشه هذا»[5]، ويمكن أن نمثّل من خلال هذا الخطاب في الخطاطة التالية[6]:

---

[1]- دوجلاس براون ، أسس تعلّم اللّغة وتعليمها، ص260.

[2]- علي ايت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي-الأسس المعرفية والديداكتيكيّة، ص43.

[3]- ينظر:عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص118.

[4]- ينظر:على راشد،شخصية المعلم و أداؤه في ضوء التوجيهات الإسلامية في التربية، ص47

[5]- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، رقم 6417، ص772.

[6]- عمدة القاريء، ج23، ص 54.

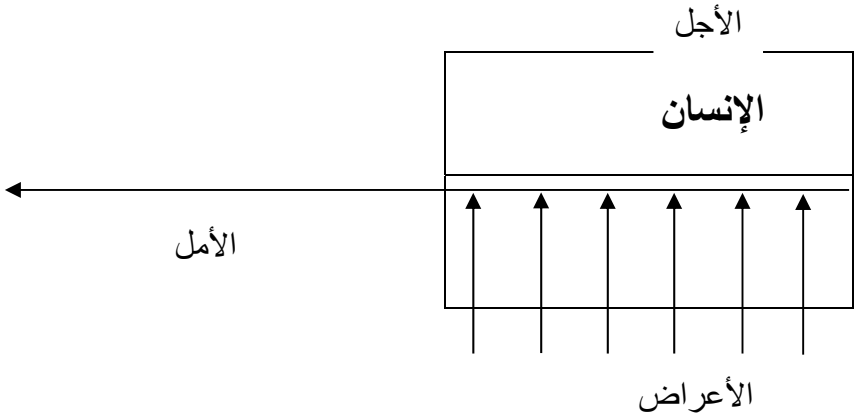

يلمح الخطاب إلى ذكر حقائق معرفية مؤكّدة عن جوانب الحياة الإنسانية مفادها أنّ الدّنيا بزينتها ومفاتنها قد تشغل الإنسان عن عبادة الله عز وجل لتحقيق رغباته وأحلامه وطموحاته، لكن وعلى الرّغم من ارتباطه بالأجل والموت، إضافة إلى تعرضه لعدد من العوائق والعقبات الّتي تفرضها ظروف الحياة أي الأعراض، إلاّ أنّ آماله لا تزال قائمة ولكنه أضاعها بسبب انصرام حبل العمر بالغفلة فينهي حياته دون أن يشعر بذلك. وبهذا المعنى تتضح لنا الغاية من الخطاب وهي الحرص على استثمار الوقت في طاعة الله وإتباع نهجه الحكيم للفوز في النهاية بالدارين.

وبينما في موقف تربوي آخر، فعن عبد الله بن مسعود، قال:« **خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا بيده، ثمّ قال:" هذا سبيل الله مستقيمًا" قال : ثم خطّ عن يمينه وشماله" ثم قال:"هذه السّبل ، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان، يدعو إليه"، ثم قرأ: "{وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتّقون }** [1]». [2] يمكن توضيح ذلك بالشكل الأتي:

[1]- سورة الأنعام، الآية 153 .

[2]- مسند الإمام أحمد، حديث عبد الله ابن مسعود، ج7، رقم4437 ، ص 436.

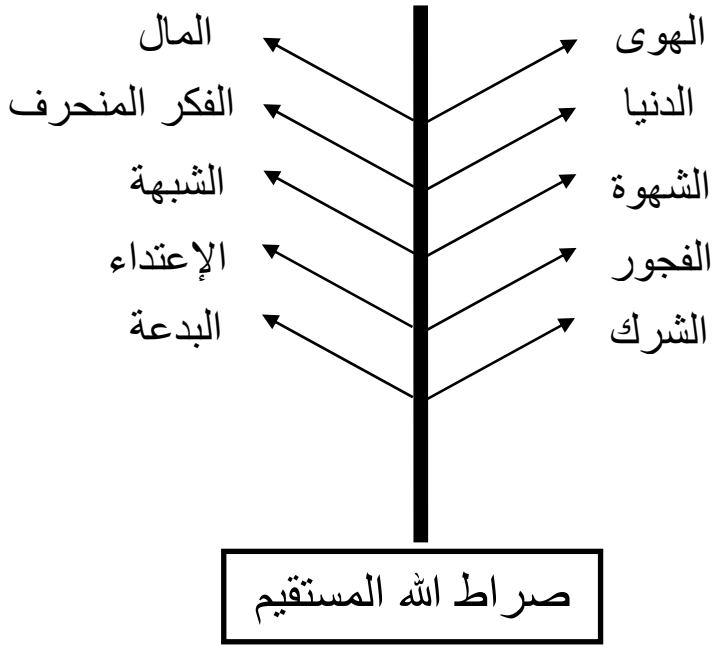

وهذا الرسم واضح فيه وصف عميق التأثير يبرز أسس العقيدة الإسلامية ومقوماتها بأيسر الإشارات الّتي تتناسب مع أهداف الخطاب، فقد "بيّن النّبي صلى الله عليه وسلم بما رسم لهم على الأرض أنّ منهج الإسلام هو الصراط السويّ المستقيم الموصل إلى العزة والجنة، وأن ما عداه من المبادئ والنظم والأفكار هي سبل الشيطان وطرقه الموصلة إلى الدمار وإلى النار"[1].

وهكذا تتضح أهمية هذه الوسيلة في الطريقة المستخدمة الّتي تنعكس أثارها التعليمية على سلوك المتلقي، ويمكننا أن نستفيد أيضا من حديث ابن عبّاس رضي الله عنه إذ يقول:

«خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط، ثم قال: "أتدرون ما هذا؟" قالوا الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[2].

---

[1]-ينظر: علي راشد، شخصية المعلم وأداؤه في ضوء التوجهات الإسلامية في التربية، ص47.

[2]- مسند الإمام أحمد، حديث ابن عباس،ج5، رقم2901 ، ص77 .

بهذا الأسلوب استطاع النّبي صلى الله عليه وسلم أن يبيّن الدلالات الظاهرة والعميقة من خلال الرسم التخطيطي التالي[1]:

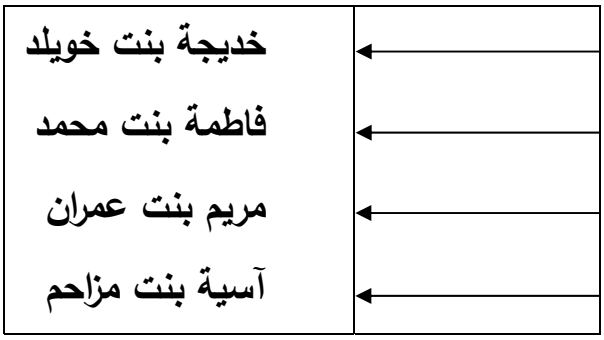

لقد تجاوزت الرسومات التوضيحية والتصويرية الوسائل التعليمية الّتي تندرج ضمن العملية التّبليغية، فهي وسيلة تعليمية ناجحة، إذ من المسلمات لدى التربويين أنّه كلما زاد عدد الحواس الّتي تشترك في الموقف التعليمي، زادت فرص الإدراك والفهم والاستيعاب؛ "لأن دور المتعلم في هذا الموقف التعليمي هو أن يقوم أولا بدور المشاهد والمستمع ، ثم بعد ذلك يقوم بدور المقلد للخطوات الّتي قام بها المعلم ، فيشغل المعلم، حينئذ، حاستي السمع والبصر لأنّهما عنصران أساسيان في عملية الإدراك والاستيعاب، فيسمع المتعلم ويكرر ما يسمع حتّى تتكون لديه عادة لغوية ، وقد يعي ذلك جيدا حينما تكون التراكيب اللغوية مصحوبة بالصور التوضيحية" [2]، ويدل هذا على أنّ" الصورة تيسر عملية الإدراك وتساعد المتعلم على التذكر، والاحتفاظ بما يراه في ذاكرته طويلة المدى بنسبة عالية من التفوق قياسا بما يتلقاه المتعلم عن طريق حاسة السمع والحواس الأخرى، ومن زاوية المتلقي، فإنّه كما هو معلوم أكثر ثقة بما يراه وأكثر تقبلا له ممّا يسمعه، ويكمن السبب في ذلك أن التلقي

[1]–ينظر: نصار أسعد نصار، طرق الاتصال التربوي(السمعية والبصرية)،مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 26، العدد 2 ،2010م، ص453.

[2]– ينظر: أحمد حساني ، دراسات في اللسانيات التطبيقية – حقل تعليمية اللغات، ص154.

عن طريق الصورة لا يتعب البصر كما يتعب السمع والأذن"[1]، وعلى ضوء ذلك وجب على المعلم أن يستعد لتجسيد هذه القاعدة بشكل جيد يتكيف مع المستوى التعليمي التربوي من جهة، والّتي تخدم الغاية والهدف المحدّد والمشترك بين المعلم والمتعلم ولكن دون إهمال لبقية الوسائل التعليمية من جهة أخرى.

ختاما وبهذه الأساليب التربوية الّتي تمّ بها توصيل الخطاب ومن خلال دعمها للدعوة الإسلامية وإبلاغ الرسالة الجليلة، تتجلى منهجية واضحة غنية بالأشكال التواصلية ومتفردة بالوسائل التعليمية المتباينة والمتكاملة والكافية الّتي تزود المعلم بالمهارات اللّغوية والكفاءات التواصلية أثناء أداء النشاط التعليمي، بينما تساعد المتعلم على تفعيل مهاراته التعليمية ، وتحقيق طلاقته اللغوية. و بالتالي اكتساب القدرة اللغوية و القدرة التواصلية معا.

بالإضافة إلى استكشاف واستقصاء الحقائق واكتساب المعارف واستيعابها. بحيث كان "يراعي الأسلوب النّبوي الشريف في التربية، خصائص النمو العقلي والنفسي والوجداني لدى المتعلمين، ومستوى إدراكهم، والحوافز المؤثرة فيهم، والدوافع الّتي يمكن أن تثير مشاعرهم، وتهيئ نفوسهم للتلقي والتعليم، مع احترام مبادئهم الشخصية ونشاطهم الذاتي ومشاركتهم الفعالة في عملية التعليم والتربية بفهم ووعي وتبصر، وليس عن طريق التلقين وحشو الأذهان بالمعلومات والمعارف دون فهمها واستيعابها، وبذلك نجده أسلوبا حيّا وفعّالا، وغاية في الروعة والإعجاز، سابقا لما توصل إليه الفكر التربوي في العصر الحديث من أسس وقواعد لا بد من إتباعها في تربية الناشئين تربية متكاملة وسوية "[2]. ومما لا يخفي علينا بخصوص هذه الأساليب التواصلية وفاعليتها في التبليغ ، فإنّنا نحتاج إلى استثمارها في إطار العملية التعليمية وعملا بسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) وذلك بتطوير مناهج التربية وإعداد المعلمين، إذن "فينبغي على كليات التربية وكليات إعداد المعلمين إعادة النظر في

---

[1]– ينظر: حارث عبود،نرجس حمدي، الاتصال التربوي، ط الأولى، دار وائل، عمان ، 2008م، ص97 .

[2]–ينظر: عبد الحميد الصّيد الزناتي، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ط2، دار العربية للكتاب، ليبيا –تونس، 1993م، ص 196.

مناهجها التخصيصية لكي تحقق أهدافا أكثر وظيفية في إعداد المعلمين وفق فلسفة تربوية إسلامية محددة الأهداف والمحتوى والأساليب بحيث يتم التأصيل الإسلامي للمقررات الدراسية في تلك المناهج"[1] بصفة عامة وغيرها من الاصطلاحات في هذا الميدان.

[1]- علي راشد، شخصية المعلم وأداؤه في ضوء التوجهات الإسلامية في التربية نحو تأصيل إسلامي للتربية، ص.67

الفصل الثالث

إستراتيجية الإقناع وآلياتها في الخطاب النّبويّ التربوي

أولا – مفهوم الإقناع وعلاقته بالتواصل والتأثير والحجاج.

ثانيا– آليات الإقناع:

1– الآليات اللغوية: أ– ألفاظ التعليل.

ب– الصفة.

ج– – أفعال الكلام

2– الآليات البلاغية: أ– في علم المعاني.

ب – في علم البيان.

ج– في علم البديع.

3– الآليات الحجاجية: أ– الوسائل اللغوية.

ب – الوسائل المنطقية العقلية.

تتميّز مهارة الإقناع بآليات تواصلية ذات وظيفة تأثيرية تتصف بالقوة والفاعلية والحيوية وما إلى ذلك من التّقنيات المستخدمة والمؤهلة أكثر لإتقان الأعمال وجودة الأفعال من أجل أداء مهمة الإقناع، وهي آليات تمنح الخطاب طاقة جوهرية من حيث بروز السرعة والدقة في إيصال الأفكار وإبلاغ الأهداف على حساب الاستعدادات اللازمة والقدرات الكامنة لدى المخاطب وطبيعة الظروف الملائمة إزاء الموضوع المطروح ومدى استجابة المتلقي لهذه الآليات، كما أنّها إستراتجية تداولية توافق مبدأ العملية التربوية بكفاءة و فاعلية من ناحية التعليم و التعلّم لأنّ "دور المعلم يقتضي استثارة المتعلم و تحفيزه على التعلم و الاكتساب و توجيهه و ترشيده لنوع المعرفة والمواقف التعليمية التعلمية و الطرق و الوسائل التربوية، الّتي تنمي قدراته ومهاراته باعتباره أكثر نضجا منه"[1].

وانطلاقا من هذا المبدأ يسعى هذا الفصل إلى دراسة آليات الإقناع في الخطاب النّبوي من حيث اللّغة المستعملة الّتي تتعلق بالآليات اللغوية والآليات البلاغية والآليات الحجاجية.

وقد تضمّنت دائرة البحث دراسة العلاقة التربوية في بعدها التواصلي التأثيري قصد تطبيقها على الخطاب النّبوي بهدف استنباط الآليات الاقناعية المعينة لعملية التربية والتعليم من خلال الأحاديث النّبوية الشريفة وأهميتها في إقناع النّاس وتبليغهم دعوة الله، ومن هنا نتساءل عن أهمّ وسائل الإقناع الّتي استخدمها الرسول (صلى الله عليه وسم) في العديد من المواقف التعليمية لتحقيق الأهداف التواصلية التربوية. إلّا أنّ الإجابة عن هذا السؤال تقتضي استجلاء مفهوم الإقناع، والوقوف على دلالته في ضوء علاقاته بمفهوم التواصل والتأثير والحجاج حتى تتضح لنا الأمور أكثر وفي إطار الأهداف الّتي يتوخها هذا البحث.

وهناك العديد من الأحاديث النّبوية الشريفة التي تحقق هذا المسعى والوصول إلى المراد، غير أنّنا ارتأينا في هذا الفصل أن نعرض نموذجا لكلّ صنف لأنّ مقام الدراسة لا يتسع أن نلمّ بكل هذه الآليات المتعلقة بالأحاديث النبوية .

[1]-ينظر: عسوس محمد، مقاربة التعليم والتعلم بالكفاءات، ص77.

أولا – مفهوم الإقناع وآلياته وعلاقته بالتواصل والتأثير والحجاج.

1-1- مفهوم الإقناع (Persuasion):

أ-الإقناع في اللغة:

تحقق المادة اللّغوية {ق.ن.ع} في المعاجم العربية معنيين ، ولتعليل هذا نسوقها فيما يلي:

1- كلمة قَنَعَ (بفتح النون) تعني السؤال والتذلل للمسألة، وقَنَعَ (بالفتح) يَقنَعُ قُنُوعًا: ذل للسؤال، وقيل: سأل، وقال الله عز وجل: ﴿ وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾[1] ، فالقانع الذي يسألُ، والمعترّ الذي يتعرّضُ ولا يسأل"[2].

2- قَنِعَ (بكسر النون)- قنعان وقناعة : رضي بما قسم له، نقول قنعه: رضّاه وأقنع بيديه في الصلاة: مدّها واسترحم ربه، وتقنع: تكلّف القناعة، إقتنع بالشيء: معنى رضى به، القانع: ج قانعون، وقُنَّع: القانع، السائل، والمتذلّل، يجوز أن يكون سمّي بذلك لأنّه يرضى بما يعطى قلّ أو كثر. [3]

يبدو من خلال هذه الدلالة الأصلية وتجلياتها المعجمية العربية أنّ كلمة قَنَعَ تحمل دلالة الرضى والاقتناع بالشيء أي قبوله والرضى به.

ولعلّ الأصل اللاتيني لكلمة الإقناع (Persuader) في الفرنسية، مشتق من الكلمة اللاتينية Persuadere ، و تتكوّن من مقطعين **per** وتعني **عاطفي** و**Suadere** بمعنى **يحثّ**، وهذه الكلمة ذات الأصل اللاتيني تعني "أن تجعل شخصا ما يفعل أو يعتقد في شيء من خلال الحثّ العاطفي أو العقلي"[4].

---

[1]-سورة الحج ، الآية36 .

[2]- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مادة قنع، ج8 ،ص297.

[3]- المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، 2003م، ص657.

[4]- ينظر: كريمة أحسن شعبان، الاتصال الخطابي وفن الإقناع، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2015م، ص 117.

ب-الإقناع في الاصطلاح: كما هو معلوم فإنّ التعريفات الاصطلاحية التي اشتمل عليها مفهوم الإقناع متعددة، ويمكن أن نورد بعضا منها فيما يلي:

يُعرف الإقناع على أنّه: "الاقتناع بالشيء هو الرضى به، ويطلق على اعتراف الخصم بالشيء عند إقامة، وهو على العموم إذعان نفسي لما يجده المرء من أدلة تسمح له بقدر من الرجحان والاحتمال كاف لتوجيه عمله، إلاّ أنّه دون يقين في دقته" [1].

وهناك من رآه بأنّه "عبارة عن فعل مؤثر في الرأي أو في وجهة النّظر، إذ يتم عن طريق المنقاشات و التفسيرات"[2].

كما يعرف الإقناع بأنّه " تأثير المصدر في المستقبلين بطريقة مناسبة ومساعدة على تحقيق الأهداف المرغوب فيها، عن طريق عملية معينة، أين تكون الرسائل محدّدة لهذا التأثير". ونجد تعريفا آخر وهو: "عملية اتصال الأفكار والاتجاهات والقيم والمعلومات إمّا إيحاءا أو تصريحا، عبر مراحل معينة، وفي ظل حضور شروط موضوعية وذاتية مساعدة، وعن طريق عملية الاتصال"[3].

وفي ذات السياق فإنّ الإقناع ذو طابع" اتصالي مكتوب أو شفوي أو بصري يهدف بشكل محدّد إلى التأثير على الاتجاهات والاعتقادات أو السلوك، كما أنّه القوة الّتي تستخدم لتجعل شخصًا يقوم بعمل ما عن طريق النصح والحجة والمنطق"[4]. وقد ساهمت هذه الغاية في تحديد إستراتيجية الإقناع بشكل عام، وكشفت عن الأهداف الّتي يرمي المتكلم إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المتلقي أو إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي،

---

[1]- ينظر: طه عبد الله محمد السّبعاوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ص15.

[2]- ينظر: محمود شمال حسن، الصورة والإقناع-دراسة تحليلية لأثر خطاب الصورة في الإقناع، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2006م، ص30.

[3]- ينظر: عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي-خلفية نظرية والياته العملية-، ط2، ديوان المطبوعات، الجزائر، 2006م، ص16 - 17.

[4]- إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، ص189.

ولتحقيق هذا الهدف إستراتيجية تداولية تُعرف بإستراتيجية الإقناعية، إذ تكتسب وظيفتها من هدف الخطاب، وتختلف الاستراتجيات الّتي تسهم في ذلك من ناحية العلاقة بين طرفي الخطاب أو من ناحية تجسيدها لشكل الخطاب اللّغوي، كما تختلف الآليات والأدوات اللّغوية، وذلك لاختلاف الحقول الّتي يمارس فيها الإقناع مثل الحقل العلمي، أو الاجتماعي ، أو السياسي"[1].

انطلاقا من التعاريف الّتي أوردناها نتوصل إلى أنّ مفهوم الإقناع هو عملية تبليغية تفاعلية قائمة على عنصر التأثير كحافز قوي يمكنه أن يحقق غاية المرسل دون صعوبة أو عناء أثناء إيصال الأفكار تبعًا للصياغة الحجاجية، فتحرك بذلك عواطف المتلقي وتثير انفعالاته ممّا يستسهل التواصل والتأثير والاقتناع.

والإقناع بهذا التحديد يشير إلى ازدحام طائفة من المصطلحات الجديرة بالذكر لأنّها بمثابة الإقناع من حيث ارتباطها بالمفهوم وما تحمله من معان متداخلة مع بعضها البعض، ونذكر منها: التواصل، والتأثير، والحجاج، تبعا لذلك نقف عند كل مصطلح كالتالي:

2-1- علاقة الإقناع بالتواصل:

إن غاية التواصل هي الإقناع، وهذا ما أشار إليه (Denis huis man) إلى أنّ الإقناع صفة مرافقة وملازمة لكلّ أنواع الاتصالات، ومن ثمّ فهو يرى أنّ اختيار أساليب الإقناع الناجعة تؤدّي إلى فعالية الرسالة: "يجب أن يؤدّي الإقناع بالمستقبل إلى اتخاذ قرار راجع إلى بعض التغيرّات في الآراء والمواقف ويجب لهذه التغييرات أن تندمج باستمرار في حياة المستقبل"[2].

وفعل الإقناع على وجه التحديد هو "أحد أشكال الفعل الإدراكي، وهو يتعلق بمقام التلفظ، ويتجلى في استدعاء المتكلم لكل أنواع الصيغ والطرق التي تهدف إلى أن يكون

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ،2004م، ص444.

[2]- عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي خلفية نظرية والياته الاجتماعية، ص118.

التواصل فعالا، ويقبل المخاطب التعاقد أو التفاهم التلفظي المقترح"[1]، وبما أن الإقناع يؤدّي إلى استمالة المتلقي والتأثير عليه سواء أكان هذا من الناحية العاطفية أو من الناحية الفكرية، فلابد من أسلوب تواصلي يرمي إلى تحقيق ذلك.

2-2- علاقة الإقناع بالتأثير:

إن عملية الإقناع تحدث نتيجة التأثير، وبحسب نوعية الأفكار والمفاهيم والظروف المصاحبة للخطاب، ولهذا يرتبط الإقناع بمفهوم التأثير" ويكاد هذان المفهومان يكونان متلازمين، فظاهر لفظ التأثير يشير إلى عملية تبدأ من المرسل لتصل إلى المتلقي مع توفر إرادة ذلك. في حين أن مصطلح التأثير يشير إلى الحالة التي يكون عليها المتلقي بعد التعرض لعملية الإقناع و استقبال الرسائل وتفاعله معها، فهو نتيجة التأثير، فالتأثير إذا، هو إرادة وفعل لتغيير الاتجاهات والاعتقادات أو الآراء، أو على الأقل تعديلها، أو ترسيخ قيم و أفكار جديدة، أمّا التأثر فهو النتيجة المحققة من خلال عملية التأثير، وبهذا الشكل يكون التأثير مرادف للإقناع، والتأثر مرادفا للاقتناع[2].

2-3- علاقة الإقناع بالحجاج:

إنّ الحجاج (Argumentation) من جهة الأصل يقتضي التواصل، ويستلزم التأثير والإقناع، لأنّه يقوم أساسا على "طريقة عرض الحجج وتنظيمها في منظومة تحليلية تبحث عن فاعلية بالغة وأثرها في التواصل، وتقنية في التأثير والإقناع"[3]، ولعلّ هذا ما نجده واضحا للمفهوم العام للحجاج، إذ يعرّف بأنّه "طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعًا فعالاً، وهذا معيار أوّل لتحقق السمة

---

[1]- ينظر:حافظ اسماعيلي علوي ومحمد أسيداه، اللسانيات والحجاج، الحجاج المغالط: نحو مقاربة لسانية وظيفية، ضمن الحجاج مفهومه مجالاته، ج3، عالم الكتب الحديث، عمان، 2010م، ص270.

[2]-عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي، ص17-18.

[3]- ينظر: محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة-دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، ص48.

الحجاجية، غير أنّه ليس معيارًا كافيًا، إذ يجب ألّا تهمل طبيعة السامع أو (المتقبل) المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلا على استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه"[1]. فغاية الحجاج ليست هي التدليل على قضية معينة فحسب بل إنّ غايته الأهم هي استمالة الآخر ودفعه إلى اعتقاد شيء أو تركه، والحجج لا تقصد إلى البرهنة على صدق قضية ما ولكنها تقصد إلى كسب واستمالة ذهن واحد أو أكثر"[2]، ممّا يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجح الحجاج ما وفق في جعل درجة حدة الاذعان تقوى لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب"[3]، في حين يحدّد طه عبد الرحمن الحجاج "كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[4] وهذا يعني أنّ الحجاج يرتكز على الإفهام الناتج عن استجابة المخاطب دون إلزامه بالدعوى المخصوصة.

وأهمّ مميّزات نظرية الحجاج تتمثّل في خمسة ملامح رئيسية:

1- أنّ يتوجه إلى المستمع.

2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

3- مسلماته لا تعد وأن تكون احتمالية.

4- لا يفتقر تقدمه – تناميه – إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5- ليست نتائجه ملزمة.

---

(1)- ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008م، ص21.

(2)- ينظر:عبد عالي قادا، بلاغة الإقناع–دراسة نظرية تطبيقية، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان، 1437هـ–2016م، ص86.

(3)-عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب– دراسة تداولية–، دار الحكمة، الجزائر، 2009م، ص157.

(4)- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان العقلي أو التكوثر العقلي، ص226.

وعليه، فالحجاج "عبارة عن تصور معين لقراءة الواقع اعتمادًا على بعض المعطيات الخاصة بكلّ من المحاجج، والمقام الذي يجنب هذا الخطاب"[1].

وقد أورد "ميشال مايير" (**Michel Meyer**) تعريفا واضحا يعرف الحجاج عادة بوصفه جهدا إقناعيا، وسيصبح البعد الحجاجي أساسا في اللّغة، بكون كلّ خطاب يسعى إلى إقناع من يتجه إليه، ومن جهة أخرى، يميز الحجاج كذلك بوصفه استدلالا غير صوري، و غير ملزم في تعارض مع الاستدلال المنطقي، مع الضرورة الصارمة و بدون استدعاء"[2].

بينما من المنظور اللّساني هو "عملية لسانية اتصالية الغاية منها الإقناع" [3]"والذي يحتوي على مخاطب، وهو ما يطلق في المصطلح العام على المتكلم، ويتضمن أيضا رسالة تتشكل بدورها من معلومات وآراء وأفكار لإقناع المتلقّي أو المستقبل أو الجمهور بفكرة معيّنة، وهو ما يسمى غالبا بالمستمع، وهكذا يسجل الحجاج في المثلث التقليدي الّذي يعتمد على المتكلم والرسالة والسامع، وهو الأمر الّذي يدرس في جميع أشكال علوم الاتصال"[4]، وانطلاقا من هذه العناصر المهمّة الّتي تسهم بفعالية في العملية الحجاجية فإن إستراتجية الإقناع "هي السلطة الّتي يستخدمها المرسل في خطابه دون الاستراتجيات الأخرى، كالاستراتجيات الإكراهية، ولا تحقق قولا أو فعلا إلاّ عند تسليم المرسل إليه بالخطاب الملقى، ولتحقيق المراد يتوسّل المرسل الحجاج بالتعويل على أساليب وآليات لغوية، أو فعاليات استدلالية خطابية مشيدة على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرامها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو ببطلان الرأي المعترض عليه، وعلى هذا النحو كان الإقناع هو مجال البحث الحجاجي نظرا إلى كونه محدّد المقام والمخاطب، والإطار القولي"[5]،

---

[1]– ينظر: هاجر مدقّن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013م، ص 27.

[2]- Michel Meyer , -logique-langage-et argumentation , Hachette 2 éd , paris , 1982.p22

[3]–عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص11.

[4]-Philip Breton , l'argumentation dans la communication , édition casbah- , Alger , janvier1998 , p7

[5]– الحجاج وإستراتجية الإقناع عند طه عبد الرحمن، مقاربة استيمولوجية، د محمد حمودي، جامعة مستغانم، 16–90– www.tahaphilo.com.2014

وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ الحجاج يرتكز على اللّغة باعتبارها إحدى الأدوات الفعالة للإبلاغ والإفهام استنادا إلى الوسائل اللغوية والوسائل المنطقية العقلية الّتي تؤدّي بدورها إلى النتيجة المرجوة وهي الإقناع، وفي ذات السياق نقوم بعرض الآليات الإقناعية الحجاجية وإمكانية تطبيقها على الخطاب النّبويّ، هذا بالإضافة إلى إمكانية استخراج الطاقة الإقناعية من مصادر أخرى، ولعلّ أهمها الآليات اللغوية والآليات البلاغية، و خاصة فيما يتعلق بالجانب الإقناعي للخطاب النّبوي بقصد التبليغ والتأثير، وهو ما نود التطرق إليه من خلال انتقائنا لمدوّنة السّنة النّبوية وما يعكس بوضوح الأهداف التربوية لهذا البحث، ولنبدأ بالآليات اللغوية:

1. الآليات اللغوية:

إنّ من أهمّ خصائص أسلوب الخطاب النّبوي تنوع آلياته اللّغوية الّتي تتميز بمجموعة من السمات ذات وظيفة تواصلية تقوم أساسا على التأثير والإقناع من خلال إدراج العوامل الحجاجية وكذا الروابط اللّغوية المناسبة والأكثر فعالية، نذكر منها: لكن، بل، إذن، حتّى، لأنّ، بم أن، ربما، ما، إلاّ...وغير ذلك، إنّ هذه الأدوات ترتبط بالانجازات التركيبية والدلالية تبعا لسياق الكلام وطبقا لمقاصد الخطاب بغية الوصول إلى درجة الفهم والإفهام. ومن أجل استجلاء هذا الأمر، اتجهت الأضواء إلى التركيز على فاعلية وكفاءة وقدرة الأسلوب اللّغوي النّبوي في إقناع المخاطب والتأثير عليه، والسعي لإبراز العلاقة بينهما، سعيًا بآليّات خاصة تحقق إستراتجية الإقناع منها ألفاظ التعليل والوصف، وأفعال الكلام.

أ-<u>ألفاظ التعليل:</u>

نعني بها تلك الأدوات اللّغوية الّتي يستعملها المتكلم لإقناع المتلقي، ويتم هذا من خلال بعض الألفاظ مثل "المفعول لأجله، كلمة السبب، و لأنّ. إذ لا يستعمل المرسل أيّ

أداة من هذه الأدوات، إلاّ تبريرا أو تعليلا لفعله، بناء على سؤال ملفوظ به أو مفترض"[1]، وتعليل روح الاستدلال فالعلة الباعثة على الفعل والغاية المنشودة منه طريق للحكم عليه بأنّه خير أو شر وبأنّه صحيح أو باطل وبأنّه سائغ أو غير سائغ لذلك يعمد الخطباء إلى ذكر البواعث على الأفعال والدوافع إليها ليتخذوا سندا في الحكم عليها"[2]، ولعلّ أهم ما تيسر ضمن إطار دراسة ألفاظ التعليل في الخطاب النبوي التربوي التركيز على المفعول لأجله وعلاقته بالإقناع، وذلك بما يقرب مفهومها وخصائصها.

1-1- المفعول لأجله: يعرف بأنّه "اسم يذكر لبيان سبب وقوع الفعل، ومن وسائل معرفته أنه يصلح أن يقع جوابا "لماذا". يقوم الفعل بسببه و من أجله.

أما حالاته: فقد يكون نكرة مجردة من (أل) و الإضافة(...).

2- مقترنا ب(أل) والأكثر أن يأتي مجرورا بحرف الجر ويجب جره باللام.

3- أن يكون مضافا فيجوز نصبه وجره[3].

وقد ورد المفعول لأجله من خلال حديث **أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول لله صلى الله عليه وسلم: «لا يلج النّار رجل بكى من خشية الله»**[4]

خشية ⟵ مفعول لأجله مجرد من "أل" جاء مجرورا.

نلاحظ من خلال هذا الخطاب أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) يركز أكثر على أهمية ذكر الله وخشيته سبحانه وتعالى، اهتماما يفضي إلى استمالة المتلقي وتحقيق الغرض الأسمى وهو تنمية القيم الروحية والعقلية للمتعلم التي تدفعه إلى تربية النفس على الخوف من الله بتعظيمه وتقديسه وشعور بمحبته وتقواه بالخشوع والبكاء، وتربية العقل على التفكير

---

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص478.

[2]- كريمة أحسن، الاتصال الخطابي وفن الإقناع، ص179.

[3]- الشيخ حمدى، الوافي في تيسير النحو والصرف، المكتب الجامعي الحديث 2009م، ص124.

[4]- أحمد بن علي بن حجر عسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب البكاء من خشية الله، ج11، ص 318.

السليم الذي يجمع بين الإيمان بالله و بطاعتة و عبادته والخضوع له، لذلك وردت هاته الآلية اللّغوية المفعول لأجله **(خشية)** ترصد معنى الخطاب بشكل ميسور وتُعين على تبرير وتعليل أسباب خشية الله بالبكاء وذرف الدموع للنجاة من عذاب النّار والفوز بنعيم الجنة، وهو ما جعل الانتباه موجّها نحو الرسالة، فترك بذلك أثرا تربويا ايجابيا في نفس المتعلم الذي يؤدّي بدوره إلى تلك النتيجة المرجوة وهي إقناع المتلقي وتحقيق الأهداف التربوية، وهو ما يتضح من خلال الشكل التّالي:

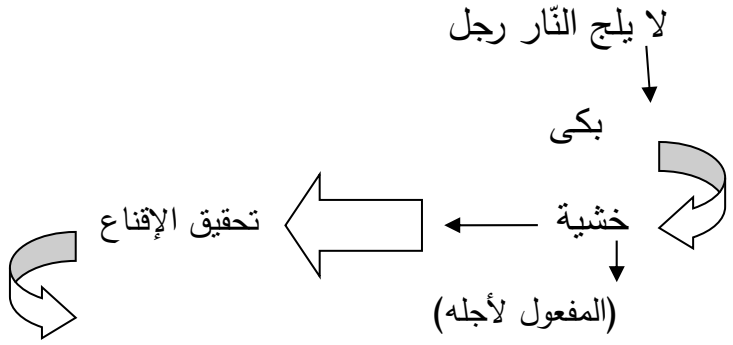

شكل توضيحي رقم(1)

إذن، ما يستفاد من هذا الخطاب النبوي التربوي:

- من كمال الإيمان استشعار عظمة الله بالخشوع والخضوع والطاعة.
- بيان فضل التقرب إلى الله بالبكاء والتوبة والندم والاستغفار والتضرع لطلب النجاة من عذاب جهنم.
- رحمة الله واسعة لمن تاب وأخلص الطاعة والعبادة له.

ب- <u>الوصف</u>:

يتضمن اتجاه الوصف أدوات لغوية مختلفة لأنّها تمثل من حيث التوظيف والاستعمال أهمّ وسائل الحجاج وتكمن قيمتها في التأثير والإقناع، ولعلّ أهم هذه الآليات والأدوات الصفة واسم الفاعل واسم المفعول.

2-1- الصفة:

تعرف الصفة في علم النحو على أنّها "اسم يشرح حال الموصوف، والاسم الموصوف كلمة يسمّى بها شخص أو شيء. لذا نجدها تشمل:

- الأسماء المشتقة كاسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم التفضيل، وصيغة المبالغة.

- يلحق بهذه الأسماء الاسم المنسوب إليه.

- يجب أن تطابق الصفة موصوفها في الإفراد والتذكير وفروعها[1].

ومن الجانب الإقناعي الحجاجي، تمثّل أداة في الفعل الحجاجي وعلامة عليه، فلا يقتصر المرسل على توظيف معناها المعجمي أو تأويله، بل يبتغي التقويم والتصنيف واقتراح النتائج الّتي يريد حصولها أو فرضها، وهذا ما يعطها الطواعية والمرونة الّتي هي من صلب خصائص الخطاب الطبيعي في ممارسة الحجاجيّة، ليمارس المرسل إليه أكثر من فعل واحد بالتصنيف وتوجيه انتباه المرسل إليه إلى ما يريد أن يقنعه به في حجاجه"[2].

نستحضر في هذا المقام حديث **سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنّ الله يحب العبدَ التّقيَّ الغنيَّ الخفيَّ»**[3].

التقيَّ ⟵ صفة منصوبة للموصوف المنصوب (العبدَ).

الغنيَّ ⟵ صفة منصوبة للموصوف المنصوب(العبدَ).

الخفيَّ ⟵ صفة منصوبة للموصوف المنصوب(العبدَ).

يخبرنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من خلال عرض هذا الحديث عن أوصاف العبد المؤمن الّتي تجلب محبة الله ورضاه، و في مقدمتها صفة التقوى لأنّها تقتضي جملة

---

[1]- ينظر: أنطوان الدحداح، معجم لغة النّحو العربي، راجعه: جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، ص181.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص487.

[3]- صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم 2965، ص 953 .

من الأمور العظيمة التي تمكّن العبد من التقرب إلى الله بسب الاستقامة والهداية والتقوى، فضلا عن النجاة من عواقب الدنيا والآخرة.

أمّا صفة الغنى فقد عدَّها النووي بقوله "المراد بالغني غنى النفس هذا هو الغني المحبوب لقوله صلى الله عليه وسلم" ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس"، كما يرى أن "في هذا الحديث حجة لمن يقول: الاعتزال أفضل من الاختلاط قد يتأوَّل هذا على الاعتزال وقت الفتنة ونحوها"[1].

ومعنى الحديث "أن التقي الذي يقوم بأمر الله تعالى ويجتنب نواهيه. وأن الغني الذي استغنى بنفسه عن النّاس. وأن الخفي هو الذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند النّاس" [2].

لا شك أنّ مثل هذه الصفات الواردة في الخطاب تحمل علامات ودلالات تواصلية تقرب الفهم وتفصح عن المعاني السامية للخطاب وهي بيان حقيقة الزهد بالاستقامة والقناعة والاعتزال، وفي ذلك تكمن فائدتها الإقناعية فيما تثيره من تأثيرات واضحة تساهم في تحديد موضوع الخطاب وتؤدّي الغاية النهائية من خلال التفاعل مع الموصوف وبلوغ درجة التأثير والإقناع، وهي كافية لجعل المتعلم مقتنعا وراغبا ومستعدا لإخلاص العبودية لله وحده، وتتضمن بالإضافة إلى ذلك دوافع مؤثرة تحفز المتعلم على تقوية الإيمان في قلبه وتوثيق الصلة بربه عز وجل والحصول على مرضاته، وبالتّالي ترسيخ وتثبيت العقيدة الإسلامية. وستمكّننا هذه الصفات من استخلاص أبرز الأهداف التربوية التي تتجلى في ثلاثة مقاصد:

أولا– مجاهدة النفس بالتقوى و فعل الطاعات وترك المعاصي والمحرمات.

ثانيا– الغنى غنى النفس وهو بمثابة القناعة والرضا وهي كلّها من ثمرات الإيمان.

ثالثا– الحث على الإخفاء والاعتزال المحبب إلى الله سبحانه وتعالى، "فتكون العزلة هي

---

[1]– شرح النووي على صحيح مسلم، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الزهد والرقائق رقم 53، ص1711.

[2]– مصطفى رجب، الإعجاز التربوي في السنة النبوية، ص399.

الخير إن كان في الاختلاط شر وفتنة في الدّين"[1].

2-2- اسم الفاعل: اسم الفاعل من المشتقات البارزة في علم النحو التي تعمل عمل الفعل بشروط محدّدة، وهو "الاسم الذي اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث، و صيغته من الثّلاثيّ المجرّد على فاعل، ومن غير الثّلاثيِّ على صيغة المضارع بميم مضمومة وكسر ما قبل الآخر"[2].

ومن جهة أخرى، يصنف اسم الفاعل ضمن الأوصاف الحجاجية المستعملة، فالمتكلم يسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، وتتبني عليه النتيجة الّتي يرومها"[3]. ومن أمثلة اسم الفاعل في الخطاب النبوي نجد :

وعن عبد الله بن عمرو: قال سفيان: لم يرفعه الأعمش إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ورفعه حسن وفطر، عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: « ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الّذي إذا قطعت رحمه وصلها»[4].

الواصل ←اسم فاعل (مفرد) صيغ من فعل مجرد ثلاثي معتل الفاء (وَصَلَ – يصل) جاء معرف ب(أل)، بمعنى وصل الشيء بالشيء.

المكافئ ←اسم فاعل مفرد من فعل مزيد ثلاثي أصله كفأ مهموز اللاّم (كافأ – يكافأ) جاء معرف ب(أل)، بمعنى كافأه على الشيء، جازاه ويُقال: كافأه بصُنعه. كافأ فلانا ماثله وساواه.

بما أنّ الخطاب استند في الاستدلال البرهاني على استحضار أداة من أدوات الحجاج وهي آلية الاسم الفاعل كحجة إقناعية ليدل على القائم بالفعل، فإنّ ذلك راجع إلى سياق الخطاب ومقامه الاتصالي المنسجم مع مقاصده وأهدافه التربوية، ألا وهي تحقيق الدور الأصلي لصلة الرحم ، والحقيقة أن هذا المنحى مكّن من بلورة مضمون الحديث وإبراز مقدار

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، ص327 .

[2]– محسن محمد قطب معالي، المشتقات ودلالاتها في اللغة العربية–دراسة تطبقية في القرآن الكريم، ط2، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، 2010م، ص28.

[3]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص488.

[4]– صحيح البخاري، كتاب الأدب،باب ليس الواصل بالمكافئ برقم5991 ، ص727.

تفاعل المتلقي مع الخطاب، ومن أجل الفهم وبلوغ الهدف بدأ كلامه (صلى الله عليه وسلم) بصيغة النفي "**ليس الواصل بالمكافئ**" مبينا أن المكافئ هو الذي يعطي نظير ما أعطي له، ويتفضل كما تفضل عليه، ويصل من وصله، ثم يؤكّد حرصه على إثبات النتيجة بتكرار اسم الفاعل وبتوظيف الرابط الحجاجي "**لكن**" الذي جاء على سبيل الاعتراض لتحقيق التماسك والانسجام الحجاجي من خلال الربط بين الدليل الأول "**ليس الواصل بالمكافئ**" ، والدليل الثاني الذي كان أقوى من الأول ومعارضا له، إذ مكّن من توجيه القول بمجمله "**ولكن الواصل الّذي إذا قطعت رحمه وصلها**"، وهي نتيجة تدفعنا إلى أن نقتنع بأنّ الواصل الحقيقي والأصلي هو "الذي يبدأ بالصلة، ولا ينتظر أقاربه حتى يصلوه، وهو الذي يربط هذه الصلة إذا انقطعت ويبذل كلّ ما في وسعه لتحسين العلاقات بين الأقارب"[1]. وهكذا يمكن توضيح المعاني السامية للخطاب في المخطط الأتي:

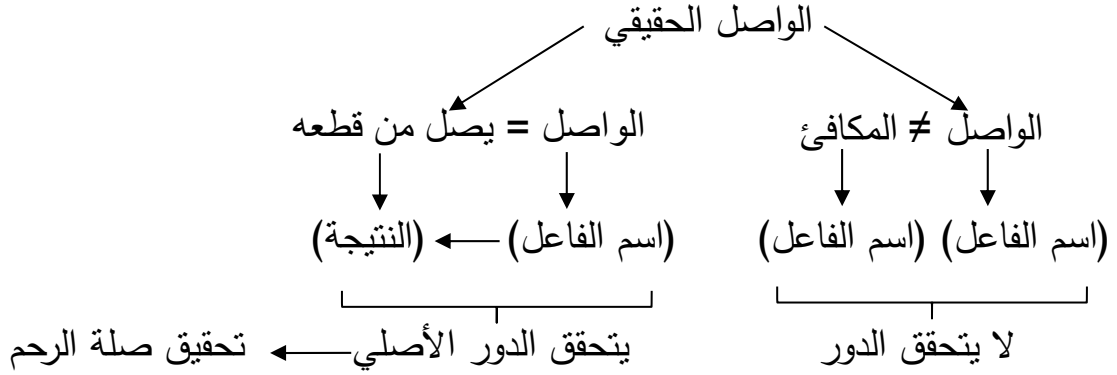

شكل توضيحي رقم2

من الثمرات التربوية لهذا الخطاب، و الغاية من تشريع صلة الرحم :

1- صلة الرحم واجبة على المسلمين لقوله تعالىَ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾[2].

---

[1]- حسين طه، شرح مائة حديث، ص151-152.

[2]- سورة النساء، الآية1.

2- الزيادة في الرزق والخيرات وطول العمر والبركة لقوله صلى الله عليه وسلم "من سرّه أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه".

3- صلة الرحم تقوي مشاعر الأخوة و المحبة بين الأهل و الأقارب.

3-2- اسم المفعول: يعدّ اسم المفعول من الآليات اللغوية التي تقتضي الوصف، فهو "اسم مصوغ من مصدر الفعل المبني للمجهول للدلالة على ما وقع عليه الفعل"[1]، ولا شك في أن هذا الوصف له أثار بالغة في نفس المتلقي تقوده إلى الاقتناع، إذ يتم باستعمال مجموعة من الحجج و ما يصاحب ذلك من قبول الغرض المتعلق الخطاب، ومن ذلك ما جاء في الحديث النّبوي الشريف **عن حفص بن عمر حدثنا شعبة عن حصين و ابن أبي السّفر عن الشّعبيّ عن عروة بن الجعد عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»**[2].

معقود ←اسم مفعول مجرد من (أل) صيغ من الفعل (عَقَدَ)، وقع خبر للمبتدأ "الخيل" فرفع نائب فاعل "الخير".

يشير هذا الخطاب إلى قدرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) على التبليغ والتوجيه، ويظهر ذلك جليا من خلال طريقته في عرض صورة الخيل بصفتها مظهر من مظاهر الخير إلى يوم القيامة، وليدرك المتعلم قيمتها ومكانتها وحقيقتها، تضمن الخطاب وسيلة تثير الانتباه والتفاعل وتحدث التأثير والإقناع لتحقيق أغراض مختلفة، وهي وسيلة ناتجة عن جمع بين آليتين متفاعلتين، فالأولى آلية اسم المفعول (معقود) ذات دلالة تحمل بعدا حجاجيا اقناعيا، فتساعد على نقل المعنى الضمني لعبارة (الخيل معقود في نواصيها الخير) وهي آلية ثانية غير مباشرة تتمثّل وظيفتها في التصوير والتبليغ، فنجد أن الصفة التي نسبت

---

[1]-أحمد إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، القواعد الأساسية للّغة العربية، تح: أحمد بن إبراهيم- مصطفى الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م، ص289.

[2]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، برقم2850، ص346.

إلى الخيل مصرح بها وهي الخير، ولكنها لم تنسب إليها مباشرة بل نسبت إلى النواصي الخيل، وهو بذلك يقصد أنّ الخيل منسوبة إلى الخير.

أما من الناحية التربوية فتضمن الخطاب معانٍ ودلالات متعددة تفصح عما يتميز به الخيل من ثمرات ومنافع عظيمة، حيث قال ابن حجر العسقلاني: "فمن ربطها عدة في سبيل الله وأنفق عليه احتسابا كان شبعها وجوعها و ريها وظمؤها وأورثها وأبوالها فلاحا في موازنه يوم القيامة"[1]. وغير ذلك من الأمور الضرورية الّتي تؤدّي إلى تحقيق الغاية النهائية من الخطاب وهي الإحسان إلى الخيل.

ج- الأفعال اللغوية (Les actes de langage):

تعتبر نظرية أفعال الكلام ثمرة جهدٍ فلسفي، بيد أنّ هذه النظرية نشأت وبرزت وتطورت على يد مجموعة من الفلاسفة، و في حدود الواقع اللّغوي التداولي الذي يكشف جوانب فحوى هذه النظرية المتجهة نحو تحقيق الفعل اللغوي أثناء التحدّث، حيث مهد الطريق و فصل فيها **أوستين (Austin)** حين قدم كتابا حول "**نظرية الأفعال اللغوية العامة**" ، و كانت هذه فرصة لتلميذه **جون سيرل (Searle)، و** مواطنه **بول غرايس (P.Grice)** لتطوير أفكار و آراء **(أوستين)**.

1- أوستين: صياغة نظرية أفعال الكلام

عالج **أوستين Austin** منطلقات نظرية أفعال الكلام من خلال "النظر إلى اللغة على أنّها أداء أعمال مختلفة في آن واحد، و ما القول إلاّ واحد منها، فعندما يتحدث المتكلم فإنّه في الواقع يخبر عن شيء، أو يصرّح تصريحا ما، أو يأمر، أو ينهي، أو يلتمس، أو يعد، أو يشكر، أو يعتذر، أو يحذر، أو يدعو... وما إلى ذلك من الأفعال اللغوية"[2].

---

[1]- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، شرح الباري على صحيح البخاري، الجزء السادس، ص55 .

[2]- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، 2004م، ص34.

من هذا المنطلق ميّز **أوستين Austin** بين "الجمل الوصفية" والجمل الإنجازية مبينا أنّ الأولى (قول) والثانية (قول وإنجاز) في الوقت نفسه، أو بعبارة أخرى أنّ الناطق بالجملة الوصفية يقول قولاً لا غير، في حين أنّ الناطق بالجملة الإنجازية ينتج قولا وفعلا، في ذات الوقت، إذن لا يمكن الفصل بين القول والفعل وانجازه[1].

وإذا كان **أوستين Austin** يعيد من جديد مسألة تقسيم الأفعال، وكان في رجوعه عن تلك الخطوة من باب رفض التقسيم الثنائي، فإن الموقف يستدعى الإجابة انطلاقا من السؤال التالي: "كم معنى هناك على أساسها يكون قول شيء هو نفسه فعل شيء، أو يكون متضمنا في قولنا شيئًا فعلنا لشيء معين... يكون بواسطة قولنا شيئا فعلنا لشيء ما"[2]. تبعا لهذا السؤال قسم أوستين الأفعال إلى مستويات ثلاثة، وهي:

1- الفعل الكلامي (Acte locutoire): وهو فعل التلفظ بصيغة ذات صوت وتركيب ودلالة.

2- الفعل التكلمي (Acte illocutoire): هو الفعل التواصلي الذي تؤديه هذه الصيغة التعبيرية في سياق معين.

3- الفعل التكليمي (Acte perlocutoire): وهو أثر الفعل في المستمع[3].

ولكي يوضح **أوستين Austin** دلالة الفعل التأثيري أكثر، نجده يستعين بمفهوم القيمة أو القوة الإنجازية، بمعنى أنّنا حين ننجز قولا في حد ذاته، فإننا بذلك وفي الوقت نفسه ننجز قولاً ثانيًا ذا طبيعة أخرى من شأنه أن يقوم بالإخبار أو الاستفهام أو التحذير أو التهديد، كما أن هذا الفعل التأثيري يعرف من خلال مفهوم الأثر أو التأثير في مشاعر المتلقين وأفكارهم وتصرفاتهم"[4] .

---

[1]- ينظر :العياشي ادراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،2011م، ص84.

[2]- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت،1994 م، ص7.

[3]- ينظر: طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديد، ص11 .

[4]- ينظر: محمد سالم، محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب، بيروت، 2008م، ص183.

وهكذا قد صنف **أوستين Austin** نظريته على أساس قوتها الانجازية في خمسة فصائل كبرى:

أ. الحكميّات (les verdictives): وهي الأفعال الدالة على الحكم: مثل حكم، برأ، قيم...

ب. الانفاذيّات (les exercitives): وهي الأفعال الدالة على الممارسة و التنفيذ، مثل: نصح، أعلن...

ج. الوعديّات (les commissives): وهي الأفعال يتعهد فيها المتكلم بسلوك معين، كأن يتعهد أو يعد أو يلتزم بشيء...

د. السّلوكيات (les conductives): وهي الأفعال الّتي يعبر بها المتخاطبون عند مواقفهم، اتجاه سلوك الآخرين، كأفعال الاعتذار والشكر والتعزية...

هـ. التبيينات (les expositives): وتشمل الأفعال الّتي يستعملها المتخاطبون في عرض تصوراتهم وتقديم حججهم أثناء الحديث أو الحوار مثل اثبت، استنبط، أنكر... [1]

2- إعادة صياغة نظرية "أفعال الكلام" من قبل " سيرل (Searle)

ويعدّ جون سيرل **(Searle)** من مؤيدي نظرية أفعال الكلام لأنّه استطاع أن يدرك معالمها من خلال إعادة النظر لبعض الاضطرابات التصنيفية لتقسيمات **(أوستين Austin)**، لتعليل هذا اقترح تصنيفا بديلا يتمثل في خمسة أصناف الذي يختلف حسب رأيه عن تقسيم "**أوستينAustin** " في أنه تقسيم للأفعال لا للقوى المتضمنة في القول، بإمكاننا أن ندرجها كالتالي:

- الإخباريات (Assertives): غرضها تحمّل المتكلم لمسؤولية صدق القضية المعّبر عنها، يقول "إنّ أبسط اختبار للتّقريرات هو ... هل يمكنك وصفها بالصّادقة والكاذبة أم لا".
- الوعديّات (Commissives): غرضها إلزام المتكلّم بأداء فعل معّين في المستقبل.

---

[1]- ينظر:حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات-علم استعمال اللغة-، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014م، ص100.

- التوجيهيات (Directive): تحاول حمل المخاطب على أداء فعل معّين في المستقبل.
- التعبيريات (Expressives): غرضها التّعبير عن الحالة النّفسية المحدّدة بشرط الصراحة اتّجاه الواقع.
- الاعلانيات (Declarative): تعريفها أنّ "الأداء النّاجح لأحد أعضائها يوقع مطابقة بين القضايا التي يحتويها الواقع"[1]. وثمة محاولة أخرى في غاية الأهمية قام بها **(سيرل Searle)** في الشأن نفسه، تتمثّل في التّمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فالأفعال الإنجازية المباشرة **Direct** هي الأفعال " الّتي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم أي يكون ما يقوله مطابقا لما يعنيه" ، أمّا الأفعال الإنجازية غير المباشرة **Indirect**: فهي الأفعال "الّتي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم"[2] أي تعبر عن معنى آخر أو ما يقصده المتكلم من خلال تلفظه بالقول.

وبهذا تكون نظرية أفعال الكلام قد جسدت مهمة الاستعمال اللّغوي في تحقيق القوة الإنجازية أثناء التلفظ ومتمثّلة في تبليغ الأغراض وتوضيح مقاصد المتكلم بما يتناسب مع مقامات انجاز الأفعال وبما يحقق المصلحة لدى السّامع، ثم إنّ تناول الخطاب النبوي بوصفه مصدرا لغويا ضخما هائلا من شأنه أن يقودنا إلى تحديد الأبعاد التأثيرية للأفعال الكلامية واستكشاف دورها وقوتها الإنجازية بما ينسجم مع الطبيعة الإقناعية وبحسب الأغراض التربوية المتعددة للخطاب النبوي.

1-الأفعال الإخبارية: تقوم هذه الأفعال أساسا على الاهتمام بنقل المعلومات التقريرية، وكيف يمكن أن تحقق قوة الفعل الإنجازي، وهذا اللون من الأفعال نجده حاضرا في هذا الحديث النبوي الشريف كالتالي: **عن ابن عبّاس -رضي الله عنه-عن النبي صلى الله**

---

[1]- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي-أنواعه وخصائصه، ص75.

[2]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م، ص50-51 .

عليه وسلم- قال: «اطّلعت في الجنّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النّار فرأيت أكثر أهلها النساء»[1].

يبدو أن الأفعال اللّغوية في هذا الخطاب (اطلعت، رأيت) اقترنت **بالفاء** وهو حرف عطف أو رابط حجاجي مهم جمع بين أمرين (حجتين) لتحقيق نتيجة واحدة وهي ترغيب النّاس في **الجنّة** وتحذيرهم من **النّار** للنجاة في الآخرة، هذا ولا نغفل الدور الكبير للفعل الكلامي التقريري يجتاز من خلاله نقل الوقائع والتعبير عن الأغراض لتحقيق إنجازية الخطاب المتمثلة في الإبلاغ والإخبار والإعلام من أجل النصح والإرشاد.

ويمكن أن نحدد في هذا الصدد قوة الفعل الإنجازي المتمثلة في معرفة أصناف أهل الجنّة، وأهل النّار، وبيان وظيفتها بشكل بياني وواضح داخل سياق الخطاب ليحقق بذلك هدفًا لأنّ "التلفظات الإنجازية فهي أفعال لغوية مرتبطة بالسياق التداولي نفسه، أيّ أنّها فاعلة في تشكيل ذلك السياق لأنّها لا تتحدث عن شيء مرجعي وإنما تقوم هي ذاتها بفعل شيء داخل سياق التواصل، فهذا الشيء لم يكن موجودا من قبل، بل إن وجوده يبدأ لحظة التلفظ، أي أثناء الفعل اللغوي"[2]، ولعلّ أهم تفسير لهذه الأصناف المستهدفة والمرتكزة على الفقراء والنساء، تقسيم القوة الإنجازية إلى نمطين:

- النمط الأوّل هو الفعل الإنجازي التصريحي ⟵ ويتعلق بالإيضاح المباشر، فقد وصف (صلى الله عليه وسلم) الفقراء فرآهم أكثر أهل الجنة على الأغنياء، ورأى أنّ مصير أغلبية النساء دخول النّار.

- النمط الثاني هو الفعل الإنجازي الإيحائي ⟵ ما يعنيه هذا الخطاب من حرص وتنبيه وتوجيه واضح إلى التعبير والتشجيع على أنّ الفقر باب من أبواب الجنة، وإثارة انتباه

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، برقم2737 ، ص 882.

[2]- عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسمياء الأدب، ص50 .

واهتمام النساء بما ينير طريقهن نحو سبيل الأمثل ويبعدهن عن المعاصي والمحرمات ومن العذاب والجحيم، وكلّ هذه التعابير تدل على فعل كلامي غير مباشر.

وهكذا تجاوز الخطاب الفعل اللغوي التقريري إلى الفعل اللغوي التوجيهي في ظل القوة الإنجازية الناتجة عن وضعيات تواصلية ذات توجه تأثيري إقناعي من خلال الربط بين الفعل الإنجازي الصريح والفعل الإنجازي الضمني، فيؤدّي الفعل الإنجازي دورا أساسيا في إثارة عواطف المتعلمين وانفعالاتهم الايجابية واستثمارها في تثبيت الأحكام التي تضمنها هذا الخطاب. وهذا الجانب يعدّ من أهمّ مباحث التداولية الّتي تركز على التواصل التفاعلي بين المتكلم والسامع ، ذلك « أن التخاطب يتأسس على تأدية المتخاطبين لأفعال الكلام ، لذا قد أحاط العرب بظاهرة الأغراض أو الأساليب الإنشائية إحاطة شاملة ونظامية، حيث يرى البلاغيون أنّ ثنائية الخبر والإنشاء هي الأصل في اللغة، أمّا ما يتفرع عنها أساليب قد تبدو خبرية، ولكنها إنشائية في المضمون »[1]، لأنّها تقوم على توجيه أفعال المتلقي وتغيير موقفه.

2- الأفعال التنفيذيّة:

ترتبط هذه الأفعال بتوجيه وتنبيه المخاطب بالأمر والنهي لأداء العمل المطلوب مهما كان نوعه، وهذا ما نسعى تبيانه من خلال استحضار حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – إذ يقول:**عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: «إيّاكم والظّنّ فإنّ الظّنّ أكذب الحديث، ولا تحسّسوا، ولا تجسّسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»**[2].

إن بنية الفعل الكلامي في هذا الخطاب هي الّتي تبدي الاهتمام والإبلاغ والإفهام إزاء قضايا بالغة الخطورة، وتحقق الغرض الإنجازي انطلاقا من السياق التواصلي الذي وظفت

---

[1]–عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر،2003م، ص 168.

[2]– صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، برقم6064 ، ص734.

فيه، لذلك استهل الرسول (صلى الله عليه وسلم) خطابه بصيغة التحذير **(إيّاكم)** ليكون الفعل الإنجازي مباشرًا بما يسترعي الاهتمام وانتباه المخاطب، وبما يستأثر التفاعل الإيجابي مع مضمون الرسالة، فبعد أن وجّه ونبّه انتقل إلى توكيد المعنى بالتكرار(الحجة) مشيرا إلى خطورة الظن بقوله: **(فإن الظن أكذب الحديث)** فكلّ هذه الآليات تؤكّد الحجّة وتقويها ، إنّما هي خطوة لابد منها لدفع سوء الظن بالإنسان، ف "نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الظن وهو أن تشك في أخيك شيئا ثم تتحدث به، أو حكمت عليه ببعض المظاهر التي تدخل الريبة في قلبك فتطلق لسانك في ذمه وغيبته، وهو خلاف ما كنت تظن، فيكون كلامك كذبا، بل أكذب الحديث"[1].

بالإضافة إلى ذلك يلقي أضواءً على ستة أمور ضرورية ذات علاقة بالمجتمع الإسلامي، ومن أجل ذلك نجد الرابط الحجاجي **(الواو)** في هذا المثال هو الذي جمع بين قضايا الخطاب لتدعيم وتقوية النتيجة، وهناك أفعال كلامية لها حضور قوي في هذا الخطاب، وهي آليات تتضمن الفعل الإنجازي بشكل يتناسب مع الصيغ الواردة في هذا المقام، إذ يطغى عليها أسلوب النهي؛ لأنّه يفيد تحريم عدد من الأفعال السيئة، والأمر يفيد الوجوب والتمسك بفعل التآخي، والّتي توفي بالأغراض على أساس انجاز الأفعال وأداء الأعمال، ويمكن أن نتتبّع تلك الأفعال الإنجازية كما جاءت في هذا الخطاب حسب المفهوم المباشر وغير المباشر على النحو التالي :

1. لا تحسّسوا و لا تجسّسوا ⟵ تحريم تتبّع عورات النّاس والإطّلاع على أخبارهم وأسرارهم "لأن الحسد آفة سيئة تعبّر عن الاعتراض على مشيئة الله في خلقه، فهو تعالى لا يسأل عما يفعل، وهو العليم الحكيم"[2]، والمفهوم غير مباشر الإعراض عن إيذاء هؤلاء المؤمنين، وعدم الاعتراض على قضاء الله وأحكامه.

---

[1]- حسين طه، شرح مئة حديث، ص 46 .

[2]- أنور الباز، الإعجاز التربوي للقرآن الكريم، ج1، ص48.

2.لا تحاسدوا ⟵ النهى عن تمنّي زوال النّعمة عن صاحبها سواء كانت النعمة دين أو دنيا، لأنّه فيه اعتراض على قضاء الله وقدره.

3.لا تباغضوا ⟵ النهى عن التباغض بالقلوب يؤدي إلى إيقاع العداوة والكراهية والبغضاء بين النّاس، و فعل غير المباشر العمل على تطهير القلوب من الأحقاد.

4.لا تدابروا ⟵ ولا تدابروا أي (لا يهجر أحدكم أخاه وإن أعطاه دبره)، وذلك بظهور بوادر النزاع بين المختلفين، والمفهوم غير مباشر سلامة نفس المؤمن من الصراعات والتناقضات والنزاعات.

5.كونوا عباد الله إخوانا ⟵ المفهوم المباشر يقرر مبدأ الأخوة، والمفهوم غير مباشر نشر السلام وزرع المحبة والأخوة والوحدة بين المؤمنين.

ويمكن توضيح الأهداف المرسومة (التربوية) من خلال الرسم التالي:

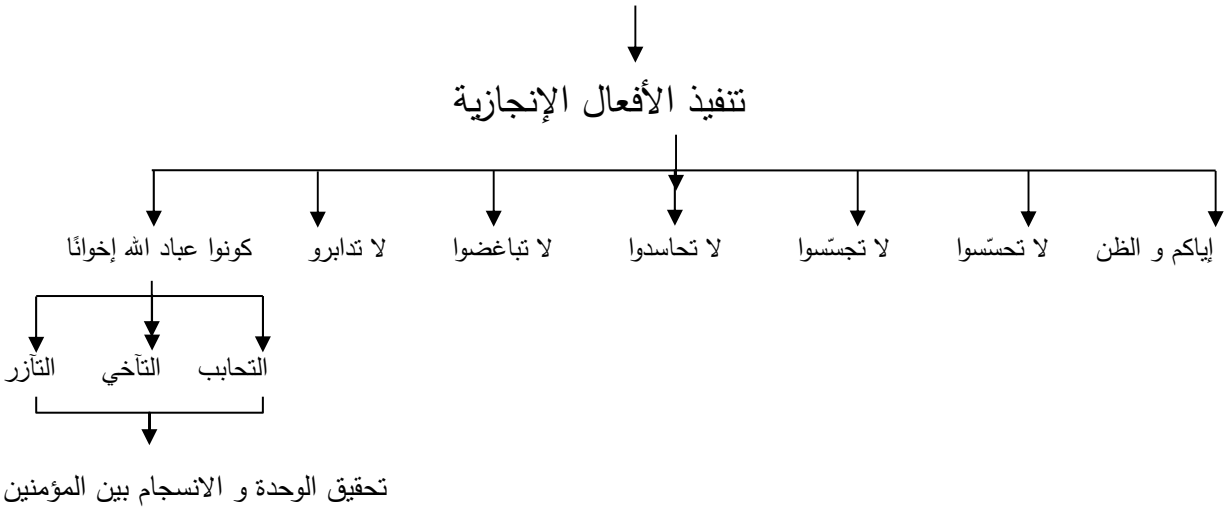

شكل توضيحي رقم3

يستعين الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الإقناع بالأفعال الكلامية التوجيهية الموحية للفعل الإنجازي، وقد شملت كلا من صيغة النهي والأمر على وجه الاستلزام، فكان من الطبيعي أن يندفع وينفعل المتلقّي نتيجة التحذير، ممّا يضيف إلى الخطاب قوة انجازية تبلغ الأهداف وتحقق النتيجة المرجوة التي تدفع بالمتعلم إلى تنفيذ الفعل بالامتناع عن التجسس والتحسس والحسد والتباغض والتدابر، لأنّ مثل هذه الأمور تثير الكراهية والبغضاء والعداوة

بين النّاس، فأثار الفعل اللغوي التوجيهي (كونوا) دفعا بالمتعلمين نحو التآخي والتآزر فيما بينهم وخلق الوحدة والانسجام بين المؤمنين.

3-3-الأفعال الإلزامية:

تنطوي هذه الأفعال على أهداف أساسية متعلقة بالمستقبل، وتدفع بالمتكلم إلى الإلتزام بأعمال معيّنة ومحدّدة مع بيان هدفها السامي، ودلّ على هذه الأفعال نصوص متعددة من الأحاديث النّبوي الشّريفة، إلا أنّنا نأخذ مثالا على ذلك:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتماعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[1].

يرصد الخطاب فعلا كلاميا إلزاميا وارد في قوله (صلى الله عليه والسلم): "سبعة يظلهم الله في ظله"، فيخبرنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنّ الله وعد كل من تميز بواحدة من تلك الأصناف السبع فهو في ظل عرشه يوم قيام الساعة.

أمّا على صعيد التضمين فحصر الجزاء في الأصناف السبعة المذكورة في الحديث دون سواها لإظهار مدى أهمية تلك الصفات عند الله تعالى لاحتوائها على العديد من الخصال، كما وردت صيغة مباشرة وبأسلوب الحصر (لا... إلاّ) تستثنى ظل الله بقوله: (يوم لا ظل إلاّ ظله) وهو عامل حجاجي ساهم في تحقيق الفاعلية الحجاجية وزاد من قوتها بتوجيه المتلقي نحو النتيجة الّتي يروم المتكلم تحقيقها، والمراد بها "ظل يستر به الله من شاء من عباده من حر الشمس"[2] ، ولذلك فهو من الآليات اللّغوية الّتي "لا ترتبط بين متغيرات

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، برقم 1423، ص172.

[2]- محمد بن صالح العثمين، شرح رياض الصالحين، الجزء الثاني، ص215 .

حجاجيـة (أي بـين حجـة ونتيجـة أو بـين مجموعـة حجـج)، ولكنهـا تقـوم بحصـر وتقييـد الإمكانات الحجاجية الّتي تكون لقول ما"[1].

وفي هذه الصيغة (أسلوب الحصر) فعل كلامي غير مباشر يعكس قوة الفعل الإنجازي المؤدية إلى تلك الأغراض كالتحذير من يوم القيامة والترغيب على الالتزام والتطبيق، وهذا ما نسعى تبيانه من خلال الحديث عن هذه الأصناف كالأتي:

1. الإمام العادل الذي يتخذ العدل والإنصاف منهجا وسبيلا يلتزم به وفق الشريعة الإسلامية، فيضمن حقوق النّاس ورعاية مصالحهم .
2. ومن الشباب من يستغلون هذه مرحلة باعتبارها مرحلة العطاء والحيوية والنشاط فيتمكن الشاب من تقوية إيمانه بالطاعة والعبادة والتغلب على هواه وشهواته.
3. رجل قلبه معلق بالمساجد، بالاستقامة والمحافظة على الصلوات في بيوت الله.
4. ورجلان تحابا في الله وذلك دعوة إلى غرس بذور المحبة بين المؤمنين ابتغاء وجه الله تعالى.
5. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فيختار السبيل العاصم من الزلل والمهالك وهو مخافة الله فينال بذلك الجزاء العظيم.
6. الصدقة الخفية أحب إلى الله من صدقة العلانية وفي كلّ خير ابتغاء مرضاة الله وصونا لكرامة وأحاسيس المحتاجين والمعوزين.
7. البكاء من خشية الله وعظمته ابتغاء مرضاته ورجاء عفوه ورحمته سبحانه وتعالى.

إذن، تتمثل قوة الفعل الإنجازي في تلك الصورة النموذجية الّتي رسمها الرسول (صلى الله عليه وسلم) لسبعة أصناف ينتظرهم نعيم الآخرة غرضها إلزام المتعلم بأداء تلك الأفعال الجليلة، فكانت صورة تضيء وعد كريم صادق من الله عز وجل وفضله ورحمته وعنايته الخاصة التي تتمثل في إظلاله بظل عرشه لمن يستقرىء فيه مسلكا واحدا من تلك المسالك

(1)- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، 2006م، ص27.

والخصال الحميدة يوم القيامة، ونظرا لما تكتسيه من إثارة وقوة وفاعلية في التأثير والإقناع، فإنّ كل ذلك يفرض ضبط النفس وتهذيبها وتربيتها حتى تستقيم على السلوك السوي الذي يرفعها إلى مكانة التكريم والسمّو وذلك بممارسة هذه الأعمال الصالحة.

3-4- **الأفعال السّلوكيّة:** وهي إيضاح الغاية الّتي يدركها المتكلم ويعبر عنها عن طريق أنماط سلوكية معيّنة ومحدّدة، قد تدعو إلى الشكر أو التهنئة أو التعزية...، ويظهر ذلك جليا في الحديث الذي يرويه **معاذ-رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذ بيدي يوما ثم قال: "يا معاذ والله إني أحبك" فقال معاذ بأبي وأمي يا رسول الله، وأنا والله أحبك، فقال: "أصيك يا معاذ لا تدعنّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللّهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"**[1].

لقد افتتح النّبي (صلى الله عليه وسلم) خطابه بأسلوب عاطفي يعين على التواصل الذي يخلق منه موقفا نفسيا تعبيريا أسلوبيا يشكل خصوصية الخطاب، ويبيّن جوهرية التفاعل الايجابي الذي تمّ بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابي من خلال توظيف صيغة النداء (يا معاذ)، وأداة (يا) لنداء البعيد والقريب قصد إثارة انتباه واهتمام المخاطب، هذا بالإضافة إلى أسلوب القسم (والله) كرابط حجاجي قوي يفيد التوكيد ويؤدّي إلى الاقتناع وإرضاء المخاطب؛ أي يؤدي وظيفة حجاجية، وعلى ذلك " فإن من أكثر الموجهات اليقينية توجها للإثبات القسم، إذ يثبت القضية ويوجبها يقيم في الوقت نفسه الحجة على المخاطب ويلزمه بها " [2].

أمّا أفعال الكلام فهي بدورها تنقسم إلى فعل انجازي مباشر وفعل انجازي غير مباشر: ففي قوله: **(يا معاذ والله إني احبك)** فعل انجازي مباشر دلالة وحجة على إظهار

---

[1]- المستدرك على الصحيحين، ج1، ص407 .

[2]-عبد الله صولة، الحجاج في القرن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،ط2، دار الفارابي، بيروت - لبنان،2007م، ص320.

المودة والمحبة، ممّا يؤدي حتما إلى سهولة التكييف والانسجام مع المواقف لاستحداث الانفعال والتأثير في المتلقي، والفعل الإنجازي غير مباشر الحث على التحابب بين المؤمنين.

وفي قوله **(لا تدعن في دبر كل صلاة)** صيغة النهي، ونجد في هذه الصيغة فعلا إنجازيًا مباشرًا موجهًا إلى الصحابي (معاذ) نحو التعليم و تقديم الوصية ممّا يجعله ملازما للذكر، في حين الغرض الإنجازي يخاطب كل مسلم من بعده المداومة على ذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في كل صلاة .

وفي قوله **(اللّهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)** يفيد الدعاء والرجاء، وفي الوقت نفسه يشير الفعل الإنجازي إلى أهمية ذكر الله وشكر نعمه وحسن عبادته،" وذكر الله اتصال القلب، والاشتغال بمراقبته، وليس المقصود بالذكر الصلاة فقط، بل يشمل كل صور يتذكر فيها العبد ربه، ويتصل به قلبه سواء جهر بلسانه بهذا الذكر أم لم يجهر، وإن القلب ليظل فارغا أو لاهيا أو حائرا حتى يتصل بالله ويذكره ويأنس به"[1]، لهذا فلا بدّ لنا أن نسأل الله تعالى في آخر الصلاة أن يوفقنا إلى سبيل تحقيق هذه الغاية، ومن أجل ذلك قدّر للذكر الديمومة والاستمرار حتى يولها العناية و الاهتمام اللازمين .

لقد عبرت الأفعال الإنجازية السّلوكيّة عن أبعاد تعليمية تربوية بمقدمتها وخلفيتها لهذا الخطاب نتيجة استخدام أسلوب النداء والقسم والنهي كآليات حجاجية معينة لأداء الفعل الإنجازي، فكان لها تأثير قوي لاستنهاض عقول المتعلمين بالأحاسيس والعواطف والمشاعر الفياضة والمثيرة وما إلى ذلك من ضروب التأثير والإقناع، وقد تنعكس هذه الأفعال بصورة ايجابية على سلوك المتعلم فينفعل من الناحية العاطفية والعقلية لممارسة هذه الأفعال اللازمة، والقيام بالفعل المطلوب منه على أحسن وجه وأكثر ديمومة.

---

[1]– أنور الباز، الإعجاز التربوي للقرآن الكريم، ج3، دار ابن حزم، مصر، 2007م، ص43 .

3-5- الأفعال الاثباتية:

تكمن أهمية هذه الأفعال في تقديم الأفكار وإثباتها بالدليل والحجة، ومالها من آثار واسعة النطاق على مستوى الإقناع، ويوضح لنا هذا الأمر الحديث الذي يرويه **أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وذا ائتمن خان وإذا وعد أخلف"**[1].

إن ظاهرة النفاق لا تتوقف على نقل الظاهر وكتمان الباطن فحسب، بل تشمل عدة صور ومعاملات منافية للأخلاق التي تفضي إلى أشكال التغرير والتحايل وإيذاء النّاس ممّا يؤثر سلبا على قيمة العلاقات الإنسانية، وهذا الخطاب يشمل صفة النفاق على الوجه الصحيح لارتباطه بأفعال كلامية تلائم وضعية الإبلاغ والإقناع قصد تعميق الفهم وتقديم حقيقة النفاق وإثباتها، وبذلك تعزز القوة الإنجازية للفعل الكلامي باللّجوء إلى صيغة الشرط- باستعمال أداة شرط (إذا) - بيد أنّ هذه الصيغة كفيلة بتبيّن عظمة النفاق بوضوح وتهدف إلى إيضاح الفكرة مع التعليل، و الّتي تتجلى في ثلاث معان:

أولا: إذا حدث كذب ⟵ النهي عن الكذب في الحديث والأخبار، وفي ذلك دعوة إلى الصدق و ذم الكذب.

ثانيا: إذا إئتمن خان ⟵ التحذير من خيانة الأمانة لأنّها سنة المنافقين مبنية على الكذب والافتراء، والغاية من أداء الأمانة هي ضمان حقوق النّاس وصيانتها.

ثالثا: إذا وعد أخلف ⟵ إخلاف الوعد من مظاهر النفاق، وهذا التعبير كعلامة ودليل على وجوب الالتزام بالوعد للحفاظ على المصلحة المشتركة بين النّاس والابتعاد عن صفة النفاق.

لقد تبين أن مثل هذا الفعل اللغوي الذي يركز على التعابير الإثباتية التي تزيد من فاعلية التأثير أو تحقق الإقناع المثمر حسب ما تقتضية الحاجة، وهنا نرى كيف كان

[1]- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم 33، ص13.

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يلزم المتعلم بالتركيز على محتوى الخطاب حتى يستجيب للأهداف التربوية السامية والّتي يمكن إجمالها في النقاط الأساسية التالية:

1.ترسيم الثقة بين النّاس عن طريق الصدّق والأمانة والوفاء بالوعد.

2.الحرص على استمرار العلاقات بين النّاس كقيمة اجتماعية ضرورية للحياة الإنسانية.

تمتين الرباط وتفعيل العمل التعاوني بالصدق والإخلاص.

لقد تنوعت الأفعال الكلامية في الحديث النّبوي الشّريف وعبرت عن أبعاد تعليمية وتربوية بمقدمتها وخلفيتها، وهو ما يعكس دورها الكبير في بيان الفائدة المرجوة من الرسالة النّبوية ومقاصدها الجليلة سواء كانت ظاهرة أو مضمرة ، ويتجلى ذلك بوضوح في الرّموز والدّلالات الّتي أحدثتها هذه الأفعال المتضمنة في الكلام، وفي الأدوات التعبيرية والأساليب التوجيهية الّتي استند إليها الخطاب في وظيفته التواصلية والإبلاغية كآليات معينة لتحقيق القوة الإنجازية، وعلى هذا الأساس اتجهت الأضواء إلى البحث عن الفعل الكلامي بين المستوى التقريري والمستوى الإيحائي من جهة، والوصول إلى المقاصد التداولية العميقة الّتي تتضمنها هذه الأفعال ومغزى حضورها في الخطاب النّبوي من جهة أخرى.

فهو إذن، ليس مجرّد وسيلة أو أداة تبليغ الأفكار إلى المتلقي، بل إنّه خطاب ينقل مواعظ ونصائح إلى المتلقين رغبةً في تعليمهم وتوجيه أفعالهم وتغيير سلوكهم عن طريق إستراتجية تواصلية وتخاطبية محكمة؛ إذ وظف الرسول (صلى الله عليه وسلم) الكثيرة من الآليات اللّغوية في أحاديثه كالروابط والعوامل الحجاجية وألفاظ التعليل والوصف، وأفعال الكلام بغية تحقيق إستراتجية الإقناع. فضلا عما تؤكّده من قدرته على التبليغ عن المقاصد وعلى التأثير في المتلقي. وعليه يمكن أن نستفيد من البحوث التداولية الضرورية في عملية إبلاغ الرسالة المقصودة، ونحاول استثمارها في الخطابات التربوية والتعليمية.

2-الآليات البلاغية:

يروم هذا الموضوع الحديث عن استحواذ الأساليب الفنّية والتصوّرات الجمالية في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كانت إحدى أغراضه التواصلية البارزة، ومصدر إبلاغ الكلام "والمهمة الأساس التي كلف بها سيد البشرية، وكان ذلك بمثابة إيصال الكلام للسامعين على أحسن صورة، وبما به يكون الإفهام و الإقناع، كان لزاما على المكلف صلى الله عليه وسلم أن يكون أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء، لأنّ الرسالة والتبليغ لا يتمان إلاّ ببلاغة و بيان"[1]. وإذا كان هذا مطلوبا لكل رسول، فانّ لمحمد (صلى الله عليه و سلم أكثر لزوما، لأنّه بعث في بيئة حاز أهلها البلاغة من أطرافها، ولم يكون يفتخرون بشيء أكثر ممّا يفتخرون ويعتزون ببلاغتهم[2].

وممّا جاء على لسان **الجاحظ** في كتابه البيان والتبيين عن بلاغته (صلى الله عليه وسلم) "هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، جلّ عن الصّنعة، ونزّه عن التكلف...، واستعمل المبسوطَ في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشيَّ، ورغب عن الهجين السّوقي، فلم ينطق إلاّ عن ميراث حكمة، ولم يتكلّم إلا بما خف بالعصمة وشيّد بالتأييد، ويسّر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبّة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلّة عدد الكلام... ثمّ لم يسمع النّاس بكلام قطّ أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيرا"[3].

هذا بالإضافة إلى أدائه الفصيح (صلى الله عليه وسلم)، ممّا يميّز أدائه اللّغوي ويحافظ فيه على مخارج الفونيمات و يوصل المعنى المراد إلى السامع توصيلا جيدا، لا يشوبه هامشية أو معان ثانوية، بحيث يتحدد للفظ دلالته المراد منه، ومخاطبة السامع بأقل

---

[1]– عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص 96.

[2]–أحمد رجب الأسمر، النبي المربي، ص 61 .

[3]– ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ط2، ج2، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية، 1424،2003هـ، منشورات محمد علي بيضون، ص10–11 .

كلمات واشمل معان[1].وقوله (صلى الله عليه وسلم) "**بعثت بجوامع الكلم**"[2]. "وأوتي جوامع الكلام، أي أنّه يعبّر عن المعنى الكثير بالألفاظ القليلة وبأسلوب سهل بعيد عن الغرابة ، ويتكلم بوضوح حتى لو شاء السامع أن يعدّ كلامه حين يتكلم لعدّه"[3].

وعن أنس رضي الله عنه أنّ النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) كان يعيد الحديث ثلاثا ليفهم، "**فإذا تكلّم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تُفهَمَ عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلّمَ عليهم سلّم عليهم ثلاثاً**"[4]. وحدّثنا هارون بن معروف، حدّثنا به سفيان بن عيينة، عن هشام، عن أبيه، قال: كان أبو هريرة يحدّث و يقول: اسمعي يا ربّة الحجرة اسمعي يا ربّة الحجرة و عائشة تصلّي، فلما قضت صلاتها، قالت لعروة: ألا تسمع إلى هذا ومقالته آنفا؟ إنّما "**كان النّبيّ صلى الله عليه وسلم يحدّث حديثا، لو عدّه العادُّ لأحصاه**"[5].

وقد كان رسول الله يترسل في كلامه ويفصله، ليفهم عنه، قال جابر بن عبد الله: "**كان في كلام رسول الله ترتيل أو ترسيل**"، **وقالت السيدة عائشة، كان كلام رسول الله كلاما فصلاً يفهمه كلّ من سمعه**"[6].

وفي ذلك يقول مصطفى صادق الرافعي: "كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزينيه، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه ... ثم أنت لا تعرف له إلاّ معاني الّتي هي الهام النبوة، ونتاج الحكمة، وغاية

---

(1)– ينظر: أحمد عارف حجازي، دراسات لسانية في الحديث النبوي، ط1 ، 2006 دار فرحة للنشر والتوزيع، ص25

(2)–صحيح البخاري ، كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد،برقم7013 ، ص838 .

(3)–ينظر: نزار اباضة، شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، دمشق، 2012م، ص 120.

(4)–صحيح البخاري، كتاب العلم ، برقم94، ص22 .

(5)–صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تثبيت في الحديث وحكم كتابة العلم ، برقم (2493) ص 962.

(6)– سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام.ج4، ص408.

العقل، وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد والمجيء في كل ذلك من وراء الغاية"[1].

وبهذا الأسلوب البلاغي وخصائصه المتميّز أخذت شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) أثر عظيم في نفوس المسلمين وخاصة في نفوس أتباعه وأصحابه عندما خاطبهم ودعاهم وعلمهم وأحسن تربيتهم، فقد غير حياتهم وأخلاقهم وسلوكهم حتّى جعل منهم خير أمة أخرجت للنّاس، وهذا راجع كما ذكرنا آنفا إلى أهمية الوسائل البلاغية الّتي ساهمت في تبليغ دعوة الله على أكمل وجه، حيث "تكمن أهميتها فيما توفّره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقّي والفعل فيه فإذا انضافت تلك الجماليّة إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقّة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه أمكن للمتكلّم تحقيق غايته من الخطاب أي قيادة المتلقّي إلى فكرة ما أو رأي معّين ومن ثمّة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له"[2] أي تحقيق الإقناع، ولذلك كان أفلاطون ينظر إلى البلاغة بأنّها "كسب عقول النّاس بالكلمات"، وكذلك ما جاء على لسان أرسطو في حديثه عن البلاغة "القدرة على كشف جميع السبل الممكنة للإقناع في كل حالة بعينها"[3]، إلى غيرها من التعاريف التي تشير إلى علاقة البلاغة بالإقناع.

استنادًا إلى ذلك يمكننا أن نحدد الأساليب البلاغية وتناول الظواهر الثلاثة من حيث – المعاني والبيان والبديع– وذلك بما يفيد إثراء آليات الإقناع في الخطاب النّبوي على النحو التالي:

2-1- الآليات البلاغية في علم المعاني:

وبما أن التعبير عن الأفكار يتضمن خصوصية تشكيل المعاني حسب مختلف

---

[1]–ينظر: مصطفى صادق الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005م، ص194.

[2]– ينظر: سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد، 2007م، ص120.

[3]– ينظر: معتصم بابكر مصطفى، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ط1، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003م، ص53.

الظروف والأحوال للوصول إلى الهدف المنشود، فإن مردّ ذلك عند البلاغيين إلى تراكيب الأفكار وأساليب التعبير، ونذكر على سبيل المثال: قد يختار المتكلم ألفاظ قليلة في معان كثيرة في مقام الإيجاز، ومن جهة أخرى قد يعمل على توسيع المفاهيم فيكون طرح الألفاظ أطول من المعنى. فالنوع الأوّل من الأساليب يسمى الإيجاز والثاني يسمى الإطناب، ويمكننا أن نتناول هذا :

أ- الإيجاز:

اهتم البلاغيون بالإيجاز في البلاغة، إذ أكدوا على أنّه ليس مجرد أسلوب من أساليبها وإنّما هو عمادها وأساسها. وبالمقابل قد عرّفوا الإيجاز بأنّه: "اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، أو عرض المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح ليسهل تعلقها بالذهن وتذكرها عند الحاجة إليها في المناسبات المختلفة، وهو نوعان:

1- الإيجاز قصر.

2- الإيجاز حذف"[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الخطاب النبوي قائم على أساس الإبلاغ والإيجاز كما سبقت الإشارة إلى ذلك في البداية على لسان الجاحظ، ودليل ذلك ما رواه **عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"**[2].

لقد جمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فضل القرآن الكريم وقيمته بين التعلّم والتعليم، إلاّ أنّ هذا الجمع جعل أسلوب التعبير موضحا دلالة خاصة ومحددا نطاق من الأحكام بأسلوب إيجازي كمؤشر على تلك الألفاظ القليلة والجمل القصيرة، ولكنها طرحت عدة معان متنوعة وهذا راجع كما ذكرنا آنفا إلى سياق الكلام باستثمار غاية الإيجاز بالحذف والاختزال ، لأنّ " القصير الموجز أنفذ إلى الإسماع وأحسن موقعا في القلوب

---

[1]- ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، ط2، مؤسسة المختار، القاهرة، 2011م، ص491.

[2]- صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلّم القران وعلمه، برقم 5027، ص626.

والأذهان"[1] ، ففي هذا الحديث حذف المفعول الثاني والتقدير: (وعلمه للنّاس)، وفي ذلك تقريبا للأذهان وتوضيحا للمعاني وإفادة المخاطب وإقناعه بأنّ "فضائل القرآن لا تعد ولا تحصى، لذلك جعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأفضلية والخيرية لمن تعلمه وعلمه، وتعلُم القرآن وتعليمه لا يعني فقط حفظه وتحفيضه بل تعلم أحكام تلاوته، وتعلم معانيه والغوص في بحر أسراره وأنواره والتبحر في تفسيره، وإدراك حججه وبراهينه، ومعرفة عظاته وعبره، ودراسة علومه واستخراج حكمه وأحكامه، والعمل به ونشره وتبليغه للنّاس"[2]. ويتضح أيضا من الحديث النبوي دعوة إلى الإقبال على القرآن الكريم، "وإرشاد وحث وتوجيه إلى الخير الذي يجنيه المؤمن من تعلّمه للقرآن أولا بتعلم تلاوته ثم فهم معانيه، ثم يدعو النّاس إليه فيعلمهم تلاوته ويوجههم إلى ما فيه من آيات وأحكام"[3].

ب- الإطناب:

إنّ الإطناب عند القدامى قوامه "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو عرض المعنى في عبارة زائدة بحيث تحقق الزيادة فائدة"[4]، يبدو الإطناب من حيث بنيته الأسلوبية ووظيفته التواصلية يتضمن الاستفادة من الأبعاد التفصيلية والتوضيحية على مستوى الإقناع التي من شأنها أنّ تحدث أثرا وجدانيا تفاعليا نظرا لقدرتها على التأثير في متلقّيه، كما وقع هذا في قول الرسول (صلى الله عليه وسلم):

"**إن أوّل النّاس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: "فما عملت فيها؟ قال: "قاتلت فيك حتّى استشهدت". قال: "كذبت، ولكنّك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل"، ثمّ أمر فسحب على وجهه حتّى ألقي في النّار. ورجل تعلم العلم**

---

[1]- سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011م، ص123.

[2]- ينظر: حسين طرحة، شرح مائة حديث من جوامع الكلم من صحيح البخاري، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص70-71.

[3]- ينظر: حسن رمضان فحلة، حقيقة الذكر والدعاء في القرآن والسنة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ-2011م، ص16.

[4]- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني(دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، ص506.

وعلّمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: "فما عملت فيها؟ قال: "تعلّمت العلم وقرأت فيك القرآن". قال: "كذبت، ولكنّك تعلّمت ليقال عالم و قرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل"، ثم أمر به فسحب على وجهه حتّى ألقي في النّار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه، فأتى به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: "فما عملت فيها؟" قال: "ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلاّ أنفقت فيها لك". قال: "كذبت، ولكنّك فعلت ليقال هو جوّاد، فقد قيل". ثم أمر به فسحب على وجهه ثمّ ألقي في النّار"[1].

ويبدو أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زودنا بمعارف جديدة أكثر ضبطا ودقة وتفصيلا عن مصير ثلاث فئات معينة التي تجسدها معاني الخطاب على أحسن وجه وأبسط صورة، بغض النظر عن الصياغة التعبيرية التي تتجه نحو أسلوب قصصي جذاب يستثير الوجدان ويستهوي العقل ويخضع للتفصيل والإطناب ممّا جعل النص دالا أكثر على أغراض بلاغية قادرة على تحديد مقاصد الخطاب، وقد تضمنت شروحات وافية تدل على أهمية الإخلاص والتقوى في كل عمل عن طريق التوسّع في الكلام بعد الإجمال أو الإيضاح بعد الإبهام وتكرار الجمل، وبالتّالي ساعد على إثبات حقيقة الإخلاص وتأكيدها بالدليل والحجة لمن جعل عمله مقصورا على الجانب العرضي الظاهري، وعلى الخصوص لمن كان قصده الرياء والمباهاة كأن يقاتل ويستشهد ليبرز شجاعته، ولمن يلزم نفسه على تعلم العلم وقراءة القرآن ليغتر ويفتخر به أمام النّاس، وهناك من يجهد نفسه ويسخّر ماله لينال مرتبة الاعتزاز والتفوق الجودي بين النّاس، باعتقادهم أنّ هذه الأعمال الصالحة لغير وجه الله الكريم تنجيهم من عذابه، وبالتالي فلا تقبل منهم ويكون مصيرهم العذاب والجحيم. وعلى هذا التحديد نجد هذه الأصناف الدلالية تحقق مقاصد جليلة وتشكل أغراض تربوية متعددة تقتضي تطبيقا عمليا لإخلاص العبودية على حساب المصالح الدنيوية، لأنّ الأصل في قبول الأعمال الصالحة عند الله سبحانه وتعالى هو الإخلاص لوجهه الكريم وإبعاد

[1]- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل للرياء، برقم 1905، ص 637 .

الغرور والاستكبار والرياء وحب الظهور أثناء أداء الأعمال الخيرية، ووجوب توضع لله لعلّ أهمّ هذه الأعمال:

1- أن يستعد للجهاد في سبيل الله، حيث قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

2- أن يحرص المتعلم على قراءة القرآن وتدبر آياته والالتزام بما جاء به لخدمة دين الإسلام ككل.

3 - الإنفاق في السر يزيد المرء نيةً وإخلاصًا.

2-2- الآليات البلاغية في علم البيان:

وإذا تأملنا معاني الخطاب النبوي بإتباع التصوير الفني البياني نجدها نموذجا للأسلوب البلاغي الذي يخترق روعة الكلام وجودة التعبير ودقّة التصوير من خلال توظيف التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية وما إلى ذلك من الألوان البيانية التي من شأنها أن تحقق الإبلاغ والتأثير والإقناع، وهذا يقودنا إلى خوض في البيان النبوي كالتشبيه والاستعارة.

أ- **التشبيه:**

يُعدّ التشبيه من المجاز، وهو" الصورة التي تقوم على تمثيل شيء (حسّي أو مجرّد) بشيء آخر (حسّي أو مجرّد) لاشتراكهما في صفة (حسّية مجرّدة) أو أكثر، وقد عرّفه **القزويني** بقوله "التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى" ويعني هذا أن المتشابهين ليس متطابقين في كل شيء[2]. ويقول أيضًا **عبد القاهر الجرجاني** مبينًا الفائدة منه: "واعلم أنّ ممّا اتفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصليّة إلى صورته، كساها أبّهة وكسبها منقبة،

---

[1]- سورة البقرة، الآية 244 .

[2]-ينظر: محمد احمد قاسم، محي دين ديب،علوم البلاغة-البديع والبيان والمعاني-، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2008م، ص143.

ورفع من أقدرها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النّفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطّباع على أن تعطيها محبة وشغفا، فإن كان مادحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النّفوس وأعظم، وأهزّ للعطف...، وإن كان ذمّا كان مسّه أوجع وميسمه ألذع، ووقعه أشدّ، وحدّه أحدّ، وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر...، وإن كان وعظًا، كان أشفى للصدر ، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التّنبيه والزّجر، وأجدر بأن يجلّي الغَيَايَة–أي الحجب–، ويبصّر الغاية، ويبريء العليل، ويشفي الغليل"[1].

كذلك من أغراضه "القدرة على التصوير والتأثير ولمح الصلة بين أمرين من حيث وقعهما النفسي لتحقيق الوضوح والتأثير" [2]. وبذلك يصبح التشبيه أو التمثيل قياسا واستدلالا يسوقه الشاعر أو الكاتب كحجة أو دليل على صحة المعنى السابق، بغية إقناع المخاطب والتأثير فيه [3]، ومن ثم فهو يؤدّي وظيفة حجاجية واقناعية.

أمّا بخصوص نموذج التشبيه في الحديث النّبوي الشريف فقد حاز خاصية تعبيرية لما يصور المعنى في غاية الوضوح وأكثر دقة وتأثيرا، وعلى ذلك قال المازري:

"لقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يخاطب العرب بما تفهم، ويخرج لهم الأشياء المعنوية إلى الحس ليقرب تناولهم لها" [4]، وهذا ما نلمسه في هذا الحديث الشريف:

---

[1]– ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: سعيد محمد اللحام، ط1، ، دار الفكر العربي، بيروت–لبنان، 1999م، ص69 .

[2]– ينظر: مختار عطية، علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع دراسة بلاغية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص175.

[3]–نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي –دراسة تقابلية مقارنة،أطروحة دكتوراه ، جامعة محمد لمين دباغين–سطيف ، م2015–2016م،ص 339.

[4]– ينظر:عبد الله صولة،الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2 ، دار الفرابي، بيروت –لبنان، 2007م، ص489.

"**عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "السّاعي على الأرملة و المسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم اللّيل والصّائم النّهار**".[1]

يحتوي الخطاب على تشبيهات تعبيرية جليلة تبيّن سبل السّاعي على الأرملة والمسكين وتتضمن دلالات وإيحاءات متعددة يصعب حصرها بسب إسقاط وجه الشبه عن تمثيل المعنى وهو ما يسمح باقتراح تفسيرات عديدة وتأويلات مختلفة تحيل على الوجه من خلال العلاقة بين المشبه (الساعي) و أداة التشبيه (الكاف) ممّا زادت المعنى وضوحا وقوة، والمشبه به (المجاهد في سبيل الله) ثم أتى بالمشبه به الثاني (كقائم الليل الذي لا ينام) والثالث (كصائم النّهار الذي لا يفطر) وفي ذلك دعوة إلى التحفيز والتشجيع لبلوغ المراتب المذكورة، ومع ذلك يشمل الخطاب على وجه الخصوص أبعادا بلاغية وحجاجية تمكّن من عرض صورة تشبيهية قوية ومؤثرة، كان لها دور فعّال في إقناع الأخريين للقيام بهذا الفعل المطلوب. وعليه يمكن القول إن التشبيه " يساعد على فهم المشبه واستيعاب أحواله، وعلى ذلك فاستعمال التشبيه هنا ذو وظيفة حجاجية تؤدي إلى الاقتناع بما يتعلق بالمشبه من أحكام" [2].

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم): "**تجدون النّاس معادن، خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خيار النّاس في هذا الشأن أشدّهم له كراهية، وتجدون شرّ النّاس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ**"[3].

لقد سلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا الخطاب سبيل التمثيل ليدلّ على حقيقة هؤلاء النّاس وطباعهم لذلك شبه النّاس بالمعدن، ويكفي أن نحدد عناصر التشبيه من خلال نمط التركيب الظاهر، فالنّاس (المشبه) والمشبه به (المعادن) أما أداة التشبيه فهي محذوفة لأغراض بلاغية، ولإيضاح وجه الشبه يقول الإمام **ابن حجر العسقلاني:** "إن

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، رقم2982، ص 957.

[2]-جمعان بن عبد الكريم الغامدي ، الحجاج في الخطبة النبوية، العدد 10، مجلة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، 2013م، ص324.

[3]- صحيح البخاري، كتاب المناقب، وما ينهى عن دعوى الجاهلية، برقم3493، ص 424.

المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته، فكذلك صفة لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفا في الجاهلية فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس، فإن أسلم استمر شرفه وكان أشرف ممن أسلم من المشرفين في الجاهلية، وأمّا قوله إذا فقهوا ففيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدّين... وقوله (أشدهم له كراهية) أي الدخول في عهدة الإمرة مكروه من جهة تحمل المشقة فيه، وإنّما تشتد الكراهة له ممن يتصف بالعقل والدّين، لما فيه من صعوبة العمل بالعدل وحمل الناس على رفع الظلم..." [1] وقوله: (الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) يعني الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها. فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وهي صنيعة نفاق ومحض كذب وخداع وتحيل على الإطلاع على أسرار الطائفتين، وهي مداهنة محرمة"[2].

ويشير التفسير إلى أن المعاني الأساسية الّتي عبر عنها التشبيه تنطوي على ثمرات ومنافع عظيمة، أما من الناحية التربوية فهي تتصل بالإقناع وتحقق هدفين تربويين وهما: أحدهما يهدف إلى وصف طبيعة الإنسان وتصرفاته وأخلاقه وتبيان مقدارها إذا تشكلت على أساس النهج الإسلامي، "لأن النّاس يختلفون في تراكيبهم وطبائعهم، كحال المعادن تختلف في قيمتها، ولا يستهان بأي معدن منها وإن قلت قيمته عن غيره، لأنّه يسد حاجة ماسة قد تظهر إليه، ويصلح لغرض معيّن لا يصلح له سواه[3]، والهدف الثاني يغرس الضوابط التربوية وينظم العلاقات الإنسانية الإسلامية في ضوء تحريم النفاق ذلك لأنّ الأمر يعدّ شرا وظلما وعدوانا.

ب-الاستعارة:

---

[1]- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح:عبد القادر شيبة احمد، مكتبة ملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، ج6 ،2001م، ص613-614.

[2]- المرجع نفسه، ج10، ص490.

[3]-ينظر: عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص149 .

الاستعارة من التعابير المجازية الّتي تقوم على التشبيه نتيجة "حذف أحد أطرافه (المشبه أو المشبه به)، فإذا حذف المشبه فلابد من التصريح بالمشبه به وعندئذ يتحول التشبيه إلى استعارة تصريحية، وإذا حذف المشبه به فلا بد من ذكر صفة من صفاته أو شيئا من لوازمه يدل عليه ويكون بذلك الاستعارة المكنية، والعلاقة هي المشابهة و قيمتها تشخيص المعاني أو تجسيمها"[1]، كما أشار **عبد القاهر الجرجاني** في " **أسرار البلاغة** " إلى تعريفه للاستعارة " اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للّفظ أصل في الوضع اللّغوي معروف تدلّ على أنّه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازمٍ فيكون هناك كالعاريّة"[2].

والاستعارة من الفنون البيانية الرائعة وهي من أساليب العرب القديمة احتواها القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر وجاءت معظم الأمثال منسوجة على منوالها، وكانت ومازالت موضع الاهتمام وميدان البحث، وفي هذا يقول محمد مفتاح:" إن أهمّ ما شغل الدارسين للغات الإنسانية حاليا هو الاستعارة فهي موضع اهتمام من قبل اللسانين وفلاسفة اللغة والمناطقة وعلماء النفس والانثروبولوجين" [3].

فإذا كانت الاستعارة من حيث هي نمط بلاغي وأسلوب تواصلي "وأداة مفاهيمية ولغوية مهمة لإنجاز الإقناع"[4]، والّتي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي"[5]، فإنّها تحقق بذلك الغاية المرجوة وتبلغ المقاصد الضرورية، وذلك لأنّ لاستعارة آلية من آليات الحجاج" تدخل ضمن الوسائل البلاغية الّتي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلّمين وبسياقاتهم التخاطبيّة والتواصلية، فنحن نجدها في اللغة

---

(1)–حمدى الشيخ، الوافي في تيسير البلاغة–البيان. البديع. المعاني، المكتب الجامعي الحديث،2011م، ص 30.

(2)– عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص23 .

(3)–محمدعلي إبراهيم حسين علي الطائي، الاستعارة في الحديث النّبوي الشريف (صحيح بخاري)،دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان،ص21.

(4)–ينظر: ايلينا سيمينو ،الاستعارة في الخطاب،تر:عماد عبد اللطيف–خالد توفيق، ط1،:المركز القومي للترجمة،القاهرة ، 2013، ص197

(5)– عمر اوكان، اللغة والخطاب، ص134.

اليومية، وفي الكتابات الأدبية والسياسية والصحفية والعلمية"[1]، وهو أمر انتبه إليه العرب القدامى يقول الجرجاني " الاستعارة المفيدة وهي أمد ميدانا وأشد افتنانا وأكثر جريانا وأعجب حسنا وإحسانا وأوسع سعة وأبعد غورا "[2]، وهي أيضا ضرب من التّشبيه ونمط من التمثيل ، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الإفهام والأذهان، لا الأسماع والأذان"[3] ، ولهذا تمثّل الاستعارة–عند الجرجاني – دورا حجاجيا وإقناعيا فاعل ومؤثر في المتلقي .

كما أن الاستعارة التصويرية الجمالية تصير حجاجية إذا اقترنت بالوظيفة الإقناعية أو التأثيرية للخطاب، يبقى أنّه من الخطأ الفصل النّهائي بين ما هو جمالي وإقناعي في الاستعارة "[4]. وذلك أن للاستعارة قوة حجاجية عالية تزداد قدرة على التأثير كلّما بدت أكثر عفوية مثل الاستعارة القائمة على مبدأ أفضلية جوهر على العرض بحيث تكتسب قوة بداهة، فالاستعارة الجمالية تهتم بلفت انتباه المتلقي ونيل إعجابه ولا يتمّ لها ذلك إلا متى فجأته وأدهشته بحسن صياغتها، أمّا الاستعارة الحجاجية فهي تهتم بمظهر البداهة العقلية فكان الكلام يستدعيها ضرورة ويقتضيها اقتضاء بشكل عفوي لا تصنّع فيه ولا تكلّف"[5]، ولعلّ هذا ما نجده واضحا في الخطاب النّبوي، ونورد مثالا لذلك:

عن أبي موسى–رضي الله عنه– عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن الله عزّ وجلّ يبسط يده باللّيل ليتوب مسيء النّهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشّمس من مغربها"[6].

---

(1)–المرجع نفسه، ص108.

(2)- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص32.

(3)– المرجع نفسه، ص13.

(4)– عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب–دراسة تداولية–، ص198 .

(5)- سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011 م،،ص296.

(6)– صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وان تكررت الذنوب والتوبة، رقم2759 ، ص888.

يتجلى في الخطاب النّبويّ تعبيرا مجازيا يشير إلى روعة الأداء اللغوي وقوة تشخيص المعاني وتصويرها نتيجة تشبيه حالة قبول التوبة من مسيء النّهار أو اللّيل بهيئة بسط اليد بالليل والنّهار، وإذا كان هذا التعبير يستغني عن المشبه (قبول التوبة) ويكتفي بتقديم المشبه به (يبسط يده) دون إحداث خلل في المعنى، فإن ذلك دال على تحقيق الاستعارة، وفي ذلك يقول الإمام النووي: "بسط اليد استعارة في قبول التوبة، قال المازريّ: المراد به قبول التّوبة، وإنما ورد لفظ (بسط اليد) لأن العرب إذا رضي أحدهم الشّيء بسط يده لقبوله، وإذا كرهه قبضها عنه، فخوطبوا بأمر حسّي يفهمونه، وهو مجاز، فإن يد الجارحة مستحيلة في حق الله تعالى"[1]، فبلّغت بذلك توصيات صريحة توجّه أنظار المتعلمين وتناديهم بالتوبة وتثير الاستعدادات العاطفية والانفعالية التي تدفعهم إلى أن يتوب إلى الله قبل طلوع الشمس من مغربها. ومن أجل تحقيق هذا الغرض يستعين في نقل الصورة وإثباتها بأداة حجاجية مهمة ومؤثرة (حتى) التي أفادت التعليل لأنّها "من معاني حروف التعليل، وذلك لاضهار الحجّة وإثباتها بالدليل"[2]، كما أنّها تحيل على التحذير والتهديد وتدعو إلى طلب المغفرة من الله قبل حلول الشمس من مغربها، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "**لا تقوم السّاعة حتّى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن النّاس كلّهم أجمعون**" .[3].

فالملاحظ في هذه الصياغة التعبيرية ذات البعد الحجاجي أي –الاستعارة– أنّها تضفي على النّص جوانب فنيّة لغويّة فعالة لاستمالة المتلقيّ وتحقيق الإقناع، لا سيّما إذا تعلق الأمر بالتوبة الّتي تمحو الذنوب وتطهر النفس من الفواحش والرذائل، حتى يصبح المتعلم مستقيما في سلوكه وأخلاقه نتيجة بعده عن اقتراف المنكرات فينال بذلك الأجر والثواب ورضا ربه ومحبته. وهنا يبرز البعد الوظيفي للاستعارة وفضلها في إبراز المعاني

---

[1]– شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب التوبة ،ص1615.

[2]– انطوان الدحداح، معجم لغة النّحو العربي، راجعه: جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، ص93.

[3]– صحيح البخاري كتاب التفسير–باب"قل هلم شهداءكم " برقم 4636، ص 559 .

وقيمتها الحجاجية حتى" وان لم تكن حجة يأتي بها الشاعر احتجاجا لفكرة أو موقف فإنها تظلّ مع كونها زينة للكلام وتوشية للقول فاعلة في المتلقي ، فما ذهب إليه ميشال لوقرن من المقابلة بين الاستعارة الحجاجية وغير الحجاجية بقوله وهكذا نجد في مقابل الغاية الجمالية للاستعارة مطمحا اقناعيا للاستعارة الحجاجية"[1].

كما تبرز الاستعارة أيضًا في قوله (صلى الله عليه وسلّم):" **إنّ الصّدق يهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرّ يهدِي إلى الجنّة، وإنَّ الرّجل ليصدقُ حَتى يكون صدِيقًا. وإنّ الكذب يهدي إلى الفجورِ، وإنَّ الفجور يهدِي إلَى النَّار، وإنَّ الرَّجلَ ليَكذب حَتّى يكتبَ عند اللَّهِ كذَّابًا**"[(2)].

ففي هذا الموقف استعمل الخطاب النّبوي اللفظ (يهدي) على المعنى الحقيقي في هديه إلى الخير، وذلك أنّ الصدق يهدي إلى الجنّة، وهذا التصوير يقابله تصوير آخر مضاد للمعنى الحقيقي تبنّاه الخطاب لتقوية النتيجة ويتمثّل في قوله **(وإنَّ الكذب يهدي)** " فهنا حصل تحول بلفظ **(يهدي)** من معناه الحقيقي في الصدق والخير إلى معنى مجازي في سياق الكذب والفجور، وهذا حصل بفعل الاستعارة التصريحية التهكمية ، فالكذب لا يهدي والفجور لا يهدي إنّما يضلان ضلالا بعيدا. و(الفجور) استعارة تصريحية أخرى إن المستعارة منه: هو الفجر والتفجير أي شق الشيء شقا واسعا، والمستعار له: هو شق ستر الديانة وانتهاك المحرمات، ومنه سمي الفجر لأنّه يشق ستر الليل وظلمته"[3].

إنّ تقديم المعنى بهذه الصورة (معنى مجازي) كان أشد وقعا في نفس المتلقي من لفظه الحقيقي ""ومعنى هذا إن حكم القيمة الذي تحمله الاستعارة يكون أنجع في الحجاج واقطع للّجاج من حكم القيمة الذي يحمله اللفظ على الحقيقي"[(4)]، وبهذه المهارة اللغوية وصياغتها المتميزة للصور والدلالات بالإضافة إلى طاقتها الحجاجية استطاع النّبي (صلى

[(1)]– سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص121 .

[(2)]– صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) ،رقم:6094 ،ص 737 .

[(3)]–محمد علي إبراهيم حسين علي الطائي،الاستعارة في الحديث النّبوي الشريف (صحيح بخاري)، ص77.

[(4)]–عبد الله صولة، الحجاج في القران الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص590.

لله عليه وسلم) استمالة وجذب واستهواء المتلقي، من خلال إفصاح الكلمات عن معناها الأصلي، وعلينا الإشارة إلى أن الأمر يستحق التقدير والدرس والعناية خصوصا في مجال التعليمية.

وخلاصة القول إنّ التصوير البياني في إطار التبليغ آلية تعتمد على قوة التمثيل والاستدلال لتجسيد الصياغة المجازية بأسلوب فني رمزي يؤثر في الآخرين، ويسعى إلى تحقيق وظيفة الإفهام والإقناع الذي هو غاية البيان، "فالهدف من الأساليب أو الصور البلاغية ليس مجرد إقامة علاقات عقلية بين مشبه ومشبه به، أو افتراض منطقي بين الحقيقة و المجاز، إنّ الصورة البلاغية وسيلة الشاعر أو الأديب أو المتكلم ليعبر بها عن حالات لا يمكن له أن يتفهمها أو يجسدها بدونها، فهي الوحيدة القادرة على تقديم المعنى الذي يرومه أو الحالة الّتي يعشها، بل هي المخرج الوحيد لشيء لا ينال بغيرها أو هي ترتبط بمستوى التجربة الفنية التي يعايشها فتحتضن هذه المشاعر وتعايشها و تقدمها في قالب جميل تعجز اللغة العادية أن تصل إلى مستوى هذه الأساليب[1].

3- الآليات البلاغية في علم البديع:

لقد انبثق من الخطاب النّبوي أساليب صياغية كثيرة ومتنوعة تخضع لنظام صوتي محدّد و إيقاع موسيقي متواز، بعيدة كلّ البعد عن مظاهر التنميق والتزيين والتكلّف كيفما كانت التراكيب البلاغية، كما ترمي إلى التأثير في السامع، و تبرز مقاصد المتكلم، و تحقق أغراض تواصلية كلما اقتضى المقام عن طريق ألوان بديعية مختلفة منها: الجناس، السجع، الطباق و المقابلة و غيرها، و يتضح هذا جليا من خلال الاستدلال ببعض الأمثلة.

ا- الجناس:

[1]- ينظر: منال محمد هشام سعيد، نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، ص56.

الجناس عند البلاغيين تشابه اللفظين في النطق و اختلافهما في المعنى... كما في قوله تعالى: {وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ ﴿٥٥﴾ }[1] فقد اتحد لفظا **(ساعة)** نطقا و اختلفا معنى، إذا المراد بالساعة الأولى القيامة، وبالثانية: المدة الزمنية[2].

أمّا عن الحديث النّبوي، كان (الرسول صلى الله عليه وسلم) يستعمله في كلامه أحيانا، وقد ذكر **أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحب إليه من والده وولده والنّاس أجمعين"** [3].

من هذا الحديث الشريف يتضح لنا أنّ الإيمان لا يقتصر على التصديق بوحدانية الله سبحانه وتعالى فحسب، بل يشمل أيضا محبة رسوله (صلى الله عليه وسلم) حتى يكتمل الإيمان ويثبت في قلب المؤمن، وبيّن أيضا أن محبتة تكون أكثر من محبة الوالد والولد والنّاس جميعا. فإنّ ما يميز هذا الحديث هو الصيغة اللفظية التي أحدثها الرسول (صلى الله عليه وسلم) كوسيلة فنية وزخرفة تعبيرية ووظيفة اقناعية تناسب مقام التبليغ والتّخاطب، وهذا ما جعل الخطاب ينفذ إلى قلوب المتعلمين بيسرٍ وسهولة ويترك أثارًا بالغة في نفوسهم، ويتجلى ذلك في الانسجام الموسيقي الذي جمع بين هذين الكلمتين (والده، ولده) فالمراد بالوالد (الآباء) والولد (الأبناء)، حيث تتشكل بينهما علاقة واضحة ومتميّز لاشتراكهما في الجنس اللفظ واختلافها في المعنى الدلالي، و تسمى بالجناس الناقص والّتي تمثل إحدى أساليب علم البديع، " وتعتبر من طرق اللعب اللفظية، إذ يتمثل في ظهور مفردتين مختلفتين لكن الدال في كل منهما واحد أو شديد التشابه، والاختلاف البسيط في الدال عادة ما يقابله

---

[1]- سورة الروم ، الآية 55.

[2]- ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)، ط3، القاهرة، مؤسسة المختار،2011م، ص 271.

[3]- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان، رقم15 ، ص11 .

اختلاف كبير في المدلول"[1] ، وهنا نلاحظ أيضا الرابط الحجاجي **(حتى)** الذي جمع بين الحجج والنتيجة المفيدة ، فقد " كان دوره يتمثل في إدراج حجة جديدة، أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية"[2]. بما يسمح لنا باستذكار البعد الحجاجي الذي جاء لتحقيق غاية الإقناع، ونوضحه في هذا الشكل:

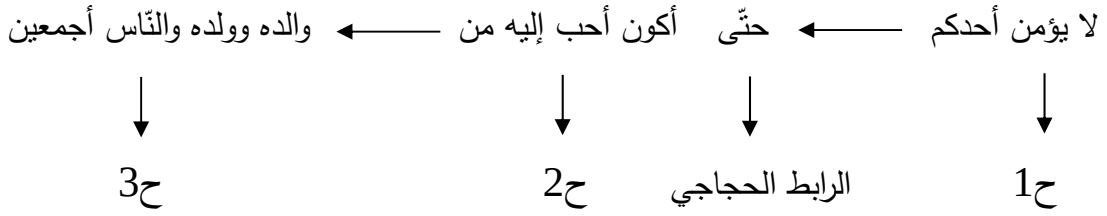

ويوضح هذا الشكل الطريقة الحجاجية، وذلك من خلال الربط القوي بين النتيجة والحجج الّتي قام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بتوظيفه حجاجيًا، والحجة الّتي جاءت بعد الرابط الحجاجي هي الأقوى دليلا، وقد أدت إلى تحقيق الغرض الجوهري للرسالة التربوية، وهو ألا يتحقق الإيمان دون تربية النفس على محبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وألا يكتمل دون تحجيم محبته (صلى الله عليه و سلم) الّتي تعلوا أكثر وتزيد عن محبة ثلاث فئات نوردها على وجه التعميم، وهو ما يشير إليه العلماء:

1- محبة إجلال و تعظيم كحب الوالدين.

2- محبة شفقة و الرحمة كحب الأبناء.

3- محبة الاستحسان كحب النّاس أجمعين.

ومحبة النبي صلى الله عليه و سلم جمعت كل هذه الأصناف[3].

---

[1] -إيمان العشي ، النسق البلاغي في الخطاب النقدي المعاصر، مجلة الخطاب، العدد13، جانفي 2013، ص109.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

[3]- حسين طرحة، شرح مائة حديث من جوامع الكلم من صحيح البخاري، ص141.

وكلّ هذه الأصناف الّتي وردت في الخطاب، هي بمثابة حجج لإقناع المتلقين بالنتيجة، فبالإضافة إلى الأسلوب المهيمن الجناس الذي يحقق للخطاب الوظيفة الجمالية والاقناعية، ذلك أن حسن اختيار الألفاظ وإخضاعها لوزن وقافية مناسبين يسهم في بداعة المعنى وزيادة التأثير في نفس السامع من جهة، ويؤدّي إلى قبول تلك الفكرة والاقتناع بها من جهة أخرى . "فموسيقى الألفاظ هي صاحبة التأثير الحقيقي في القارئ لأنّها تنقل جمالا وسحرا خاصين يقومان بالنهوض بالوظيفة الفكرية للنص"[1].

ب- السجع:

يراد بالسجع في الدّراسات البلاغية "تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو على حرفين متقاربين من النثر، وهذا معنى قول السكاكي "الإسجعاع في النثر كالقوافي في الشعر" [2]، وهذا الحديث النّبوي يوضح لنا ذلك:

فعن مغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات، ومنعا وهات. وكره لكم قيل وقال، و كثرة السؤال، وإضاعة المال"[3].

اشتمل الكلام على ألفاظ مسجوعة بما يشبه القافية تسوق جملة من الأحكام التربوية، مشيرة إلى ثلاث محرمات وثلاث مكروهات، و قد اتخذ هذا الكلام نغمة موسيقية خاصة وأثارها المتميّزة على المتلقي من خلال توافق فواصل الكلمات الثّلاثة على حرف واحد وهي كالأتي:

1- الأمهات / البنات / وهات = الألف و التاء.

2- قال / السؤال / المال = الألف و اللام.

---

[1]-إيمان العشي ، النسق البلاغي في الخطاب النقدي المعاصر، مجلة الخطاب، العدد13، ص109

[2]- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان ، 2009م، ص 384.

[3]- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم 5975، ص725 .

فالرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في حديثه عن هذه المحرمات والمكروهات استعمل آلية مهمة أخرى ، وهي ترتيب الحجج ليصل إلى نتيجة معينة ، والّتي تعرف وظيفيًا بالسلّم الحجاجي وتسمى أيضًا" بعلاقة ترتيبية للحجج"[1]، وهذا له أبلغ الأثر، في كون الحجة متفاوتة من حيث القوة، ناهيك عن دورها الحجاجي في التأثير والإقناع. وذلك مثل ما هو ملاحظ في الترتيب الحجج التالي:

وممّا حرمه الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم):

ح1- عقوق الأمهات ←لقد حرم الإسلام عقوق الوالدين، ولكن نص الحديث خص من هذا العموم ذكر الأم دون الأب ممّا يدل على أن فضل الأم وحقها على ولدها أكثر ما يكون للأب لأنّ مقام يقتضي ذلك.

ح2- وأد البنات ← محرم لما فيه من دفن البنت وهي حية نظرا لضعفها وعجزها.

ح3- منعا وهات ←أن تمنع من أداء الوجبات، وتطمع فيما عند النّاس دون أن تكون أهلا له.

بينما المكروهات، فهي:

ح1- قيل وقال ← أي كثرة الكلام بما لا فائدة فيه، وبما يؤدّي إلى الغيبة والنميمة .

ح2- كثرة السؤال ← كثرة الأسئلة عما لا تنفع الدّين والسؤال عما لا يعني السائل.

ح3- إضاعة المال ← أي إنفاقه في غير وجهه وإعطائه للسفهاء الذين لا يدركون قيمة المال.

وفي المقابل فإنّ توظيف المعنى بهذا الإيقاع يسهم بفاعلية وايجابية في زيادة القدرة التواصلية والإقناعية وتبيين الأغراض العامة الّتي قصدها المكلف بالتبليغ، أضف إلى ذلك طريقة أسلوب عرض الأفكار الّتي اتخذها للانتقال من قضية إلى قضية أخرى على مدار الخطاب ووفق الترتيب الحجاجي، فكلّ ذلك كان له الأثر القوي في استمالة قلب المتعلم

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص102.

واستقطاب عقله و إقناعه للابتعاد عما هو محرم و ما هو مكروه و أداء الأعمال والأقوال الصالحة. فالسجع إذن، لا يعمل على تحقيق الوظيفة الفنية الجمالية فقط، وإنّما يتعدى ذلك إلى الوظيفة التأثيرية "لأنّه يؤثر في النفس تأثير السحر ويلعب بالإفهام لعب الريح بالهشيم، لما يحدثه من نغمة مؤثرة والموسيقى القويّة الّتي تطرب لها الأذن وتهش لها النفس، فتقبل على السماع من غير أن يدخلها ملل أو يخالطها فتور، فيتمكن المعنى من الأذهان، ويقر في الأفكار، ويعز لدى العقول..." [1]، وهذا ما يوضحه أيضّا قول **أبي هريرة رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كلمتان حبيبتان إلى الرّحمن، خفيفتان على اللّسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله و بحمده، سبحان الله العظيم** "[2].

وإذا تتبّعنا تلك الكلمات الواردة في النّص من الزاوية الفنية البلاغية، فإننا سنجدها تتميز بنغمة موسيقية متساوية وفق نسق صوتي واحد منسجمة مع المعنى تنطلق من السياق لتحقق فائدة وهدفا، وبالتالي ينبغي تحديد الفواصل الكلامية المتقاربة في الإيقاع والّتي تشير في حقيقة الأمر إلى السجع كالأتي:

تحقيق السجع:
1- كلمتان / حبيبتان / خفيفتان / ثقيلتان = الألف والنون
2- الرحمان / اللسان / الميزان = الألف والنون

أمّا إذا انتقلنا إلى الجانب اللّغوي الدلالي، وجدنا أنّ المعاني الأساسية الّتي تكوّن النّص تتضمن على وجه الخصوص أهداف تربوية نبيلة وهي تعويد اللسان على ذكر الله وتسبيحه وتعظيمه، فيقدر الله سبحانه و تعالى هذه الأعمال الخفيفة و السهلة على اللسان فيزنها بالموازين الثقيلة ويحتسبها في ميزن الحسنات.

ج- الطباق و المقابلة:

[1]- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)، ص 302.

[2]- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، رقم7563 ، ص 901.

الطباق لون من ألوان البديع يتمثل في "الجمع بين اللفظ ضده في جملة واحدة"[1]، ومن ذلك قول الرسول الله (صلى الله عليه سلم): "**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم**"[2].

يحرص الخطاب على توجيه الأفكار بأسلوب يقوم على المطابقة و التضاد، وتتجلى وظيفته في التطابق بين هذين الكلمتين المتضادتين (أسفل ≠ فوق)، وتكمن قوة الحجاج في هذا التطابق بوصفه آلية بلاغية تحقق هدف الخطاب، إذ تحدث أثرا تواصليا، بل وتعبيرا جماليا يلفت النظر ويثير الانتباه و يؤدي إلى الاقتناع، كما نجد هذا الأسلوب المهيمن أيضًا يحمل معانٍ تربوية جليلة تتضمن على وجه التحديد صيغة الأمر والنهي ممّا زاد الخطاب فعالية أكثر و حيويّة لبلوغ الغاية المنشودة ووصول إلى نتيجة مؤدّاها ضرورة تكوين القناعة لدى المتعلم، وكيف يجب أنّ ينظر إلى الأمور الدنيوية ويتعامل معها، كما سنوضح ذلك من خلال الصيغ التّالية:

• **<u>الأمر</u>**: في قوله: "**انظروا إلى من هو أسفل منكم**" الحث على ضرورة النظر إلى أمور الدنيا بحسب قابلية الإنسان و قدراته و استعداداته فينظر إلى من هو أقل منه مرتبة لأنّها من أسباب الشكر و الإقرار و الاعتراف بنعم الله تعالى علينا.

•**<u>النهي</u>**: في قوله: "**و لا تنظروا إلى من هو فوقكم**"، فالمغزى من النهي إنّما هو تعليم المتلقي وتنبيهه أن لا يتبصر إلى من هو أعلى منه درجة ومرتبة في المال والجمال والمنصب وغيرها من الأمور التي تؤدي إلى طمس العقول وإنكار أنعم الله العظيمة.

وإذا تأملنا قوله (صلى الله عليه و سلم): "**يا أمة محمّد، والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا، ولضحكتم قليلا**"[3]، يبدو التطابق التام بين هذه المصطلحات (ضحكتم ≠

---

[1]– حمدى الشيخ، الوافي في تسير البلاغة(البيان.البديع.المعاني)، المكتب الجامعي الحديث، 2011م، ص69.

[2]– فتح الباري لابن حجر العسقلاني، 18/ 321.

[3]– صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم؟،6631 رقم، ص793.

بكيتم، كثيرا≠ قليلا) قد شد الانتباه بشكل قوي وهو ما يطلق عليه بأسلوب المقابلة وقد عرّفه **القزويني** بقوله: "هو أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معاني متوافقة ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب"[1]، وهو أيضا ما يسمح بتقريب المفاهيم وتوضيح الأفكار، وما يحتوي على أحكام تربوية قيمة وعظيمة مدارها التخويف والتهديد ممّا يستوجب الاجتهاد في أداء الأعمال وإتقان الأفعال وفق شريعة الله سبحانه وتعالى .

وعليه يمكن القول بأن أسلوب التضاد (الطباق أو المقابلة) يسهم في تبليغ المقاصد، "ويظهر المعاني، وينبه الأذهان، ويحرك العقول، إذ يجمع بين المعاني المضادة، بالوقوف عليها يزداد المعنى جمالا، ورسوخا في الأذهان، واستقرارا في العقول"[2].

وفي الأخير يمكننا القول: إنّ تنوع الآليات البلاغية في الخطاب النّبوي تشير كلّها إلى تنوع الأساليب التعليمية وطرائق التواصل لتأدية الوظيفة التربوية وتحقيق الأهداف الأساسية تبعًا لوظيفة البناء الفني الجمالي الّتي تقوم على التوضيح والتزيين، ممّا ترتب على هذه الوظيفة خصوصية التعبير البلاغي المتمثّلة في إقناع المتعلم وكسب تأييده نتيجة استخدام الأساليب البيانية والبديعية والتلاعب بالألفاظ والمعاني الّتي تدخل ضمن تشكيل الرسالة اللفظية التربوية، وإنّ اشتراك هذه الوظائف هو الذي يضفي عنصر التأثير على الخطاب النّبوي.

بناء على ذلك، وعلى نطاق واسع من الجانب التربوي في تحديد الأهداف وتحقيق الإقناع، لقد أدى تنوع الأساليب البلاغية إلى تحديد وظائف كثيرة ومتعددة، وهذا ما يؤكّده **روبول** الذي صنف وظائف البلاغة وفقا للعملية التعليمية والتربوية في أربع وظائف هي:

1- الوظيفة الإقناعية: الإقناع بما يقال حتّى ولو كان غير صحيح.

---

[1] الخطيب القزويني،الإيضاح في علم البلاغة، تح: محمد عبد القادر القاضي، ،المكتبة العصرية، بيروت ،2009م، ص485.

[2]- بسيوني عبد الفتاح، بلاغة تطبيقية –دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص، مؤسسة المختار، القاهرة 2010م، ص 132.

2- الوظيفة التربوية: تسهيل حفظ الخطاب واستيعابه.

3- الوظيفة المعجمية: اغتناء فقر اللّغة العادية و سدّ ثغراتها.

4-الوظيفة الجمالية: تجميل اللّغة وتحسينها، أي إضفاء حلاوة وطلاوة عليها[1].

ويمكننا أن نستنتج من هذه الوظائف أنّ دور البلاغة لا يقف عند حدود المستوى الجمالي في سياق الخطابات التعليمية، بل يتجاوز ذلك إلى وظائف أخرى في تحقيق الأهداف وأهمها الوظيفة الحجاجية الإقناعية، ولذلك فلابد للمعلم أن يتعمد تجسيد هذه الإستراتجية ويجعل تأثيرها عميقا ودقيقا في نفس المتعلم لبلوغ الأهداف التربوية المرسومة.

3. الآليات الحجاجية:

كثيرا ما ترتبط اللّغة بآليات تواصلية يغلب عليها الطابع الحجاجي الإقناعي تهدف إلى بلوغ فكرة أو تغيير موقف، أو السعي إلى التأثير في الآخر، من خلال الاستعانة بالحجج والبراهين المنطقية والاستدلال والإقناع العقلي، وهو ما يسمى بالخطاب المعبر عن مدلولاته بالطريقة الحجاجية الاستدلالية بغية تحقيق غاية الإقناع، وهي معطيات ضرورية تدخل ضمن شروطه تتحكّم فيها ظروف نفسية و اجتماعية و ثقافية، كما أنها مكتسبات متفردة تعكس مقاصد الخطاب و ترسم إستراتجياته التي تميزه عن سواه من حيث الفعالية والايجابية، و قد اتخذت هذه العوامل من أهمّ خلفيات النظرية الحجاجية، و لاسيّما حينما يكون الحجاج آلية من آليات الخطاب، "فالحجاج مجالا مشتركا بين كونه إجراء عقليا واستدلاليا، و جهدا اقناعيا يتوجه به إلى المخاطب أو الجمهور، و كونه ظاهرة اجتماعية تتطلب إلماما بمعطيات سوسيولوجية متنوعة ومفيدة"[2].

والحجاج من هذه الزاوية، من حيث هو وسيلة تعبيرية من وسائل الإقناع، يكفي أن ننظر إليه من مبدأ التواصل التربوي الّذي تقوم عليه العملية التعليمية التي تقتضي الدليل

---

[1]- اوليفي روبول، لغة التربية تحليل الخطاب البيداغوجي، ص26.

[2]-ينظر: زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014م، ص 22.

والحُجَة، وتحرص كلّ الحرص على درجة التأثير وقوة الإقناع، ولعلّ الحديث النّبوي يعزز هذا المنحى ويدعم ظاهرة الدراسة، فيقتبس من هديه صلى الله عليه وسلم أهمّ الوسائل الإقناعية بشقيها اللّغوية والمنطقية العقلية.

1-3- الإقناع اللغوي: ويمتاز باستعمال الوسائل اللغوية استعمالا حجاجيا يفضي إلى تحقيق الهدف المنوط بالنتيجة كاستخدام التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي والقسم والشرط والاستثناء وغيرها من الوسائل الدالة على حقيقة الإقناع.

واللاّفت للنّظر أنّ الأحاديث النّبوية الشّريفة مزودة بجميع الأساليب اللغوية الضرورية والكافية تدفع بالمتلقي إلى الاقتناع ؛ لأنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يملك قدرة خطابية وحجاجية عظيمة جدا، وكان يملك معرفة بأبعاد السياق الاجتماعي والنفسي للمخاطبين، ممّا جعله يتمكن من إقناع النّاس وتبليغ الرسالة"[1]. إلّا أنّنا نختار في هذا الصدد أسلوب التوكيد اللفظي والمعنوي من جهة، ومن جهة أخرى سنعمل على تحديد أسلوب التوكيد بالأداة على النحو التالي:

أ- **التَّوكيدُ بالأداة:** إنّ أسلوب التوكيد "هو أسلوب يتّبع في اللغة لتأكيد معنى الجملة في الجملة، ودفع الشك والالتباس والوهم عن ذهن السامع والمتكلم، وتستخدم فيه أدوات عديدة، عملها نحوي قد لا يتفق مع معنى التوكيد، ولكن استخدمت هذه الأدوات لتوكيد معنى الجمل"[2]، وقد وظفه النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ويظهر ذلك جليا في الحديث الذي دلّ عليه **أبي سعيد الخدريّ عن الرسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: "إنّ الدنيا حلوة خضرة، و إنّ الله مستخلفكم فيها فيَنُظر كيف تعملون فاتّقوا الدّنيا واتّقوا النّساء فإنّ أوّل فتنة بني إسرائيل كانت في النّساء"**[3].

---

[1]- جمعان بن عبد الكريم الغامدي، الحجاج في الخُطبة النبويّة،ص324 .

[2]- عبد الحميد ديوان، النحو المبسط، ط1، الجزائر، دار العزة والكرامة، 1434هـ-2013م، ص 200.

[3]- صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أوّل النّهار عند النّوم، رقم 2742، ص882.

قبل الشروع في تحديد البنية الحجاجية الّتي اشتمل عليها الخطاب النّبوي، لابد أن نعرف ترتيب أجزاء القول الذي أسهم في تشكيل الخطاب الحجاج وجعله أكثر تأثيرا في المتلقي ، وهذه العناصر ترتبط بالوسائل والأغراض على اعتبار أن الكلام عند أرسطي" يتضمن جزئين، إذ لا بد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه، ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة، وأن نقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أولا، ذلك أنّه حين نبرهن إنّما نبرهن على شيء، ولا نذكر الشيء إلاّ من أجل البرهنة عليه. وأولى هذه العمليات هي العرض، والثانية الدليل، وهذا يفضي إلى وضع تفرقة بين المسألة وبين الدليل، فهذا هو الملائم حقا للكلام، وقصارنا السماح ب: الاستهلال ، والعرض، والدليل، والخاتمة"[1] ، وهو بذلك يلتفت إلى أهمّ العناصر الّتي تشكل الحجاج " كمجموعة من العمليات الخطابية ترتبط بعوامل الوضعية التبلغية من جهة وبالصيغ اللّغوية من جهة أخرى، ويتوقف ذلك على العمليات الذهنية للمتخاطبين وما ينجز عنها من استنتاجات خاضعة لمقدمات"[2]، فتؤدّي قوة حجاجية تزيد من احتمالات اقتناع المتلقي، وهو ما يتضح في الخطاطة التّالية:

المقدمة ⟵ إنّ الدنيا حلوة خضرة، وإنّ الله مستخلفكم فيها.

العرض ⟵ فنظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا وتقوا النساء.

النتيجة ⟵ فإن أوّل فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.

- **تقديم المعلومات الأكيدة و إثارة الموضوع:** لقد استهلّ الرسول (صلى الله عليه و سلم) كلامه بأداة (إنّ) التي تفيد التوكيد، ليكون المعنى أكثر وضوحا وتوكيدا عن مفهوم الدنيا وخاصة من خلال الدقة في وصف نعيمها وقيمتها بقوله صلى الله عليه وسلم: (إنّ الدنيا حلوة خضرة)، أمّا دلالتها فهي تؤكّد على حلاوة الدنيا وزينتها الّتي تستهوي أفئدة وعقول النّاس" لأنها حلوة المذاق، وخضرة النظر، تجذب الفتن، فالشيء إذا كان حلوا ومنظره طيب فإنّه يفتن النّاس، فالدنيا هكذا حلوة خضرة"[3].

---

[1]- عبد جليل العشراوي ، الحجاج في الخطابة النبوية، ص159.

[2]-عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص124.

[3]-محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، ص 224.

كما لجأ إلى تأكيد وبيان أن الله استخلف عباده فيها وسخر كلّ ما فيها للإنسان ليكون خليفة" يعني جعلكم خلائف فيها، يخلف بعضكم بعض، ويرث بعضكم بعض"[1]، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله مستخلفكم فيها) وهي معاني مستمدة من القرآن الكريم، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً[2]

– **الشروع في معالجة الموضوع وإبراز المقصد الحجاجي:** لقد مزج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في خطابه هذا بين الجانب الترغيبي والترهيبي الذي يدفع بالمتلقي إلى الامتزاج بين الدّين والدنيا، والذي يعكس فحوى الخطاب والمقصد الحجاجي وغايته الجمع بين الأمرين الرغابات الدنيوية والمتطلبات الدينية.

– الجانب الترغيبي يتمثل في قوله: **(فينظر كيف تعملون)** أي أن ينظروا إلى الدنيا نظرة اهتداء واجتهاد بصالح الأعمال والأفعال، وأنّ يكفّوا عن النظر إليها من غير الأحكام الشرعية بفعل أو عمل يثير بواعث الفتنة.

– الجانب الترهيبي بقوله: **(فاتّقوا الدّنيا واتّقوا النساء)** والغرض من هذا هو تحذير وترهيب النّاس من متاع الدنيا وملذاتها مع الحرص الشديد على تنفيرهم من شر النساء، فسرعان ما تنتشر الفتنة بسبب النساء. والله سبحانه وتعالى أشار إلى هذه المعاني في كتابه العزيز: ﴿ قَدْ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ[3]﴾

---

[1]– شرح رياض الصالحين، ص 224 .

[2]– سورة البقرة، الآية 30.

[3]– سورة أل عمران، الآية 14.

– **تقديم الدليل والحجة واثبات القضية** :لا نبالغ إذا قلنا أنّ الوظيفة الأساسية للخطاب النّبوي تكمن في الإقناع و تثبيت الأحكام بعلل حجاجية، لذلك نجده يخضع إلى الترتيب العكسي للوصول إلى الوضعية النهائية (الحجاجية)، حيث انتقل من النتيجة في قوله: **(فاتقوا الدنيا وتقوا النساء)** إلى الحجة في قوله:**(فإنّ أوّل فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)**، لاسيما إذا كانت هذه الحجج الّتي قدمها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث من صميم الواقع تناسب مقام الإقناع وتقرير الحقائق وتثبيتها مع التوكيد بأداة (إن) ممّا زاد المعنى قوة وتوكيدا في نفس المتلقي وترسيخا في ذهنه. وذلك أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حذر من النساء وفتنتهن، نتيجة حجة أنّ أوّل فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وهو ما يبينه الشكل التالي:

فاتقوا الدنيا وتقوا النساء ← فإن ← أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء

النتيجة ← الحجّة

وهكذا تكمن فعالية أسلوب التوكيد في بناء الخطاب وزيادة وضوح معانيه وتجسيدها في الذهن ونفس المتعلم، بما فيه من أدوات الّتي تتناسب مع الطاقة التأثيرية والاقناعية لهذا الخطاب تبعا لسياق الكلام الذي يعكس أهداف الخطاب ومقاصده الحجاجية، لأنّه لولا السياق المحدد لاختلّ المفهوم، وهنا تتجلى أهمية السياق من خلال "العنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيره حجة، والذي يمنحه الطبيعة الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق"[1]، وهكذا أصبح التوكيد ملائما لمقام التعبير عن المقاصد وتحقيق الأهداف التربوية بالطريقة الحجاجية الاقناعية، يمكن تحددها في النقاط التالية:

1– الاستخفاف بالحياة الدنيا وزينتها وملذاتها وشهواتها حتى لا يغفل المتعلم عن طاعة الله وعبادته سبحانه وتعالى.

2– التحذير من الوقوع في فتن الدنيا وخاصة فتنة النساء نظرا لعظم جرمها وقبحها.

[1]– زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2014م، ص64.

3- الدعوة إلى الامتزاج بين المتاع الدّنيويّ وتطبيق أحكام الدّين الإسلامي وتوجيهاته التربوية بهدف تحقيق سعادة المتعلم في الدنيا والآخرة.

ب- التوكيد اللفظي والمعنوي:

التوكيد اللفظي أسلوب من أساليب التكرار "قد يكون إمّا بتكرير اللفظ المفرد أو الجملة ويقع في الأسماء والحروف والأفعال والجمل، والغرض منه توكيد اللفظ الذي ظنّ أنّ السامع قد يفهم منه خلاف ذلك"[1]. وقد يكون من نوع آخر بتكرار الحجة أو الدليل لا بلفظه بل بمعناه" [2]، إذ أجمع علماء العربية وبلاغيوها على أنّ التوكّيد هو من أهمّ أغراض التكرار، وذلك أن المادة إذا كررت رسخت في النفس وتمكنت منها، وتأكد وجودها في العقل لفترة طويلة[3].

وهو أيضا أسلوب شائع في الخطابات على تنوع مواضيعها واختلاف أجناسها ولكنّه لا يدرس ضمن الحجج أو البراهين، وإنّما يعدّ رافدا أساسيا يرفد هذه الحجج أو البراهين التي يقدّمها المتكلّم لفائدة، بمعنى أن التّكرار يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقّي وتساعد على النحو الفعّال في إقناعه أو حمله على الإذعان ذلك أنّ التكرار يساعد أولا على التّبليغ والإفهام ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو فكرة في الأذهان فإذا ردد المحتج لفكرة حجة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقّي"[4].

وقد اتخذ النّبي (صلى الله عليه وسلم) أسلوب التكرار والإعادة في تعليم أصحابه، وهذا ما يلقي الضوء على حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: **قال النبي (صلى الله عليه وسلم):("ألا أنبئكم بأكبر الكبائر"؟ "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟قالوا:**

---

[1]- ينظر: أحمد بلاصي، عالية صلح، زكي العوضي، مهارات اتصال في اللغة العربية وآدابها، منهج وتطبيق، ط1، 2010م، عمان، دار كنوز المعرفة، ص117.

[2]- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص150 .

[3]-ينظر: نصر الدين بن رزق، الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم، دار هومة، الجزائر، 2013م، ص61 .

[4]- سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011 م، ص168.

"بلى يا رسول الله ."قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، و جلس و كان متكئا، ألا وقول الزور"(*) (فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت) [1].

لقد اقتصر الحديث النّبوي الشريف على موضوع يستلزم التبليغ بأسلوب العرض، إلاّ أنّه ورد بصيغة الاستفهام الحجاجي في قوله (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟) و " هو كل استفهام يخرج عن غرض الاستفهام الأصلي ليؤدي وظيفة أخرى، فإذا كان في مقام الحجاجي زاد من قوة الحجاج وبلغ بها الذروة القصوى"[2]، والرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الموقف لم يستفهم عن طلب شيء، بل كان توجيه السؤال بأبعاده التواصلية الحجاجية على أساس التنبيه والاهتمام لإفادة المتعلم، لأنّ "السؤال الذي يلقيه المعلم مصدر إثارة نفسية لتقوية الانتباه من قبل المستمع، وقد يشجعه حب المعرفة إلى إجراء محاورة مع السائل، ومن يمتلك القدرة على جذب اهتمام الآخرين، فإنه يستطيع أن يوصل إليهم المعلومة بسهولة ويسر[3]. ويمكن صياغة البنية الحجاجية لهذا الخطاب النّبوي كالتالي :

المقدمة ← ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟
"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟
"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟

العرض ← الإشراك بالله
عقوق الوالدين
ألا وقول الزور

النتيجة ← فمازال يكرر (ألا و قول الزور، ألا و قول الزور، ألا و قول الزور....) حتى قلنا ليته سكت.

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، رقم2654، ص316.

[2] - جمعان بن عبد الكريم الغامدي ، الحجاج في الخطبة النبوية،ص309.

[3]– ينظر: مصطفى محمد الطحان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص183 .

المقدمة: يمهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) خطابه بأسلوب يجذب النفوس ويعين على التأثير والانفعال، وهو أسلوب التكرار الناتج عن إعادة الجملة ثلاث مرات (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟)، وكان لتكرارها تأثير بارز في نفوس المستمعين حين استجابوا للرسول (صلى الله عليه وسلم) بقولهم: (بلى يا رسول الله) رغبةً في الحصول على شأن عظيم وجديد إزاء السؤال المطروح، فإنّ التكرار في مثل هذا الحديث الشريف دلّ على أهمية الموضوع، وأمكن تحقيق الانتباه والتركيز واليقظة لكونه إحدى الوسائل الحجاجية الأكثر توكيدا وإقناعا.

العرض: يوجّه الرسول (صلى الله عليه وسلم)أنظار المسلمين نحو قضايا بالغة الأهمية حرصا على تجنبها وبعدا عن مضارها، إذ جعلها كبيرة من الكبائر وهو ما يدل على شدة خطورتها، لذا فهو يطرح ثلاثة قضايا وعلى رأسها الإشراك بالله ثم عقوق الوالدين، ففي هذا التوجيه التربوي يربط الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين اجتناب عقوق الوالدين والإيمان برب العالمين وهي أحكام مستمدة من القرآن الكريم، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ ۚ إِحْسَٰنًا ﴾[1]، والغرض من ذلك إثارة وتشويق المخاطب وتوصيل المعنى المقصود من خلال النهي عن الشرك بالله أي جعل شريك له في العبادة، وكذلك استشعاره لقيمة الوالدين سعيًا لإرضائهما وإسعادهما في الدنيا وذلك بطاعتهما ومساعدتهما والإحسان إليهما ولقوله تعالى **(وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)**[2]، وعدم التقصير في حقّهما والإساءة إليهما بالفعل والقول.

أمّا فيما يتعلق بالشق الثالث من هذه القضايا، فقد بيّن حقيقة شهادة الزور وأنها من الذنوب العظيمة فهي مقرونة بالشرك بالله وعقوق الوالدين وظل يؤكدها والاهتمام بها أكثر

---

[1]- السورة الإسراء، الآية 23 .

[2]- السورة لقمان، الآية 15 .

من سواها، كما جاء في التفسير"و إنما عظّم النبي أمرها لكثرة الوقوع فيها وعدم الاهتمام النّاس بها، فأرى النّاس أنّ أمرهم عظيم، كان يحدث عن الشرك وعقوق الوالدين، وهو متكئ، ثم جلس اهتماما بالأمر "ألا وقول الزور، شهادة الزور"فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت، وهذا دليل على عظيم شهادة الزور وقول الزور، وعلى النّاس أن يتوبوا إلى الله عز وجل من هذا، لأنّه يتضمن ظلم نفسه وظلم من شهد له"[1]. وذلك امتثالا لقوله تبارك وتعالى: ﴿ ۦ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾[2].

النتيجة: ففي هذا الخطاب التربوي يستخدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) أسلوب التكرار كمؤشر تأثيري للتوجيه والتعليم، ممّا شدّ انتباه الصحابة إزاء تكرار عبارة (ألا وقول الزور) حيث ظل يكررها (صلى الله عليه وسلم) لدرجة تغيير هيئته (كان متكئا فجلس) وهي أقوى حجة ساعدت على تحقيق مقصدية الخطاب واثبات قضية حرمة –شهادة الزور– وبيان أثارها الخطيرة، والدليل على ذلك أنهم تمنوا توقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن تكرار تلك العبارة لأنّهم اقتنعوا بما جاء به وأدركوا خطورة قول الزور والعمل به، بالإضافة إلى أنّه طريق الشر والمعصية والفجور.

لقد كان لأسلوب التكرار في الخطاب النبوي نتائج ايجابية تشير إلى أهداف تربوية سامية أسهمت في إيقاظ وعي المتعلمين، و"لم يكن التكرار في الحديث النبوي ناجما عن فقر لغوي، ولا عن عجز في التعبير، وإنّما كان مقصودا متعمدا، جاء ليحمل جزءا من المعنى المراد، فكان وسيلة من وسائل تبليغ الدعوة، وطريقة من طرائقها، يستعمله النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا وجد ضرورة لذلك، والحاجة إليه كالحاجة إلى غيره من الأساليب الأخرى"[3].

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، تح: أبو سلسبيل محمد عبد الهادي، ط1، مكتبة عباد الرّحمن، مصر، 2008م، ج4، ص147–148.

[2]– سورة الحج، الآية 30 .

[3]– أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق–المجلد 26–العدد الأول+الثاني، 2010م، ص100.

إذا كان التوكيد اللفظي في الخطاب النبوي أسلوبا تواصليا حجاجيا يفضي إلى إعادة الكلام بلفظه أكثر من مرة حتى يصل المخاطب إلى غاية التأثير على مستوى الإقناع، وتثبيت المعاني وتجسيدها في عقل ووجدان المتعلم، فإن التوكيد المعنوي أسلوب تعبيري تواصلي أيضًا، قد استخدمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في العديد من المواقف،" وذلك لدفع الملل والسأم عن السامع والقارئ، أو لعرض المعنى بطرائق مختلفة للتأثير في السامعين" ، وهذا ما نجده في الحديث الذي رواه **أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو كريب، واللفظ لأبي بكر، قالا: حدّثنا أبو أسامة، عن بريد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره، قال" بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا"**[1].

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كلما بعث أصحابه ليُعلموا النّاس الدّين الإسلامي يزودهم بهذه النصيحة، فأوّل ما يأمرهم به أن ييسروا على النّاس في تعليمهم ووعظهم وتبيان فرائض الإسلام، ثم بعد الأمر بالتيسير ينهاهم الرسول صلى الله عني التعسير، وهو التشديد في الدّين في تعليم النّاس وتصعيب الفرائض.

ثم أمرهم بالتبشير بما بشر الله عباده المؤمنين بالنعيم المقيم والرحمة الدائمة والأجر العظيم، ونهاهم عن تنفير النّاس عن الدين وذلك بتشديد الوعيد وغلق باب الرحمة والتوبة عنهم[2]. لذلك سنحاول هنا بالتمثيل تحديد البنية الحجاجية لهذا الخطاب ووفقًا للنظام والتسلسل الذي يرتقي إلى تحقق النتيجة :

المقدمة + العرض + النتيجة

- بشّروا ولا تنفّروا ⟵ القضية الأولى.
- ويسّروا ولا تعسّروا ⟵ القضية الثانية.

[1]- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم1732، ص 577 .

[2]- حسين طرحة، شرح مائة حديث من جوامع الكلم من صحيح البخاري، ص213-214.

إنّ العلاقة بين بداية نص الخطاب ونص الموضوع مبنية على التكامل الوظيفي الذي جمع بين وظيفة لفت انتباه المخاطب على أهمية الموضوع وذلك باستخدام الأساليب الإنشائية الطلبية التي ورد منها بصيغة الأمر (بشروا، يسروا) وصيغة النهي (لا تنفروا، لاتعسروا)، و بين وظيفة طرح قضية التيسير والتبشير لأحكام الدين الإسلامي، فنشأ عن هذا التكامل التساوي بين المعاني أو ما يسمى بالتكرار المعنوي (بشروا=لاتنفروا)، (يسروا=لاتعسروا) فهذه الكلمات تختلف في الصيغة لكنها مرادفة للمعنى أي تختلف الكلمات شكلا وتتفق معنى ومضمونا، وهو ما يمكن أن نمثّل له بالخطاطة التالية:

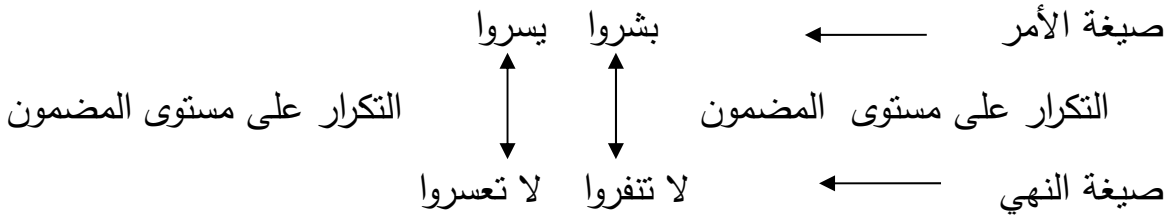

شكل توضيحي رقم4

إن استعمال التكرار المعنوي كوسيلة لغوية تفيد التوكيد وزيادة الوضوح يؤدي وظيفة حجاجية، والّتي تعبر عن الموضوع بشكل مباشر، وكذا على طريقة اختيار الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأساليب الدلالية المناسبة لمقام الإقناع والتأثير، فبهذه الأساليب وجه التعليمات والأقوال إلى المتعلمين كحجج لطرح القضية الأولى وهي (التبشير) وتدعيم القضية الثانية المتمثلة في (التيسير) ثم إثبات النتيجة عن طريق إعادة الحجة لا بشكلها بل بمضمونها من أجل تحقيق الغاية النهائية ب(عدم التنفير والتعسير في تبليغ الدعوة الإسلامية) وهو الأمر الذي ساهم في البنية الحجاجية للخطاب النّبوي، فكان الأثر واضحا على هؤلاء المتلقين كي يقنعهم ويرشدهم ويؤكّد لهم المعنى، وذلك بأنّ الإسلام دين يسر وليس دين عسر. وهو ما نمثل له بالسلم الحجاجي من خلال علاقة ترتيبية للحجج والأدلة، فيتميز السلم الحجاجي بالميزتين التاليتين:

1- كل قول يرد في درجة السلم، فيكون القول الذي يعلوه أقوى منه حجة.

2- وإذا كان القول يؤدّي إلى النتيجة، فإن القول الذي يعلوه درجة يؤدّي إليها، والعكس غير صحيح[1].

ويرى شكري المخبوت أنّ نظرية السلالم الحجاجية تنطلق من " إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول-الحجة ق والنتيجة ن، ومعنى هذا التلازم هنا هو أنّ الحجة لا تكون حجة بالنّسبة إلى المتكلم إلاّ بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أنّ النتيجة قد يصرّح بها وقد تبقى ضمنية"[2]. ويتضح ذلك من خلال الرسم الأتي:

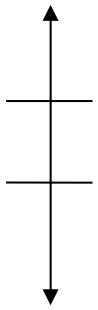

ن النتيجة(التيسير والتبشير في تبليغ الدعوة)

ح (يسروا ولا تعسروا).

ح- (بشروا ولا تنفروا).

يوضح هذا السلم الحجاجي أن النتيجة جاءت مضمرة غير مصرح بها **(التيسير والتبشير في تبليغ الدعوة الإسلامية)** ، وهذا ما يعرف بالقياس المضمر أو قياس أضمرت نتيجته، فمنطلقه أن " المعاني المضمرة في الأدلة معان تلزم بوجه من الوجوه عما هو مصرح به، فهي إذن بمنزلة لوازم المصرح به"[3]، وهو في التصور الأرسطي قائم على الاحتمالات العرفية، وينطلق من اعتقادات الجمهور، وهو استنباط يتيح الإقناع لا البرهنة"[4]، ومن هنا تبرز أهمية هذا النوع من الأدلة خاصة في تشخيص الوظيفة الحجاجية وبحسب وضعية الخطاب ومقامه، وأمّا الأهداف التربوية الّتي تضمنها الخطاب الحجاجي، فهي:

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص21.

[2]- عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص168.

[3]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان العقلي أو التكوثر العقلي ، ص153.

[4]- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص141.

1- بيان حقيقة الإسلام بأنّه دين يسر لا دين عسر، قال تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[1]

2- حثّ المسلمين على أن يسلكوا سبل التيسير والتبشير في تبليغ الدعوة الإسلامية.

3- التحذير من إتّباع مسالك منافية للدّين كالمبالغة والتشدّد والتعسير وغيرها من الأساليب الّتي ينفر منها النّاس.

ويتبين لنا أن هذه الوسائل اللغّوية تكشف عن أهمية الجانب التداولي لعملية الحجاج، حيث " تكمن أهميتها في أنّها تتدخل في آراء وسلوكات المتكلم أو المستمعين عن طريق التأثير فيهم، وذلك بحملهم على الوصول إلى النتائج والاقتناع بها، والحجاج ليس فقط البحث عن إقناع الغير، ولكنه أيضا بناء نمط تمثيلي، الغرض منه التأثير على المستمعين"[2] خصوصا إذا استخدم تقنيات التعبير المنطقي كما سنرى ذلك في الإقناع العقلي.

2- الإقناع المنطقي العقلي:

تعتبر الوسائل المنطقية من الاستراتجيات الحجاجية الّتي يوظفها المتكلّم و"يخاطب العقل بالحجة والدليل والمنطق، والتسلسل الذي يرتقي إلى النتيجة، وهو يبدأ بالمقدمة، الّتي تحدد الموضوع أو القضية، ثم العرض، ثم أصل المشكلة، ثم الدليل والحجة، ثم النتيجة أو الحكم"[3]. وهذه الإستراتيجية حاضرة في الخطاب النّبوي، وذلك لما لها من تأثير قوي على نفوس المتلقين، وهذا الحديث يدل بوضوح وجلاء على ذلك:

---

[1]- سورة البقرة، الآية 185.

[2]- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،ص 123.

[3]- محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، ص49.

فقد روى أبو أمامة أن فتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إئذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه.

فقال صلى الله عليه وسلم: " أدنه فدنا منه قريباً

قال فجلس. قال: أتحبّه لأمّك؟

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: " ولا النّاس يحبونه لأمّهاتهم ". قال: " أفتحبه لابنتك؟

قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك.

قال: " ولا النّاس يحبونه لبناتهم ". قال أفتحبه لأختك؟

قال: لا والله جعلني الله فدائك.

قال: " ولا النّاس يحبونه لأخواتهم ". قال: "أفتحبه لعمتك؟

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: " ولا الناس يحبونه لعماتهم " قال: " أفتحبه لخالتك؟

قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لخالاتهم ".

قال: فوضع يده عليه وقال: " اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه". فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

– **التقديم:** إذا حللنا الحديث النّبوي من حيث بنيته الحجاجية ، فسنجد أن عبارة (يا رسول الله) من الأساليب الإنشائية التي اختارها الفتى كوسيلة وحجة للتواصل والاستئذان لارتكاب فعل محرم مستخدما أسلوب النداء المباشر، ممّا زاد انتباه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولاسيّما إذا كان الرفض التام لمثل هذه الأخلاق الفاسدة نظرا لحجم خطورتها البالغة داخل حياة المجتمعات ذات تأثير واضح في طبيعة تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الشاب وفق مبدأ العقل والمنطق، فوقع اختيار أسلوب الاستفهام البياني للفهم والاستيعاب، واقائمة الحجج والبراهين للتبليغ والإقناع.

[1]– ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله: مسند احمد بن حنبل، مصر، مؤسسة قرطبة، ج5 ، ص256 .

– **العرض والدليل:** إنّ في هذا الحديث ثمة قيم غير أخلاقية عاش عليها العرب الجاهليين قبل دخول الإسلام قوامها اقتراف الفواحش والرذائل والمنكرات، وجاء الإسلام ضد اشاعة الفاحشة وفساد الأخلاق الّتي تفجرها متطلّبات النّفس الميالة إلى حب الشهوات واللذائذ لدرجة الوقوع في جريمة الزنا من دون النّظر لعواقبها، وهي من الكبائر الّتي توجب السخط واللّعنة والدليل على ذلك صيحات القوم بأسلوب الزجر"مه مه" (وهو اسم فعل أمر بمعنى كفّ)، عندما سمعوا حديث الفتى وهو يطلب ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ورغم كلّ ذلك كان صلى الله عليه وسلم رحيما به، والموقف التربوي الذي اتخذه (صلى الله عليه و سلم) بعد سماعه لنداء الفتى الاستجابة و الاتجاه نحوه و التقرب منه من شدة حرصه على الإفهام و الانتباه و التهيؤ لسماع خطابه.

لقد اتّسمَ الخطاب النّبوي بتدرج الحجج و تسلسلها الّتي تهدف إلى مخاطبة عقل و قلب المتلقي على حد سواء، تدرجا متميزا كان من أهمّ عوامل تحقيق الأهداف التربوية المرجوة، إذ رتبها ترتيبا حجاجيا منطقيا فبدأ بالحجة الأقوى (الأم) إلى أن انتهى بالحجة الضعيفة (الخالة)، يكفي أنّ نشرح هذه الحجج من خلال هذا السلم الحجاجي :

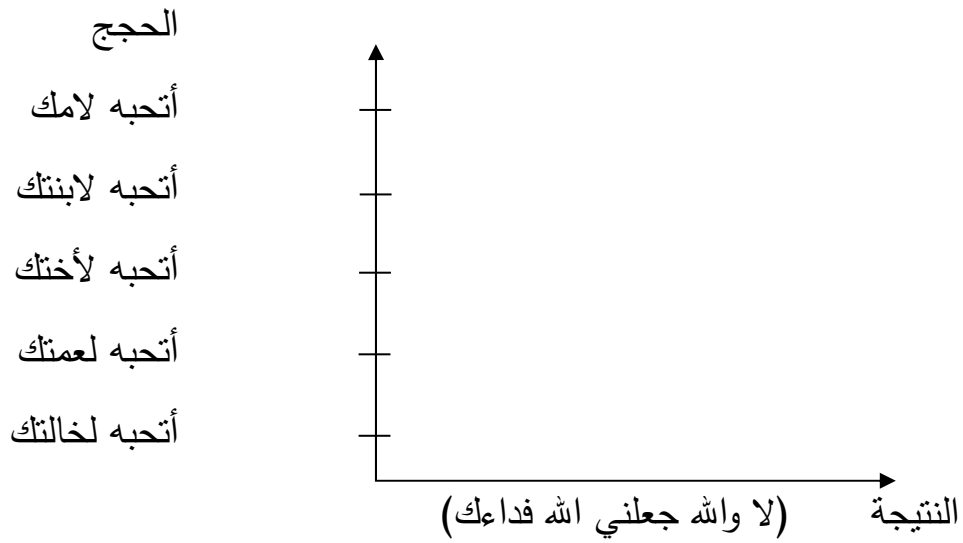

شكل توضيحي رقم5

ووردت في هذا الصدد عدة آيات نكتفي بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1]، إلاّ أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طرح هذه القضية على أساس الاستدلال المنطقي العقلي من حيث هو تقنية تقوم على التعليل والتبرير، و"الاستدلال يعبر عن الجهود التي يقوم بها المرسل أو الخطيب في صياغة فكرته في شكل رسالة قادرة على التعامل مع المدركات الحسية والعقلية للمتلقين"[2].

وهنا نرى كيف استأصل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من نفس الفتى تعلقه بالزنى، عن طريق الحوار والمحاكمة النفسية والموازنة العقلية، دون أن يذكر له الآيات الواردة في تحريم الزنى والوعيد للزاني والزانية، نظرا منه أن هذا اقلع للباطل – في ذلك الوقت – من قلب الشاب بحسب تصوره وإدراكه" [3]، ممّا يوحي لنا "أنّ للجانب العقلي إذا انضاف إلى خشية الله مما ينتظر المذنب يوم القيامة من العذاب أصبح الحاجز عن الذنوب أقوى ثم أقوى"[4].

النتيجة: ممّا لا شك فيه أنّ تحقيق النجاح وبلوغ الأهداف كان على حساب متطلبات الإقناع المنطقية والعقلية **(فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)**، حيث استطاع الرسول (صلى الله عليه وسلم) إقناع الفتى، وذلك باختيار الأسلوب الحجاجي الذي يمثل أفضل أساليب التعليم وأكثرها تأثيرا وإقناعا سواء من الناحية العاطفية أو من الناحية الفكرية (العقلية)، فتعددت الحجج المنطقية، الأمر الذي دفع بالمخاطب إلى زيادة الاقتناع مع كل حجة بقوله **(والله جعلني الله فداءك)**، فهذا الكلام يدلّ على الانفعال الصادق والتأثير البالغ الذي ينسجم مع الطبيعة النفسية والعقلية والروحية للمتعلم.

---

[1]– سورة الإسراء، الآية 32.

[2]–ينظر: كريمة أحسن شعبان، الاتصال الخطابي وفن الإقناع، ص180.

[3]– عبد الفتاح أبوغدة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص101.

[4]– محمد صالح المنجد، كيف عاملهم صلى الله عليه وسلم، ص612.

إذن، ارتكز الخطاب النّبوي على ثلاثة أمور:

– أولاً: أساس شرعي، فهو يدعو الله له بالهداية في سلوكه، وذلك من خلال قوله: "**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**" اثر الانتهاء من الحوار.

– ثانيًا: أساس أخلاقي، " إن لأخلاق الخطيب دورا في الإقناع، إذ ينبغي أن يكون موضع قبول لدى المتلقي خلال بث الخطاب وتلقيه، فالقائل " هو خلق يكسب المقولة مصداقية ويوفر في الحركة الحجاجية عنصر الثقة وهو عنصر خارج الاستدلال لكن له دوره في تحقيق عملية الإقناع"[1]، لذلك نجد المعلم الأوّل يعامل الشاب بالرفق والرحمة ويعظه باللطف، حيث قال المولى عز وجلّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]، ممّا نجم عن هذا التوقير والاحترام المتبادل قوة تأثيرية عالية تبرز تلقي المخاطب المعاني السامية للخطاب النّبوي من خلال الاستجابة والتأثير تنمية قدراته الذهنية ومهاراته الفكرية.

– ثالثًا: أساس عقلي، وبهذا المعيار– العقل – تمكن المتعلم من التمييز بين الصواب والخطأ وبين الحسن من القبيح والنافع عن الضار، كما عرفه بعض الباحثين المسلمين بأنّه: "القوة الغريزية للنفس، نتمكن بها من إدراك الحقائق والتمييز بين الأمور الحسنة والقبيحة، وهي تزداد قوة بالتجارب ونستنبط بها المصالح والأغراض ويحصل بها الوقوف على العواقب"[3]. لذلك صنف الرسول (صلى الله عليه وسلم) محارم الفتى تصنيفا حجاجيا بما يتناسب مع عقله ويهز كيانه ويثير انفعاله، وبما يوافق مقام التعليم والتوجيه دفعًا به نحو التفكير السليم والتعقل المنطقي فيسمو عقله ويرقى سلوكه الاجتماعي والأخلاقي الذي يمنعه

---

[1]–ينظر:عبد عالي قادا، بلاغة الإقناع–دراسة نظرية تطبيقية، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،عمان، 1437هـ–2016م، ص84 .

[2]– سورة أل عمران ، الآية 159.

[3]–ينظر: إبراهيم محمد السرخي، الجوانب السلوكية في بناء الشخصية –مقارنة بين المنظرين الغربي والإسلامي، هبة النيل العربية للنشر ، 2011م، ص178 .

من ارتكاب المنكرات ويبعده عن العادات السيئة التي تهدد المجتمع.

لقد تبين بوضوح من خلال إدراجنا لهذه الآليات الحجاجية وأنواعها المختلفة وأبعادها التأثيرية بأنّها إستراتجية إقناعية تقتضي الاستعانة بالوسائل اللغوية والمنطقية للوصول إلى الفهم المقصود أو إدراك كنه الخطاب بشكل صريح وضمني، لما لها من أثار بالغة وما تحتويه من إمكانيات كبيرة تعمل أساسا على تأدية الغايات وتحقيق الأهداف المرسومة، كما تشير هاته الوسائل الغنية والبارزة في الخطاب النّبوي إلى مهارته التواصلية وقدراته الإقناعية واستثمارها في ضوء العملية التعليمية التربوية.

الفصل الرابع:

مقاصد التواصل التربوي في الخطاب النّبوي

أولا: التربية الإيمانيّة

أ- غرس العقيدة وتثبيتها في نفس المتعلم.

ب- تزويد المتعلم بمعلومات جديدة ومفيدة لأداء عمل معين.

ج- تدريب المتعلم على التفكير السليم .

ثانيا:التربية الأخلاقيّة.

أ- تهذيب سلوك المتعلم وتقويمه.

ب- تطوير سلوك المتعلم وتغيير اتجاهاته.

ج- توجيه المتعلم على الأسس القويمة والمبادئ السليمة.

ثالثا: التربية النفسيّة.

أ- تزكية النفس وتطهيرها والسمو بها.

ب- التحفيز والرفع من معنويات المتعلم.

ج- إدخال السرور في نفس المتلقي.

د- تنمية روح التنافس الشريف بين المتعلمين.

رابعا: التربية الاجتماعيّة.

أ- توجيه وإرشاد المتعلم نحو السلوك الاجتماعي القويم.

ب-إكساب المتعلم أنماط سلوكية ضرورية للحياة الاجتماعية.

لقد فرضت العلاقة التخاطبية على أرضية النشاط التواصلي في سبيل نقل الدلالات أو الرموز أو التلميحات مبدأين جوهريين: أولهما وأهمهما مبدأ القصد : غرض المتكلم وقصده من الكلام، بيد أنّ "المقاصد هي لب العملية التواصلية لأنّه لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليق للعلامات"[1] ذلك أنّ كلّ العلامات ليست خطابات عشوائية دون قصد، وإنّما هي خطابات لها مقاصدها وغاياتها البراغماتية ، أمّا ثانيهما: هو هدف الخطاب؛ ذلك" أنّ المتكلم لا ينتج خطابه عبثا، ولكنه من أجل تحقيق هدف معيّن، مرتكزا في ذلك على عمل ذهني ومخزون لغوي– لتحقيقه، حيث تتراوح أهداف الخطاب من مجرد ملء أوقات الفراغ بين المخاطِب والمخاطَب إلى السيطرة على ذهن المرسل إليه، وصولا إلى تغيير العالم الحقيقي من خلال الخطاب"[2]. ولعل من أهم خصائص هذه الفروض المستهدفة أنّ الخطاب لا يقف عند حدود توجيه الكلام فحسب، وإنما يتجاوز ذلك إلى إمعان النظر واستقصاء الفائدة الّتي تخص كل خطاب من أجل تحقيق التواصل الفعال بين المتكلم والمخاطب.

وفي سبيل استقراء الأفكار وتحديد المعاني الأساسية للخطاب القرآني والفهم السليم للمقاصد الّتي تتضمنها أحاديث النّبوية الشّريفة، ظهرت في "تراثنا العربي الإسلامي تصورات دافعت بنحو جدي عن القصدية أي الدلالات والمقاصد المتوخاة، و" المراد الإلهي " كما يعبر بعض الأصوليين، وكانت هذه التصورات هي المهيمنة في هذا التراث، فقد تميّز الفكر اللّغوي عند العرب والمسلمين بميزة تداولية أصيلة تربط الخطاب بمرسله ومتلقيه والقصد منه"[3]، وهكذا كانت قصدية الخطاب القرآني من القضايا المركزية عند الأصوليين.

---

[1]–ينظر: بسام مشاقبة، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، ط1، عمان–الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2010م، ص138.

[2]– ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب ، ص149.

[3]– مسعود صحراوي، تداولية الخطاب القرآني عند الأصوليين، مجلة الخطاب، العدد 8، جامعة مولود معمري–تيزي وزو، 2011م، ص51 .

ونلفت النّظر أيضًا إلى أنّ أغلبيّة الدّراسات التداولية الحديثة اهتمت بالمضامين والمقاصد التواصلية، حيث اعتنى الباحثون المحدثون بدراسة الأفعال اللّغوية فتوسّعوا وتنوعوا " وبحثوا في نيات المتكلم ومقاصده والوضعية السياقية الّتي تكشف عن بعض خصوصيات خطابه وأهدافه ف" القصد أو المقصدية" إذن تحدد كيفية التعبير والغرض المتوخى، وهي البوصلة التي توجّه تلك العناصر وتجعلها تتضافر وتتجه إلى مقصد عام، فالمقصد يحدد اختيار الوزن، والألفاظ الملائمة، وتركيبها بطرق معينة لتؤدّي المعنى العام المتوخى"[1]، نستنتج من خلال هذا الاتجاه الّذي يدافع عنه هؤلاء الباحثين أنّ المقصد يتميز بالتوافق التواصلي الذي يعزز العلاقة بين المرسل والمتلقي والخطاب، وبهذا يكون تقديم أو " إنتاج أي خطاب بين طرفين مرهون بفهم وإفهام مقاصد المرسل الّتي تبلور العلاقة بينهما، سواء أكانت المقاصد بوصفها الإرادة أو مقاصد بوصفها المعنى. وبناء على ذلك يمكن أن نقسم القصد إلى نوعين:

أ-**القصد معبر عن الإرادة:** أي إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها لا تابعة لشكلها الظاهري فقط، وذلك مثل بعض الأفعال المتعلقة بالمهر فإنّ قصد المرسل بوصفه إرادته ليؤثر في خطابه بدرجة أقوى خاصة في انجاز الفعل اللغوي لاعتماده على توفر الإرادة من عدم وكذلك في ترتيب الخطاب للتدليل عليه.

ب- القصد بوصفه المعنى: حيث لا يمكن تجسيد القصد إلاّ باللغة إذا جعلت عليه دليلا، لأن الله وضع الألفاظ بين عباده تعريفا ودلالة على ما في نفوسهم ، فإذا أراد حدهم من الأخر شيئا عرفه بمراده وما في نفسه بلفظه ورتب على ذلك الإرادات والمقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول ولا على مجرد الألفاظ" [2].

---

[1]-ينظر: ليلى جودي، إستراتجية التواصل في البلاغ القرآني، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان، 2011م، ص400.

[2]-بسام مشاقبة ، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب ، ص138 .

بيد أنّ الخطاب النّبوي على درجة كبيرة من الأهمية في تربية النفس الإنسانية من جميع جوانبها الأساسية، فضلا عن كونه يحمل أساليب ومؤثرات تواصلية، إضافة إلى قدرات وطاقات خطابية (اللّغوية)، يستوقفنا النّظر والتتبع لمقاصده من هذه الزاوية، فلا يكتفي الاهتمام ببيان وتفسير أحكام الدين وتشريعاته، بل يجب استقصاء الأغراض المنوطة بالجانب التربوي وإدراك مغزاها ومؤداها من خلال تلك المواقف التواصلية الّتي تجسد معانيه وتطلعاته ومبادئه الضرورية ذات الأبعاد الإيمانية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية، تلك هي الغايات العامة في طبيعيتها ووظيفتها الّتي حددها أصحاب هذا الاتجاه" أين تكون الأهداف أكثر عمومية وشمول، حيث يتم وصف الناتج النهائي لعملية التربية كاملة على صعيد تربية الشخصية، ومن أمثلة هذا النوع من الأهداف التربوية؛ أن يتمكن المتعلم من التفكير العلمي السليم، وتنمية القيم الخلقية والجمالية، ثم تعلم الأدوار الاجتماعية المناسبة لجنس المتعلم، وتزويد المتعلم بالمعلومات والمهارات الضرورية لأداء عمل معين... وغير ذلك"[1]، هذا ما سنتعرض إليه في المقاصد اللاّحقة، والّتي يمكن تلخيصها من خلال المباحث الموالية:

أولا- التربية الإيمانيّة:

تُعدّ التربية الإيمانيّة من أهمّ المتطلبات الدينية بل من أعظم مقاصد الرسالة المحمدية الّتي تخص العقيدة الإسلامية، وذلك يرجع بدرجة الأولى إلى الأصول الّتي انطلقت منها الرسالة، لأنّ" الإيمان بالله يعني أنّ المرء قد أخذ على نفسه عهدا بأنّ حياته ومماته ستمضي وفق منهاج الله عز وجل، أن هذا العهد خطير للغاية، حيث أنّه تم التعاقد فيه بين طرفين أحدهما العبد الذي هو في منتهى الضعف والقصور والعجز، وأمّا الطرف الآخر فهو الله العزيز الذي يملك كل طاقات السماء والأرض، وأنّ العبد إذا التزام فعلا بكل مقتضيات هذا العهد وأحسن الوفاء به، فقد استحق عند الله نعيما خالدا لا يزول، ولا يفنى أبدا، وأمّا إذا أخلف عهده ذاك، ورفض الالتزام الفعلي بمقتضياته فقد عرض نفسه لمصير غاية في

(1)–نور الدين أحمد قايد، وحكيمة سبيعي ، التعليمية وعلاقاتها بالأداء البيداغوجية والتربية ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد8، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2010م، ص45.

الخطورة، وذلك أن يقذف به الله في نار جهنم، ولا يجد إلى الخروج منها من سبيل"[1].

وعلى هذا الأساس، تكمن مهمة النبي (صلى الله عليه وسلم) في تثبيت أساس واحد وجوهري ألا وهو الإيمان، وهو ما نلمحه بشكل بارز في جل مواعظه وإرشاداته منذ بداية بروز الدعوة، حيث كان شديد الحرص على التربية الإيمانية وكثير العناية بترسيخها وحفظها، وقد ساهمت هذه الغاية بشكل كبير في رسم أسس ومعالم العقيدة وإرساء قواعدها التربوية تمثّلت في تحقيق العبودية التامة لرب العالمين في كل زمان ومكان، ومن هنا يمكننا أن نلتمس ذلك انطلاقا من المقاصد التربوية التالية:

-أ- غرس العقيدة وتثبيتها في نفس المتعلم:

وإذا نظرنا إلى أبرز المقاصد في الخطاب النّبوي بشكل خاص، نلاحظ أن التمركز بقوة على العقيدة، حيث تمثّل محورا أساسيا في دعوته وفي قصصه و في أمثاله و في حواراته، وما نلاحظه كذلك هو حرصه (صلى الله عليه وسلم) على دعوة النّاس إليها وغرسه لها وتعزيزها في قلوبهم وتعليمه (صلى الله عليه وسلم) معالم العقيدة لهم بطريقة واضحة ومناسبة، وللتوضيح نقدّم في هذا السياق ما جاء عن " **أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: يا رسول الله، من أسعد النّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوّلَ منك، لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد النّاس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلّا الله خالصاً من قِبَلِ نفسه**"[2].

يبرز مضمون الخطاب الغاية المقصودة من الإيمان بوحدانية الله وألوهيته بإخلاص القلب واستقامة النيّة، وذلك "أن الإخلاص المقترن بالنطق بكلمة التوحيد، متضمن استشعار العبد لعظمة ربه، وحقيقة وحدانيته، وهذا الاستشعار يأخذ بيده إلى الانطلاق نحو العرفان بالوحدانية بكل صدق وثقة، وكأن العبد واقف أمام ربه يخاطبه، ويعترف له بما في قلبه من صدق التوحيد"[3]. فالمتلقي يدرك هنا كنه الأمر الذي يمكن النفوس المخلصة من تقوية إيمانها بالله تعالى، ويعرف أهميته في حياتيه الدينية.

---

[1]- أنور باز، التفسير التربوي للقرآن الكريم،ج1، دار النشر للجامعات، القاهرة ،2007م، ص29 .

[2]- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، الحديث رقم: (6570)، ص 908.

[3]- عمر الماجد، أدب التخاطب في السنة النبوية قيمة حضارية وبناء للشخصية الإنسانية، المملكة الأردنية، جامعة اليرموك، ص9 .

وفي سياق آخر يأخذ النّبي (صلى الله عليه وسلم) اتجاها تربويا لترسيخ الإيمان في نفس المتعلم، كما جاء في قول: **ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما، فقال:"يا غلام إنّي أعلّمك كلمات: أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، وان اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"** [1].

إنّ المقصد التربوي من هذا الخطاب هو التعليم وتوضيح معالم الإيمان وحقائقه، فقد بيّن الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمتعلم أنّ الله –عز وجل– قريب منه، وأنّه مطلع عليه يسمعه ويستجيب له، ويتولى رزقه ورعايته، بشرط فلا عبادة إلاّ الله، ولا الاستعانة إلاّ به، والتوجه إليه وحده بالسؤال، وذلك حتى يثبت الإيمان في الوجدان وتطمئن القلوب للشعور بمعية الله وفضله وحمايته ورعايته. لأنّه (صلى الله عليه وسلم) خصه بهذه الوصية الّتي هي خطاب لكلّ مسلم من بعده، وليست مقصورة على الصحابي فقط، لذلك ينبغي على كلّ" مربٍ أن لا يترك فرصة ساذجة تمر إلاّ وقد زود الولد بالبراهين الّتي تدل على الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان، وبالصفات الّتي تقوي جانب العقيدة، وهذا الأسلوب فعال في ترسيخ العقيدة في نفوس الصغار"[2]، وهذا يمثل أهم مقاصد التربوية ، وذلك " تأكيد الإيمان بمبادئ الدين الإسلامي، وترسيخ القيم الدينية وتوظيفها في العلاقات الاجتماعية والإنسانية وجعلها معيارا للسلوك"[3].

---

[1]– سنن الترميذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع،ج4، رقم 2516 ، ص285 .

[2]– ينظر: عبد الباري محمد داود، التربية النفسية للطفل، ط1، أتراك للنشر والتوزيع، القاهرة ،2005م، ص431 .

[3]– محمد محمود ساري حمادنة، خالد حسين محمد عبيدات، مفاهيم التدريس في العصر الحديث (طرائق أساليب استراتجيات، ص11.

- ب-تزويد المتعلم بمعلومات جديدة ومفيدة لأداء عمل معين:

لقد اعتمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تبليغ خطابه على الوعظ والتذكير والإرشاد وتوجيه المتلقي إلى حقائق جديدة أو معارف لم يدركها ويألفها سابقا، والّتي من شأنها أن تساعد على تحقيق الغرض التربوي (الإيماني)، ويتجلّى ذلك في المواقف التالية:

من ذلك ما رواه عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبيٌ، فإذا امرأة من السّبي (الأسرى) تحلّب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السّبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النّبي صلى الله عليه وسلم،"أترون هذه طارحة ولدها في النّار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن تَطرحه ؟ فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها" [1].

يشير القصد هنا إلى أهمية معرفة رحمة الله ولطفه بعباده، لأنّها عظيمة وواسعة تفوق رحمة الوالدة بولدها، ولذلك نجد النّبي (صلى الله عليه وسلم) يخبرنا عن هذا الأمر في مشهد تعليمي وواقعي يراه الجميع، فأشار إلى تلك المرأة الّتي رآها في الّسبي تجول فإذا وجدت صبيا أرضعته، ولا شك أن هذه صورة بالغة من شأنها أن تترك أثرا عميقا في النفوس و تعطي أكثر فائدة للمتعلمين في كون الوالدة أرحم أهل الأرض بالولد عادة، ولكنه (صلى الله عليه وسلم) يعلمهم ويذكرهم بأنّه جل جلاله أرحم من الوالدين بأولادهم، وبالتالي يستعمل هذه المقارنة بقصد تقديم معلومات جديدة ومفيدة بصورة جلية تستهدف تثبيت العقيدة في النفوس المؤمنين.

ولنرى هذا أيضًا في المثال الموالي:

[1]- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم 5999، ص727.

فقد روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: أفلا أعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال" قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني"[1].

ومع الاهتمام بشؤون الآخرين وسؤالهم عن أحوالهم، قد تبلورت مقاصد الخطاب صريحة في أنّ النّبي (صلى الله عليه وسلم) شديد الحرص على تقديم ما هو مفيد وجديد للمتعلمين من جهة، وكثير العناية بتوجيههم وتعليمهم ووعظهم من جهة أخرى، ولاسيما في كيفية قضاء حاجاتهم وحل مشكلاتهم وتيسير أمورهم حين يدركهم الضعف والفشل، فلا سبيل ذلك إلاّ باللجوء إلى الدعاء، لأنّه مصدر للرزق والإيمان، و" الرغبة إلى الله عزّ وجلّ، واستدعاء العبد ربّه عزّ وجلّ العناية، واستمداده المعونة"[2]، وقد فعل الرجل ذلك منطلقا من صدق الإيمان وقوة يقينيه المستمدة من الثقة بالله لاستجابة الدعاء، نرى ذلك واضحا بتقرير يؤكّد فيه جانب من جوانب العقيدة الصحيحة. وهذه المقصدية توضح بصورة جلية "أن المعلم المربي مطالب بأن يوفق في آن واحد بين شحن الأذهان وشحذها وترويض الأبدان وتثقيفها، إذ لا يكتفي بنقل المعارف من أصولها إلى أذهان المتعلمين، وإنّما يزيد عليها بتمرينهم على الإتيان بسلوك موافق لمقتضى المعرفة المكتسبة" [3].

---

[1]- أبو داود: السنن، ، كتاب الوتر، باب في الاستعاذة، رقم ح1555، ص361.

[2]- مجموعة من العلماء والدعاة، رسائل من نور، ص166.

[3]- محمد الاوراغي ، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص217 .

ج-تدريب المتعلم على التفكير السليم:

لقد توخى النّبي (صلى الله عليه وسلم) أسلوب التفكير لبلوغ مقاصده أي إيصال المعرفة وتقديم الفائدة، لأنّه يجعل المخاطب أو المتلقي يكشف دلالة الخطاب ومقاصده عن طريق إعمال الفكر والعقل، ويتجلى هذا في "ممارسته (صلى الله عليه وسلم) كمفتاح للمعرفة ، وتنمية القدرات العقلية وشحذ الذهن ، وقدح الذكاء ، وهو ما يبرز تأكيد السنة النبوية لأهمية حب الاستطلاع والمعرفة لدى الناشئين"[1]، ولنتأمل ذلك من خلال المواقف التالية:

عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: " إنّ من الشّجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنّها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟ .قال: فوقع النّاس في شجر البوادي، قال عبد الله : فوقع في نفسي أنّها النّخلة، ثمّ قالوا: حدّثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال: هي النّخلة"[2].

وعلى الرغم من وضوح دلالة الخطاب الّتي أشار إليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في وصفه لخصال المسلم المؤمن الّذي خصه بالنخلة لما تحتويه من فوائد طيبة كثيرة، إلاّ أنّه يناقش هذه المسألة بواسطة التفكير والتدبر نظرا لأهمية ذلك في إحداث التفاعل والمشاركة الايجابية، ففي التعبير بالتمثيل نراه يخاطب عقل المتلقي وقلبه بالخصوص من خلال طرح سؤال عجيب الّذي يتطلب التركيز والانتباه حتى ينمي مهارة التفكير ويتضح المعنى المقصود كما بين **ابن حجر العسقلاني** بقوله : وفي هذا الحديث من الفوائد: امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه، وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة"[3]. وهذا ما دفع المتلقيين إلى التفكير والتدبر.

---

[1]- عبد الحميد الصّيد الزناتي، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية،ص63.

[2]- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدث ، رقم62 ، ص17.

[3]- ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1، ص198-199.

فمن خلال هذا الأسلوب يتضح لنا " أن تعليم التفكير هو بمنزلة تزويد المتعلم بالأدوات الّتي يحتاج إليها حتى يتمكن من التعامل بفاعلية مع أي نوع من المعلومات أو المتغيرات الّتي يأتها بها المتلقي"[1]. ولذلك ينبغي الاهتمام بالتفكير والتدبر ومراعاته لتحقيق الغاية المنشودة.

وفي موضع آخر على لسان زيد بن خالد الجهنيّ أنّه قال:

" **صلّى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصّبح بالحديبية على اثر سماء كانت من اللّيلة – فلمّا انصرف أقبل على النّاس فقال: "هل تدرون، ماذا قال ربّكم؟" . قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال ربكم: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمّا من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب**"[2].

ولا شك أن السؤال المطروح في هذا الصدد بالغ الأهمية على نحو ما إذ يوضح لنا أن المعلم (صلى الله عليه وسلم) قد تعمد إقحام هذا الأسلوب الحكيم وتوجيه كلامه توجيها غير مباشر في ذلك الموقف التربوي حتى يثير تشويق المتعلمين ويهيئ نفوسهم للتلقي ويستحثهم لمتابعة الرسالة، إذ يعدّ هذا الأسلوب "من أنجع وسائل التربية والقدرة على تفعيل قدرات المتلقي وتحريضها على التعلم، ومن أهم الطرائق المفعلة للقدرات وقوى الإدراك"[3]، كما أنّه يهدف إلى تحقيق مقاصد مهمة وردت في هذا الخطاب قوامها تثبيت النفس على الإيمان.

وخلاصة القول، تتجلى السمة التربوية من خلال الأحاديث النّبوية الشريفة وتتمثل في تثبيت أساس العقيدة والعمل، فذلك هو التربية الإيمانية للنفوس وما ينطوي تحتها من سلوك خلقي وروحي وإيماني كريم يدفع بالمتعلم نحو السلوك التربوي الذي يمكنه من تحقيق العبودية التامة لرب العالمين .

---

(1)– جمال محمد شاطر، أساسيات التربية والتعليم الفعّال، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان –الأردن، ص190 .

(2)– صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام النّاس إذا سلّم ، رقم 746 ، ص104 .

(3)– نصار أسعد نصار، طرائق الاتصال التربوي (الاتصال الفكري) دراسة موضوعية في الحديث النّبويّ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، ج27، العدد3، 2011م، ص301.

ثانيا- التربية الأخلاقيّة:

إنّ الأخلاق في أدق تجلياتها ومعانيها تعني المرآة الّتي تعكس صورة الإنسان الظاهرة سواء أكانت صورة حسنة أم قبيحة، وأمّا في جانبها التربوي تشكل أنبل الدّراسات الّتي وصل إليها علماء الإسلام في نطاق التربية والتعليم، وقد أجمع " واتفق على أنه ليس الغرض من التربية والتعليم حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات وتعليمهم من المواد الدراسية ما لم يعلموا، بل الغرض أن نهذب أخلاقهم، ونربي أرواحهم، ونبث فيهم الفضيلة، ونعودهم الآداب السامية، ونعدهم لحياة طاهرة، كلها إخلاص وطهارة، فالغرض الأوّل والأسمى من التربية الإسلامية تهذيب الخلق ، وتربية الروح، وكل درس يجب أن يكون درس الأخلاق، وكل معلم يجب أن يراعي الأخلاق، وكل مؤدب يجب أن يفكر في الأخلاق الدينية قبل كل شيء آخر، والأخلاق الدينية هي الأخلاق المثالية الكاملة، وخلق النبيل عماد التربية في الإسلام" [1]. وفي ظل هذا التوجه التربوي يقودنا الحديث مباشرة عن أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) العظيمة ومساهمته الفعالة في تحقيق هذا الجانب من خلال التركيز على الآداب العامّة والأخلاق المحمودة، وهذا ما نلمسه أيضا من خلال منهاجه المبين بقوله :" **إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**"[2]، إذ نستنتج من الرسالة أنّ الأخلاق تمثل جزءا أساسيا من بعثته سواء أكان على الصعيد الديني أم التربوي، وهي كفيلة بأن تظهر لنا دوره الكبير في إحداث عملية التربية الأخلاقية، وأما أولى هذه المقاصد :

-أ-تهذيب سلوك المتعلم وتقويمه:

يبدو أن أهمّ مقصد يصادفنا في هذا الخطاب هو تهذيب وتقويم السلوك، حيث أولاه (صلى الله عليه وسلم) اهتماما خاصا بعد العقيدة على اعتباره السبيل الأمثل للتربية الأخلاقية، ومن الشواهد في هذا الموضع نذكر منها حواره صلى الله عليه وسلم مع الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي الذي قال:

---

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي، الإسلام وتربية الشباب، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص12 .

[2]- مسند الإمام احمد، حديث أبو هريرة، رقم8939.

" بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أُمِّيَّاه ما شأنكم؟ تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلمّا رأيتهم يصمتونني لكني سكتّ، فلمّا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمّي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: " إنّ هذه الصّلاة لا يصلح فيها شيء من كلام النّاس، إنّما هو التّسبيح والتّكبير وقراءة القرآن"[1] .

إنّ ما يعزز هذا الموقف هو طريقة تعليمه (صلى الله عليه وسلم) للنّاس الّتي تتجلى من خلالها وسيلة تربوية محببة إلى النفس وناجعة لتوجيه المتعلم وإرشاده متمثّلة في عبارته (صلى الله عليه وسلم) اللطيفة والّتي احتوت على اليسر والرفق والسماحة ، فالغاية الأساسية من ذلك هو الرغبة في تهذيب سلوك المتعلم بأسلوب لطيف وبمظهر رحيم وحليم يعكس أدب التخاطب.

وللرفق والسماحة دور مهم في التواصل من حيث قدرته على استمالة نفوس المتعلمين واستثارة عواطفهم، ولّما كان الأمر كذلك، " استلزم الأمر عند اختيار هؤلاء المعلمين والقادة أن تتوفر فيهم عدة معايير يكون من ضمنها "معيار الرحمة والتسامح" لأنه يمثل جزءا أساسيا من العملية التربوية، فإن العاملين في مهنة التعليم يتعاملون مع النشء الصغار وهم في أمسّ الحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويوجههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم بالرفق والرحمة والتسامح"[2]. والبحث عن العذر قبل اللوم، وعدم التقليل من قيمة أي تلميذ بالكلام الجارح، ونشدان التبسيط المرغّب في موصلة التعليم، وليس التعقيد المنفّر في المادة والمدرسة، ومخاطبة المقصّر خطاب العقلاء المقنع، وليس خطاب المنحرفين القامع، وأن يُقرّ المتعلمين كلاّ على طريقته في اكتساب المعرفة وصياغة السلوك، فالعبرة بالنتائج، إذ تحقيق الهدف بانتهاج طريق أطول خير من الوقوف دونه إتباع طريق أقصر، و الجمع بين

---

[1]– صحيح مسلم، باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما كان من إباحته، رقم 537، ص163 .

[2]– علي راشد، شخصية المعلم وأداؤه في ضوء التوجهات الإسلامية في التربية نحو تأصيل إسلامي للتربية، ص32.

الحسنيين أفضل. ودفعا للتطويل على المعلم المربي أن يكون القدوة في كل صغيرة وكبيرة"[1].

وفي سياق الحديث عن تهذيب السلوك نسوق أيضًا النموذج الموالي لابن مسعود الذي يقول فيه: " **أنّه كان يجتني سواكا من الأراك، وكان دقيق السّاقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون، قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحدٍ**"[2].

ففي هذا المثال يبدو أنّ ثمة سلوكا سلبيا لم يرض عنه (صلى الله عليه وسلم) حينما سخر الصحابة رضوان الله عليهم من ابن مسعود، فحاول إصلاح سلوك المتعلمين على النحو يضمن تغيير السلوك ويحقق الغاية المرجوة، موضحا بذلك أن الله لا ينظر إلى الصور، وإنما ينظر إلى الأعمال والقلوب مثل ابن مسعود رضي الله عنه يوم القيامة فإن وزن ساقيه تثقلان على جبل أحد، وما كان ثقلاهما إلا بسبب فعل صاحبهما من الحسنات الكثيرة الّتي بسببها فاقت وزن جبل كامل.

ففي الوقت الّذي يبلغ فيه هذا المعنى المقصود نجد أن في تذكير المتعلمين بعظمة الأفعال النافعة الصالحة لدنيا والآخرة الّتي تدخل إلى الجنة رغبةً في ترقية إلى ذروة السمُوِّ الإنساني حين يجعل أساس الثواب والعقاب للنّاس مرتكزاً على نواياهم وأعمالهم لا على ظواهرهم.

ب- تطوير سلوك المتعلم وتغيير اتجاهاته:

لقد طرح الخطاب النّبوي من خلال معالمه التربوية مقصدا واضحا يدفع المتعلم إلى السلوك الأخلاقي المثالي، ذلك أنّ الهدف من خطابه ليس مجرد إيصال أفكار معينة إلى المتلقي، ولكن المقصود هو نقل مواعظ ونصائح إلى المتلقين رغبة في توجيههم وتغيير

---

[1]-محمد الاوراغي ، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، لبنان،الجزائر، ط1 ، م2010، ص.219

[2]- مسند الإمام احمد، حديث علي بن أبي طالب، ج 2، رقم 920، ص244.

عاداتهم وسائر أحولهم، ولاسيما تغيير اتجاهاتهم وتطوير سلوكهم. ويمكن أن نعلل هذا من خلال النموذج التّالي :

عن أنس بن مالك –رضي الله عنهما–يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النّبي صلى الله عليه وسلم ، يسألون عن عبادة النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فلمّا أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أما أنا فإنّي أصلّي اللّيل أبدا، وقال آخرُ : أنا أصوم الدّهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي"[1].

والناظر لمضمون الخطاب في هذه المواقف يجدها في حقيقة الأمر درس تربوي ثري في كيفية التعامل مع أمور الدّين والدنيا، فجاء الخطاب موجهًا لهؤلاء الشباب الذين يؤمنون بالله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، ولكنهم يودون الغلو والإكثار من العبادات بمجاوزة ما حد المنهج النّبوي القويم، " فلم يترك الشباب يفعلون مع أنهم في عبادة، وزيادة العبادة تقربهم من الله، ولكن حماس الشباب دعاهم إلى تكليف أنفسهم ما لا يطيقون فوجههم الرسول صلى الله عليه وسلم لما فيه صلاحهم"[2]، فهو يطالبهم بأن يكونوا متساهلين غير متشددين مع كلّ التكاليف والفرائض، ويحذرهم من إتّباع مسالك منافية للواقع كالمبالغة والتشدّد والتعسير خوفًا من إرهاق البدن وإتعاب صاحبه... وهذا سيؤدّي حتما إلى تنفير النّاس من الدّين.

ومن هنا نستخلص الغاية المنشودة بما فيها الآليات المصاحبة للخطاب التربوي كالتوجيه والتحذير الّتي قد ترمي إلى إحداث سلوك جديد يوازن بين العقل والروح والجسم، ذلك أن تغيير سلوك المتعلمين وتجديد رؤيتهم من شأنه أن يحقق مناط الحياة وفق الشريعة

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم5063 ، ص630 .

[2]– سليمان بن قاسم العيد، المنهاج النّبوي في دعوة الشباب، ط2، الرياض، 1433هـ–2012م، ص131.

الإسلامية وبحسب قدراتهم واستعداداتهم على أساس هدف نبيل للتربية الأخلاقية غايتها الاعتدال والتوازن بين الأمرين الرغبات الدنيوية والمتطلبات الدينية.

وفي سياق مشابه يندرج في المقصد نفسه **عن أبي أمامة رضي الله عنه قال:" قال رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) " يا ابن آدم إنّك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شرّ لك، ولا تُلام على كفافٍ، وابدأ بمن تعولُ واليد العليا خير من اليد السفلى**"[1].

وأوّل ما يلاحظ على هذا المثال أنّ توجيهات النّبي (صلى الله عليه وسلم) بديهية تحمل في طياتها قيما أخلاقية واجتماعية لتوجيه المتعلمين أو تغيير سلوكهم، فتدفع " الغني إلى السموّ ببذل فضل والفقير إلى القناعة والتعفف بكراهية السؤال والتطلع إلى النّوال "[2]، مستعملا آلية أخرى من آليات التربية والتعليم ، بحيث تعتمد الطريقة فيها على التدريج إزاء تتابع عرض النصائح إلى أن يصل إلى هدفه التوجيهي وغرضه التربوي وليرتقي بالمسلم من مرحلة التواكل أو التكاسل إلى مرحلة الجدّ والاجتهاد، ومن نظرة التراخي إلى نظرة الحزم والعمل، وإذا أردنا أن نوضح التدرج الوارد في الخطاب ، فإننا نجده كالتالي:

-إنّك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شرّ لك ⟸ إبراز أن إنفاق المال ما زاد عن حاجة الإنسان فهو خير له ، وإن أمسكه فهو شر له.

-ولا تُلام على كفافٍ ⟸ بيان أن ما زاد على ما تدعو إليه حاجة الإنسان لنفسه ولمن يمونه من زوجة، وعبد، ودابة، وقريب؛ فلا يلام على إمساك ما يكف به الحاجة لذلك.

-وابدأ بمن تعولُ ⟸ توضيح "أن العيال والقرابة أحق من الأجانب"[3].

-واليد العليا خير من اليد السفلى ⟸ بيان أنّ اليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة ، وأفضلهما اليد الّتي تبذل جهداً و تقدّم عملاً.

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان ان اليد العليا خير من اليد السفلى وان اليد العليا هي المنفقة وان السفلى هي الأخذة ، رقم1036 ،ص310.

[2]-أبو عبد الرحمن عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية ، ص261 .

[3]- شرح النووي على مسلم، كتاب الزكاة،ج7،بيان أن اليد العليا خير من السفلى، ص127 .

وهكذا تكمن أهمية التّواصل التربوي من خلال هذا الموقف في كونه نشاطا يعتمد على تحقيق أهداف معينة كتعديل السلوك أو تغييره أو تجديده، ويحدث ذلك نتيجة استخدام وظيفة تدريج المعلومات في مخاطبة المتعلمين تبعا لاختلاف مستواهم العقلي. وفي هذا الصدد أشار **ابن خلدون** في **مقدمته** إلى قيمتها وعلاقتها بالتعليم قائلا :" إنّ تلقين العلوم للمتعلمين، إنّما يكون مفيدًا إذا كان على التّدريج شيئًا فشيئًا وقليلاً قليلاً، يلقى عليه أوّلا مسائل من كل باب من الفنّ، هي أصول ذلك الباب، ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتّى ينتهي إلى آخر الفنّ وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم"[1].

ومما لا يخفي علينا بخصوص هذه الطريقة وفاعليتها في تبليغ المقاصد التربوية للمتعلمين، فإنّنا نحتاج إلى استثمارها في إطار العملية التعليمية وعملا بسنة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فالتلميذ كما نعلم كلما تلقى المعلومة شيئا فشيئا ويتدرج من الأهم إلى المهم، كلما يستوعبها أكثر ويدرك مقصود، " والتدرج من السهل إلى أقل سهولة أمر طبيعي وضروري في عملية التعلم، إذ يرتقي المتعلم في اكتساب مهاراته اللغوية من العناصر اللّغوية الّتي يسهل عليه استيعابها واستعمالها"[2]، فأسلوب التدريج إذن يسهم في إثراء الجانب التربوي والتعليمي للعملية التواصلية.

ج-توجيه المتعلم على الأسس القويمة والمبادئ السليمة:

يهتم هذا النوع من المقاصد كما تسوق أغراض الخطاب النّبوي بدعوة النّاس إلى الأخلاق المحمودة ونبذ الصفات المذمومة، وبيان ما لذلك من آثار وعواقب على التخلق بكل واحد منها، وبذلك اكتسب خطابه بعدًا تربويًا الذي يكون الغرض منه هو نشر القيم والأخلاق الفاضلة، ومحاولة إصلاح سلوك الفرد والمجتمع، وبهذا تكون أرائه وأساليبه الرامية

---

(1)- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، ص533 .

(2)- أحمد حساني، دارسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص145.

عنونا لمنهجه المبين وهو توجيه المتعلم على الأسس القويمة والمبادئ السليمة. وهذا الكلام ينطبق على الحديث التالي:

عَن جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ إِنَّ مِن أَحَبِّكُم إِلَيَّ وَأَقرَبِكُم مِنِّي مَجلِسًا يَومَ القِيامَةِ :أَحَاسِنَكُم أَخلَاقًا، وَإِنَّ أَبغَضَكُم إِلَيَّ وَأَبعَدَكُم مِنِّي مَجلِسًا يَومَ القِيَامَةِ :الثَّرثَارُونَ، والمتشدقون[1]، وَالمُتَفَيهِقُونَ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّٰهِ، قَد عَلِمنَا الثَّرثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا المُتَفَيهِقُونَ؟قَالَ: "المُتَكَبِّرُونَ[2]."

نستشف من خلال هذا النص مواعظ ونصائح مهمة جدا ووفق أسلوب واضح يقوم على الترغيب والترهيب نلمسه من ثنايا الخطاب من خلال إبراز أهمية الأخلاق الحسنة بالإشارة إلى منزلتها ومكانتها، حيث ذكر النبيّ (صلى الله عليه وسلم) أن أقرب النّاس منه مجلسًا يوم القيامة وأحبّهم إليه، أحسنهم أخلاقا ، ولعلّ هذا ما يعكس رغبة المعلم (صلى الله عليه وسلم) في التربية الأخلاقية حين دعا المتلقي إلى تبني مجموعة من الأفعال ينبغي أن نقف عندها كما يلي:

- إدراك أهمية التمسك بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.
- التزام الكلام الطيب وفعل الحسن.
- أن يتجنب الكلام الزائد والثرثرة.
- التحذير من الأخلاق السيئة، ووجوب التحلى بحسن الخلق لأنّه من أكثر ما يدخل النّاس الجنة.

---

[1]– الثرثار: كثير الكلام. قال ابن منظور: (الثرثرة في الكلام: الكثرة والترديد، وفي الأكل: الإكثار في تخليط). انظر لسان العرب: (102/4) مادة: (ثرر). والمتشدِّق: الشدق: جانب الفم من باطن الخدين. والمتشدق: الذي يلوي شدقه للتَّفصُّح. ورجل أشدق، إذا كان متفوّهاً ذا بيان، يريد المتوسِّعين في الكلام من غير احتياط واحتراز. وقيل هم المستهزئون بالناس. انظر: المعجم المفصل في تفسير غريب الحديث. د. محمد التونجي: (187).

[2]– سنن الترميذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث 2018 ، ص335 .

وإذا كانت غاية التربية النّبوية هي توجيه المتعلم على الأسس القويمة والمبادئ السليمة الّتي يقتضيها العقل والوجدان، فإنّ ذلك يبرز أهمية النصح والتناصح بين النّاس وهو ما يمكن أن نطلق عليه بالخطاب الوعظي، حيث يكون الغرض منه هو نشر القيم المهمة والأخلاق الفاضلة، ومحاولة إصلاح سلوك الفرد والمجتمع، وهذا ما دعا إليه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في موضع آخر قائلا: " **الدّين نصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم**"[1]. فقد " ظهر من الحديث وجوب التناصح بين المسلمين في جميع الجوانب الدينية والدنيوية، ففي الأمور الدينية يجب النصح لله، ولكتابه، ولرسوله، وفي الأمور الدنيوية يجب النصح لأئمة المسلمين وعامتهم، مما يشمل جميع أفراد المجتمع"[2].

ومن هذا المنطلق فإنّ تكوين ثقافة إسلامية في ذهن كلّ مسلم ليعتبر حقًا شرعيا من حقوق الصغار على الكبار والأميين على المتعلمين، وواجبًا على المجتمع كافّةً والمدرسة خاصة، ولا حاجة إلى تذكير بأن التنشئة على الإسلام لا تحصل دفعة واحدة وبدون توزيع منتظم للمضمون المستهدف بالمتلقين، بدءًا بالأبسط فالبسيط إلى المعقد فالأعقد، تبعا لتدرج الأعمار وسيرًا نحو أهداف مضبوطة سلفا، و أخيرًا المعلمين المكلّفين بتبليغ المضامين التربوية واضحة إلى المتعلمين، وتثبيتها في الأذهان ، وتمرين الأبدان على التصرُّف بمقتضاها"[3]، يعني وجوب الاهتمام بالتربية الأخلاقية وتدريسها في مدارسنا لأنّها بمثابة الأساس الذي يقوم عليه أي فعل إنساني .

وبعد الحديث عن التربية الأخلاقية الّتي ساهمت في تحقيق منهج واقعي أحدث أعظم تغيير عرفته البشرية، لنتطرق إلى الحديث عن التربية النفسية الّتي تمثل عنصرًا مهما في التربية النبوية.

---

[1]– صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب بيان ان الدين النصيحة ، رقم 55، ص33 .

[2]– مجموعة من العلماء والدعاة، رسائل من النور، ص166.

[3]-محمد الاوراغي ، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص214.

ثالثا- التربية النفسيّة:

لا ريب أنّ التربية ألقت بظلالها على البعد النفسي في توجيه الفرد وتقويم سلوكه، ومعنى ذلك أنّ التربية " لا تعني الاهتمام بالجانب الجسمي من الإنسان أو العقلي أو الخُلقي فحسب، بل ترعى وتهتم بجميع ما في الإنسان من قوى وطاقات يمكن ترقيتها ورفع من مستواها إلى أفضل حد"[1]. ولكن مصدر هذا الاهتمام لاسيما في الثقافة الغربية يعود إلى المربي الأول (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يركّز في أثناء تواصله مع الآخرين على الجانب العاطفي والوجداني، من حيث إدراكه لأثره الكبير في إحداث التفاعل واستقطاب النفوس، ومن حيث تطبيقه للمنهج الذي سطره القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)** [2]، وعلى هذا الأساس زادت العناية بالعواطف وانفعالات والحالة النفسية المصاحبة للمخاطب قصد تطهير نفس المتلقي، وإشباع حاجاته الوجدانية كحاجته إلى التحفيز والرفع من معنوياته وحاجته إلى السعادة وترويح النفس وحاجته إلى الأمل ونبذ اليأس والقنوط إلى غيرها من الحاجات النفسية الّتي تسمو بالنفس وتزكيها، وترفع منزلتها، وتمنحها السعادة والفوز في الدارين. وهنا أريد أن أسلط الضوء بجزء من التربية النفسية على مجموعة من المقاصد الواردة في الخطاب النّبوي، أولها وأهمها

أ- تزكية النفس وتطهيرها والسمو بها:

يتمحور هذا المقصد التربوي حول تطهير النفس من الشَكّ والشرك، والفواحش والرذائل، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن تزكية النفس هي "تطهير النفوس وإصلاحها بالعلم النافع، والعمل الصالح، فعل المأمورات وترك المنهيات"[3]، ويتجلّى ازدياد العناية بتطهير النفس في كثير من الأقوال الواردة في الخطاب النّبوي، نوضح ذلك:

---

[1]- طه عبد الله ، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ص66

[2]- سورة الرعد، الأية :11.

[3]- ابن تيمية، مجموع فتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف ، المدينة المنورة ، ط1، 2004م، ج10، ص97.

عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لمّا أفاء[1] الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، قسم في النّاس في المؤلّفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنّهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب النّاس، فخطبهم فقال:" يا معشر الأنصار الم أجدكم ضُلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرّقين فألفكم الله بي، وكنتم عالة، فأغناكم الله بي." كلّما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمنّ. قال:" ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟." قال: كلّما قال شيئا، قالوا: الله ورسوله أمنّ. قال:" لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا. أترضون أن يذهب النّاس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنّبيّ صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك النّاس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها الأنصار شعارٌ، والنّاس دثارٌ، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[2].

نستشعر إزاء هذا الموقف في مخاطبة جماعة الأنصار أن النّبي (صلى الله عليه وسلم) أدرك كنه البلاغ، واطلع على ما يدور في ذهن الأنصار وكشف وضعيتهم النفسية حينما بلغه أنهم غاضبون بسبب تقسيم الفيء، لذلك اتجه اهتمامه (صلى الله عليه وسلم) إلى صياغة أسلوب التفكير مما قد يضفي على الخطاب جوا من الحيوية والنشاط من أجل تحريك النفوس، فراح يذكرهم بالفضائل والنعم الوفيرة الّتي اختصهم بها والّتي يغفل عنها كثير من صحابته ولا ينتبهون إليها على سبيل المدح والثناء حتى يمكّن المتلقين من التأمل والتفكير الايجابي الذي يريح النفوس ويهذبها ويقومها عن تلك الظنون والشكوك والوساوس الّتي تدفع الإنسان إلى الزلل والانحراف على المستوى العقيدة والسلوك.

ومن الأخطاء الّتي يقع فيها كثير من المعلمين اليوم، أنهم –نادرًا– ما يعزّزون السلوك المقبول، في حين يركّزون على سلبيات المتعلمين، فيتصيّدون أخطاءهم، وبذلك يساهمون

---

[1] – أفاء: أعطاه الغنائم، صحيح البخاري، ص1574.

[2]– صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة طائف، رقم4330،ص520 .

في تطوير الطلبة لاتجاهات سلبية نحوهم"[1]. إذن، فلا يجوز توبيخهم ولا النقص من قيمتهم ولا يعرضهم لأذى مهما كان نوعه ومصدره.

يتضح لنا مما تقدّم أن لهذا الجانب التربوي أثرا فعالا في ارتقاء النفوس وتطورها إلى الدرجة تغيير موقفهم والعودة إلى موكبهم، وذلك من خلال الإلقاء على مسامعهم بلاغا تربويا نيرا أخذا بعين الاعتبار التركيز على بعض الأنماط السلوكية الايجابية الصادرة عن المتعلم وما صحبها من لوم وعتاب كان تأثيرها على نفوس أصحابه أعظم وأبعدا غورا، فحدث تغييرا في فكرهم وعقولهم وسلوكهم، ولذلك استحق أن يكون بذلك خطابا مرموقا في تاريخ الإسلامي .

ومن بين أهمّ المظاهر التربية النفسية الّتي نجدها كذلك في الخطاب النّبوي تربية المتعلمين على ضبط النفوس عند الغضب والقدرة على كظم الغيظ لما تتلقاه من المكاره والشدائد ، ويبدو ذلك جليا في هذا المثال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم "أوصيني". قال: "لا تغضب" فردّد مرارًا، قال: " لا تغضب"[2].

نود الإشارة إلى أنّ هناك جوانب مهمة ساهمت في استقصاء المقصود من الخطاب، والّتي تدل على أنّ ظاهرة الغضب لا تقتصر على البعد الديني كما يتبادر إلى الذهن ، بل ثمة بعدا تربويا يولي أهمية كبيرة لتهذيب النفس البشرية وتقويمها عن طريق التحذير من سرعة الغضب والانفعال الشديد وعدم الاستجابة له، فجاء التوجيه النّبوي الكريم ملائما لحالة المتعلم ومناسبا لمقام التعليم، إذ أن " قوله **(لا تغضب)** إنّما قال (صلى الله عليه وسلم): لا تغضب، لأنّه كان مكاشفا بأوضاع الخلق فيأمرهم بما هو الأولى بهم، ولعل الرجل كان غضوبا فوصاه بتركه...وقال الخطابي: معنى لا تغضب ، لا تتعرض لأسباب الغضب

---

[1]– محمود خليل أبو دف، الاتصال التربوي في السنة النبوية، ص28.

[2]– صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم6116، ص739 .

وللأمور الّتي تجلب الغضب مطبوع في الإنسان لا يمكن إخراجه من جبلته، أو معناه: لا تفعل ما بأمرك به الغضب ويحملك عليه من الأقوال والأفعال"[1].

وهكذا يغدو هذا الأمر خطيرا للغاية حينما يخرج عن نطاق التربية النّبوية وأهدافها السامية الّتي اختصرت هذا كله في وصية واحدة وهي تربية النفس على تجنب الغضب وكظم الغيظ، غير أنّ التحكم في النفس والعاطفة يتطلب إرادة صارمة وعزيمة قوية، وهذه الدرجة لا يصل إليها إلا ذوي النفوس العالية ، استنادًا للحديث النّبوي التالي:

كما جاء في حديث معاذ بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي حور شاء"[2].

نلمح من هذا القول تنبيها يبرز اهتمامه وحرصه (صلى الله عليه وسلم) على تشجيع المسلم على التحكم في انفعالات الشديدة للنفس وتغلب على شيطانه وثورانه وغضبه بغية نيل المكانة العالية الّتي أعدها الله تعالى لهذه النفوس الّتي اتخذت من كظم الغيظ سبيلا موصولة لجنات النعيم، لذلك ينبغي عليه أن يتجاوز هذه الحالة النفسية بالارتقاء إلى مستوى أرفع وحمل النفس على الصبر وكظم الغيظ ومحاولة العمل بوصية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وما إلى ذلك من مواعظه وإرشاده. وهذا يعني " إنّ الاهتمام بالجانب النفسي للمتعلم يؤدّي إلى إشباع حاجاته النفسية بطرق صحيحة، مثل إشباع الحاجة إلى الحب والقبول والتملك وحب الظهور وحب الاستطلاع والنجاح وتقدير الآخرين وغيرها، إشباعا صحيحا فتطمئن نفسه وتبتعد عن المخاوف والقلق ويبث فيها الإيمان، فينشأ المتعلم متمتعا بالصحة النفسية السليمة بعيدا عن كل ما يمس هذه الصحة النفسية من نقص أو أمراض مثل الغضب الحاد ، والحقد ، والحسد ، والقلق..."[3] ، وهذا الجانب مهم جدا في مجال التعليم،

---

[1]- عمدة القارئ،ج22 ، ص 256.

[2]- سنن الترمذي، ج4، رقم2493، ص656 .

[3]- علي راشد، شخصية المعلم وأداؤه في ضوء التوجهات الإسلامية في التربية نحو تأصيل إسلامي للتربية، ص40 .

إذ ينبغي للمدرس أن يعتني بهاته الظواهر النفسية للمتعلم باعتباره دعامة العملية التعليمية والتربوية.

ب-التحفيز والرفع من معنويات المتعلم :

ولقد حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) في اتصاله التربوي على تشجيع أصحابه رضوان الله عليهم، وقد كانت آثار هذا التحفيز النبوي بادية واضحة في سيرته. ومن أبرز الأمثلة في هذا المنحى ما تدل عليه النماذج التالية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «من أصبح منكم اليوم صائما؟ "قال أبو بكر: أنا.قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟".قال أبو بكر : أنا.

قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكينا". قال أبو بكر: أنا. قال: "فمن عاد منكم مريضًا".قال: أبو بكر: أنا.فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما اجتمعن في امرئ إلّا دخل الجنّة"[1].

يبدو واضحا هنا أنّ النّبي (صلى الله عليه وسلم) قد زاوج ما بين الغرض الديني والغرض التربوي إزاء هذا التحاور الفعال لتحقيق الغاية المرجوة، ممّا يجعله مميزا عن باقي الخطابات الملازمة للمثيرات والحوافز، ويتجلى ذلك بشكل لافت في الدعامات المعنوية المفيدة، وهذا ما نستشفه في قوله: " **ما اجتمعن في امرئ إلّا دخل الجنّة**". والّتي تعين على شحن المتعلّمين و إثارة أذهانهم حتى ينتبه الجميع ويعي مكنونات الخطاب الجليلة لإدراك ما يحفزهم للدخول إلى الجنة.

ونقرأ ذلك واضحا أيضا في تعامله مع الأشعريين حينما رآهم متآخين ومتساندين في وقت الأزمات كأنهم أسرة واحدة ، في الحديث الذي رواه أبو موسى رضي الله عنه قال: **قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم:" إنّ الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما عندهم في ثوب واحد بالسوية، فهم منّي وأنا منهم"**[2].

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه،1028رقم، ص308 .

[2]- صحيح البخاري، كتاب الشّركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، رقم2486، ص 296 .

تتجلى الفائدة الأولى لهذا الخطاب في مغزاها ومؤداها من خلال مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلّم، ونواياه ، إذ أراد أن يشجع المسلمين و يلفت أنظارهم إلى جودة أفعال الخير ومزاياها المادية والمعنوية ومرتبتها الجليلة الّتي تربي في نفس المؤمن روح التعاون والتكافل والتساند بين المسلمين لينتفع بها الجميع في الدنيا والآخرة .

يعدّ هذا من أهم آليات التواصل الّتي استقطبت قلوب المسلمين واستثارت عقولهم من خلال ترداده لمحاسن الأعمال والأفعال الصالحة على سبيل المدح والثناء الّتي تعلي من قدر صاحبها وتدفعه وتثيره ليزيد محصوله وكفاءته من جميع المعارف والمعتقدات والأعمال، ولعلّ ذلك ما يعكس تحقيق رغبات وأهداف ذات فائدة تعود على المعلم والمتعلم . ويمكن تمثيل ذلك كما يلي:

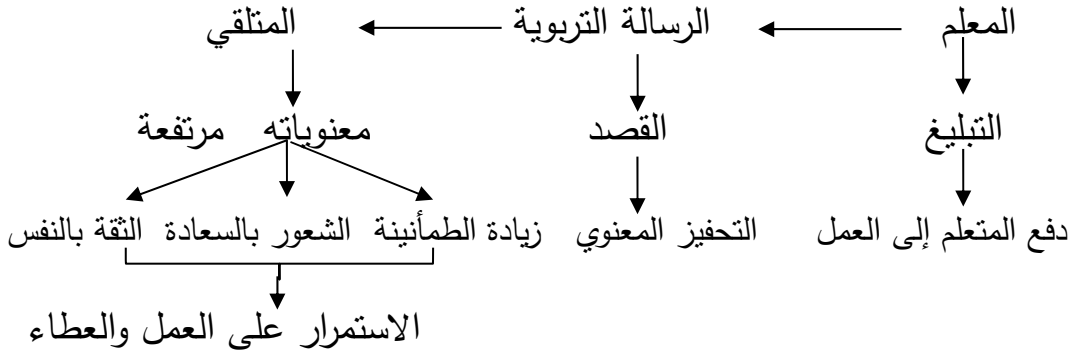

وبطبيعة الحال فإن التحفيز ليس مجرّد مجاملة وملاطفة أسلوبية، إنّما هو أيضا ضرورة نفسية ووسيلة تربوية ناجعة، لتعليم النّاس وتحفيزهم للاستمرار على العمل، واستنهاض همم المتعلمين لتحقيق الغاية المنشودة، وهذا الدافع أو الحافز هو " القوة المحركة والموجهة في نفس الوقت فهي تثير السلوك إلى غاية أو هدف يرضيه، ولو أعيق الدافع عن البلوغ هدفه ظل الفرد في حالة قلق وتوتر، لأنّ الدافع ذو وجهين: وجه داخلي محرك ووجه خارجي هو الغاية أو الهدف الّذي يبدو في السلوك الصادر عن الدافع...ويطلق العلماء على الوجه الداخلي من الدافع مفهوم الحافز"[1]. لذلك فلابد أن ينتبه المربى لمثل هذه الأمور ويعتني بها، كما ينبغي أن يحرص على استخدام هذا الأسلوب أثناء تأدية الرسالة

[1]- ينظر: محمد إسماعيل عمران، حمد بليه حمد العجمي ،أسس علم النفس التربوي- رؤية تربوية إسلامية معاصرة، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت ،2005م،1425هـ، ص78.

التربوية الذي يندرج فيما يسمى بالمحفيزات الايجابية، وفي ذلك " تحفيز للعمل وتدعيم لاستمرارية النشاط، والتحفيز يشجع المتعلم على استمرار اتصاله بالمعرفة مهما كان نوعها ومصدرها، ويسعى في نفس الوقت إلى تعميق نظرته للموضوع وتوسيع معارفه، وفي ذلك رفع لمستوى المتعلم التحصيلي"[1].

ج- إدخال السرور في نفس المتلقي:

تشير أغلبية الأحاديث إلى أنّ النّبي (صلى الله عليه وسلم) اهتمّ بمسألة إدخال السرور إلى قلوب الآخرين لما لها من فضل عظيم، ف" كان مع وقاره دعابة لطيفة يتعهد بها أصحابه بين الحين والحين لإدخال السرور عليهم، وتطييب قلوبهم، وغرس المحبة في نفوسهم، وكان لا يحدث حديثا إلاّ تبسم، وكان من اضحك النّاس وأطيبهم نفسا"[2]، وندعم هذا المسعى بما أشار إليه أحد الباحثين التربويين إلى أثر الدعابة الايجابي على المتعلم، والذي يتمثل في إزالة الملل العالق بنفسه، نتيجة تعرّضه للهموم والأحزان في حياته، كما أنّها تبعث على النشاط والمرح لديه"[3]، وفي هذا المقام نقدم هذا المثال:

وتروي عائشة رضي الله عنها أن : **فاطمة أقبلتْ تمشي، كأنّ مشيتها مشيُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: " مرحبا بابنتي "، ثم أجلسها عن يمينهِ أو عن شمالهِ. ثمّ أسرَّ إليها حديثًا، فبكتْ. فقالتُ لها: (لم تبكينَ). ثمّ أسرّ إليها حديثًا، فضحكتْ. فقلتُ: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزنٍ، فسألتُهَا عمّا قال. فقالتْ: ما كنت لأُفشي سرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتّى قبض النّبيّ صلى الله عليه وسلم فسألتها. فقالت: أسرَّ إليَّ فقال:" إنّ جبريل كان يُعارضني القرآن كلَّ سنةٍ مرَّةً، وإنّه عارضني العام مرَّتين، ولا أراه إلاّ حَضَرَ أجلي، وإنّكِ أوَّلُ أهل بيتي لحاقًا بي"، فبكيتُ . فقال: " أما ترضينَ أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنّة- أو نساء المؤمنين- فضحكتُ لذلك**"[4].

---

[1]-عسوس محمد ، مقاربة التعليم والتعلم بالكفاءات، ص135.

[2]- نزار أباظة، شخصية الرسول صلى لله عليه وسلم، ص115.

[3]- محمود خليل أبو دف، الاتصال التربوي في السّنّة النبوية -دراسة تحليلية- ، ص33 .

[4]- صحيح البخاري، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم 3623، ص 437.

تبرز ترجمة هذا الموقف المفعم بكثير من المشاعر والانفعالات طبيعة اهتمام المخاطب بالجانب النفسي للأخريين نتيجة تجسيد مشاعر المتلقي إلى صور ومشاهد تنفعل لها الحواس انفعالا عميقا ، ونرى ذلك واضحا من خلال خصوصية هذا الخطاب الّتي تحيل إلى غايتين أساسيين:

1- **الإخبار** ← إعلامه بقرب أجله وأنها أول لوحقا به← شعرت بالقلق والخوف والحزن = بكت ←انفعال مؤقت.

2- **البشارة** ←إعلامه لها أنها سيدة نساء أهل الجنة ←أحست بسرور عظيم أنساها مصابها = ضحكت انفعال←لا نهائيّ.

عكست هاتان الغايتان علاقة النّبي (صلى الله عليه وسلم) الوجدانية والعاطفية بأقاربه، وحملت في طياتها أبعادا تربوية تحقق هدف سامي ومقصد رفيع من خلال بشارته (صلى الله عليه وسلم) بما يسرهاّ ، إذن، فهو لم يرسم معالم العقيدة للترغيب بدار الآخرة والزهد في الدنيا فحسب، بل رسم أيضًا البسمة على الوجوه وصنع البهجة على النفوس وأدخل السرور على قلوب المتلقين ليشاركوه سعادة الدنيا والآخرة.

د-تنمية روح التنافس الشريف بين المتعلمين:

لقد دفعت الرغبة في الخير والنفع من خلال أبوابه المتعدّدة إلى الحث على التنافس في العمل الصالح، والتسابق في البذل والعطاء بحسب القدرات والاستعدادات المتنافس ، نذكر في هذا السياق ما قام به فقراء المهاجرين أن ناساً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالوا للنبي (صلى الله عليه وسلم) : **يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال : {أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؛ إنّ بكلّ تسبيحة صدقة، وكلّ تكبيرة صدقة، وكلّ تحميدة صدقة، وكلّ تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة...."**[1].

[1]- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان ان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم 1006،ص302 .

ليس غرض الفقراء من وراء هذه الشكوى حسدا للأغنياء على ما منحهم الله تعالى من فضله أو الاعتراض على ما قضاه وقدره، ولكن القصد منها لعلهم يجدون أعمالا يقومون بها تقابل ما يفعله أصحاب الأموال الكثيرة (أهل الدّثور) من صدقة وكرم وعطاء في سبيل الله الذي لا يجدونه، وجاء ردّ النّبي صلى الله عليه وسلم للمخاطبين أن يكثروا من ذكر الله وتحميده وتسبيحه ليكون حافزا لهم وللأمة جمعاء لينالوا بذلك الأجور العظيمة والدرجات الرفيعة، وتفصيلها على النحو التالي:

-التسبيح ⟵ سبحان الله (33 مرة)
-التحميد ⟵ الحمد لله(33 مرة)
-التكبير ⟵ الله أكبر(33مرة)

كلمات تقال دبر كل صلاة = الصدقة القولية ⟵ تنال الأجر الكثير

وهكذا بيَّن الرسول (صلى لله عليه وسلم) أن سبيل التنافس والتسابق ينحصر في فعل الخيرات الَّتي تكسب رضا الله، أي بالمزايا التنافسية، فراح الفقراء بهذه الهبة، فكانوا إليها مسارعين متسابقين، وقاموا إليها مبادرين، فكانوا دبر كل صلاة لهم دويّ بالتسبيح والتحميد والتكبير، وهنا نشير إلى ضرورة الاهتمام بهذه القاعدة الّتي تستهدف خلق الإثارة بالنسبة للمتعلم لبلوغ غاياته وطموحاته ضمن التنافس الشريف بين المتعلمين.

صورة أخرى من صور التنافس على الخيرات:

كما في الترمذي من حديث علي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إن في الجنّة غرفا ترى ظُهورها من بُطُونها وبطونها من ظهورها"، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله ؟ قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلّى لله باللّيل والناس نيام"[1].

[1]- سنن الترميذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا محمد بن بشار،ج4، برقم2485، 652 ص.

بث المرسل في هذا الخطاب روح التنافس الشريف بين المتسابقين في الحث على فعل الخير، بيد أن هدفه الأوّل هو إفادة المتلقين ببعض الحقائق الّتي تفيدهم في دنياهم أو أخراهم، وما يترتب عليها من جزاء عظيم وثواب جسيم، فطرح عددًا من السبل المتنوعة والطرق المتشعبة الموصلة إلى الجنة، حيث يمكن أن نحددها من خلال الشكل التالي:

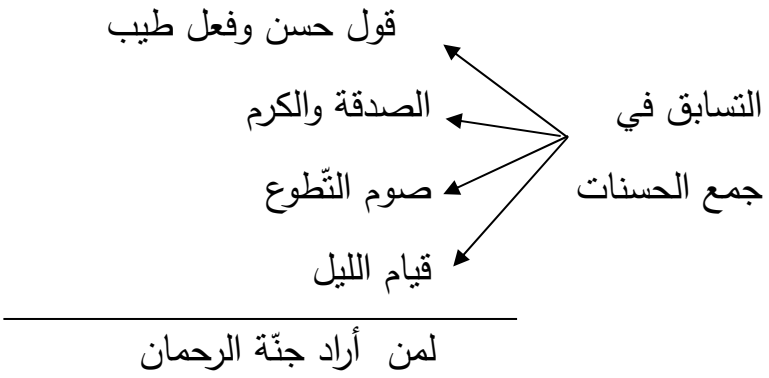

وبهذا يمكن القول إن الإشارة إلى التنافس كظاهرة تفاعلية ذات أثار ايجابية بين ما يلقيه المخاطب من مؤثرات ومحفزات وامتيازات، وما يكتسبه المتنافس من الاجتهادات والمثابرات لتحقيق النجاح المطلوب في ظل المنافسة الشريفة، لقد أضحى متطلبا ضروريا في هذا العصر بقدر ما يزخر به من فوائد وأبعاد خفية وظاهرة، وأساليب متنوعة قد تكون القوة الدّاعمة لعمليات التربية والتعليم ولمختلف الأطوار التعليمية من خلال جوانبه التالية:

1. يسهم في التكوين الوجداني والمعرفي للمتعلم وتنمية دافعيته نحو التعلم.
2. يشكل قوة محركة تدفع بفضول النفس نحو المزيد من الدرجات والتفوق والنجاح.
3. تزويد المتعلم بمكافأة التميز الّتي تثير في نفسه حوافز ايجابية لتحقيق الرغبة.
4. إمكانية بلوغ الطموحات والرغبات، ومرد ذلك إلى الاجتهادات الكثيرة والمكفاءات المستفيضة.

إن ما نستخلصه من هذه المقاصد أنّ الهدف الرئيسي من التربية النفسية هو ضبط السلوك البشري وانفعالاته بما يتلاءم مع إحساس يرضي الذات ويحقق تواصلا ايجابيا مع المحيط، بينما تستهدف الدعوة ضبط السلوك البشري وانفعالاته على ضوء هدي الإسلام أي

معطيات القرآن الكريم والسنة النبوية. نرى ذلك ضروريا في أي ممارسة تربوية الّتي يجب أن تعتني بها قبل تنفيذ عملية التعليم.

رابعا- التربية الاجتماعيّة:

تُمثل التربية الاجتماعية ظاهرة تواصليّة وغاية تربوية ذات مقاصد جليلة استقطبت اهتمام الكثير من الدارسين المحدثين في محاولة منهم لاستكشاف كافة السبل والوسائل الّتي تؤدّي إلى تقوية روابط التعاون بين أفراد المجتمع بما يحقق الحب والتراحم والتعاطف ليعيش الجميع حياة كريمة آمنة مطمئنة. ويتطلب ذلك تربية الإنسان منذ النشأة وخلال أطوار حياته على أنّه جزء من المجتمع الذي يعيش فيه. وتتحدد القيمة الاجتماعية لهذه الظاهرة في انعكاساتها على بناء مجتمع مثالي من خلال التواصل الإنساني والتعامل الأخلاقي كالتراحم والتعاطف والإحسان ومختلف وجوه البر، فقد تجسدت هذه القيم العظيمة في مدونة السنة النبوية الشريفة الّتي تحث على مبادئ مهم جدا في مضمار التربية،" فلم تقتصر تربيته (صلى الله عليه وسلم)، وتوجيهاته، على الحالات الفردية، وإن كانت التربية والتوجيه المجتمعي في كثير من حالاته، سببه فرد من أفراد المجتمع؛ فكان الاهتمام بتربية المجتمع نُصْبَ عينيه صلى الله عليه وسلم، يوجِّهه من خلال مجالس العلم والذكر، ومن خلال الخطب والمواعظ، ومن خلال لفت الأنظار الجماعية نحو حالات فردية وفئات جماعية، تقتضي العلاج والتوعية، فيعي المجتمع من خلالها، وجوه الخلل الّتي قد تعتريه عن طريقها، فيتوجّهُ من تلقاء نفسه نحو رفض ذلك الخلل، والعمل على مناهضته على المستوى الخاص والعام سواء"[1]، ولعلّ هذا من دواعي تحفزينا على إمعان النظر في معاني الخطاب النبوي واستخراج فوائدها التربوية والإحاطة بأبعادها الاجتماعية، حيث ترد لها مزايا عظيمة وآثار طيبة يمكن تجلّيتها بالاستناد إلى مقاصده ومراميه ، والمتمثلة فيما يلي :

[1]- عمر الماجد ، أدب التخاطب في السنة النبوية، ص16.

-أ- توجيه وإرشاد المتعلم نحو السلوك الاجتماعي القويم:

على الرغم من تنوّع المقاصد التربوية الّتي أفرزها الخطاب النّبوي، غير أننا نلحظ اهتماما خاصا بالعلاقات التواصلية بين الأقارب والأرحام في بعدها التربوي الاجتماعي، بالنظر إلى جملة من المواعظ والنصائح التربوية الّتي أسدها النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه رضوان الله عليهم قصد توجيههم وإرشادهم إلى السلوك القويم في حياتهم الذي يراد منه مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لنبدأ بأهم نصيحة وهي:

- **سلوكه مع الوالدين:**

ويوضح ذلك الحديث الذي يرويه **عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أقبل رجل إلى النّبي (صلى الله عليه وسلم) فقال :أبايعُك على الهجرة والجهاد، ابتغي الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حيٌّ " قال: نعم بل كلاهما، قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى؟، قال: نعم، قال: "فأرجع إلى والديك فأحسن صحبتهما". وفي روايةٍ لهُما: جاءَ رجلٌ فاسْتَأْذَنُه في الجِهَادِ فقَالَ: "أَحيٌّ والِداكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:"ففِيهِما فَجاهِدْ."**[1].

لقد أدت نية المخاطب من خلال التفاعل والتعامل مع السائل بأسلوب الحوار والمساءلة إلى ضرورة توجيهه نحو الوجهة الصحيحة، بقدر ما هو في حاجّة ماسّة إلى التنوير والهداية، وذلك حين قدّم له وصايا دينية نافعة ومواعظ تربوية جليلة، أمّا كونها دينية فيذكر للرجل أنّ الإحسان إلى الوالدين من أحب الأعمال إلى الله عز وجل وأنّ برهما يعدل الجهاد في سبيل الله مع عظم منزلته وثوابه. وأمّا تربوية من أهمها تنبيه المتعلم بالرجوع إلى الوالدين والإحسان إليهما مثيرا فيه عاطفة الشفقة والرحمة تحرك نوازع ليغير موقفه، فحثه على ضرورة الرجوع إلى الوالدين والقيام على شئونهما ومساعدتهما والإحسان إليهما سعيًا لإرضائهما وإسعادهما في الدنيا، فلا يجوز التقصير في حقّهما والإساءة إليهما سواء بالفعل أو القول.

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ، رقم 2549، ص730 .

وعليه، " فحرص الإسلام على بر الوالدين ليس حرصًا على السلامة الأخلاقية للمسلم بالشكر والعرفان لأصحاب الفضل فحسب، بل إنّه حرص على السلامة الاجتماعية"[1].

ولا تقتصر هذه العلاقات على بر الولدين فحسب، بل إنّها تضم في صفوفها أصنافا أخرى تتدرج ضمن الأقارب والأرحام، وفيما تعلق بالأقارب نجد تربية الأطفال، والإحسان إلى البنات و إلى عامة النّاس.

- **سلوكه مع الأطفال:**

عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه أنّه قال: دعتْني أُمّي يومًا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ في بيتنا. فقالت ها تَعالَ أُعطِيكَ. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم:"وما أردْتِ أن تُعطِيَهُ؟"، قالت: أُعطيهِ تمرًا. فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:" أما إنَّك لو لم تُعْطِيه شيئًا، كُتِبَتْ عليك كِذْبةٌ"[2].

فهذا المشهد التربوي يدل دلالة واضحة على أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أولى أهمية كبرى وعناية خاصة لتربية الناشئة وكيفية التعامل معهم، وذلك وفق منهج القدوة الحسنة من خلال التحذير من الكذب على الصغار لأنّه يعدّ من الكبائر، وخطأ كبير يقع فيه الآباء والأمهات، وهم لا يدركون آثاره السلبية سواء على صعيد التربوي أو الاجتماعي، لأنذ "الكذب على الطفل يفقده ثقته بأبويه، فينصرف عن الاستماع إليهما، ويعمد إلى تقليدهما في الكذب، لأنّه يراقب سلوك الكبار، ويقتدي بهم"[3]. لذلك لابد أن نرسخ فضيلة الصدق في نفوس الأطفال، ونكون لهم خير قدوة في الأعمال والأقوال لنكسبهم بذلك ثقة كبيرة والشعور بالأطمانينة الكاملة حتى تؤتي التربية ثمارها.

---

(1)– محمد إسماعيل عمران ، حمد بليه حمد العجمي ،أسس علم النفس التربوي– رؤية تربوية إسلامية معاصرة، ص331.

(2)– صحيح سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الكذب، ج7، رقم4991، ص342–343 .

(3)– عن محمد صالح المنجد، كيف عاملهم (صلى الله عليه وسلم)، ص314.

ويترتب على ذلك مدى الاهتمام والحرص الشديد بالقدوة الحسنة، وذلك لأن "القدوة خير معلم للنشء الذي يكون في مستهل نضجه النفسي والعقلي قابلا للتأثر بالقدوة لدرجة كبيرة من أجل هذا فعلى المربي أن يحرص كل الحرص على أن يكون قدوة صالحة، وأن يعمل بعمله فلا يكذب فعله قوله ولا يخالف ظاهره باطنه، فلا يأمر بشيء ما لم يكن هو أول عامل به، ولا ينهى عن الشيء ما لم يكن هو أول تارك له ليفيد توجيهه ويثمر إرشاده" [1]، ويعني هذا أن صاحب القدوة مطالب بأن يراقب كل أقواله وأفعاله.

- **سلوكه مع البنات:**

عن عائشة رضي الله عنها- قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئا غير تمرةٍ، فأعطيتها إيّاها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل النّبي صلى الله عليه وسلم علينا، فأخبرته فقال (صلى الله عليه وسلم):" من ابتلي من هذه البنات بشيء، كنّ له سترًا من النّار"[2].

وإذا تأملنا معاني الخطاب وربطناها بالجانب التربوي بشكل عام، والبعد الاجتماعي بشكل خاص، نجدها تتضمن مقاصد نفعية بالغة الأهمية تدفع صاحبها إلى بلوغ المكانة العالية المذكورة آنفا، بناء على ذلك يمكننا أن نوضحها في النقاط الآتية:

- فضل الإحسان إلى البنات، فلا ينبغي التفريق أبدا في المعاملة بين البنين والبنات، فكلاهما عطية وهبه من الله عز وجل.

- النفقة عليهن والصبر عليهن وعلى سائر أمورهن يجعل من هذه البنات سترا له من النّار.

ولأهمية هذا السلوك التربوي فقد أشار إلى ذلك أيضًا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، **عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال:" من عال جاريتين حتّى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين" وضمّ أصابعه**" [3].

---

[1]- عبد الباري محمد داود، التربية النفسية للطفل، ص314 .

[2]- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النّار ولو بشق تمرة، رقم 1418 ، ص172 .

[3]- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، رقم2631 ، ص852.

وظاهر هنا أن الخطاب موجه بالضّرورة إلى عول الإنسان للبنات وما يقدمه من بدل وعطاء في سبيل إكرامهن ، وذلك لأنّ " البنت قاصر ضعيفة مهينة، والغالب أن أهلها لا يأبهون بها، ولا يهتمون بها، فلذلك قال النّبي صلى الله عليه وسلم" **من عال جاريتين حتّى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين** " وضمّ أصبعيه السبابة والوسطى"، ومعنى أنه يكون رفقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة إذا عال الجاريتين، يعني الأنثيين من بنات أو أخوات أو غيرهما، أي أن يكون مع النّبي صلى الله عليه وسلم في الجنة"[1].

- **سلوكه مع عامة النّاس:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " حق المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السّلام، وعيادة المريض، وإتباع الجنائز، وإجابة الدّعوة، وتشميت العاطس " [2].

حين نتأمّل دلالات هذا الحديث الشريف ونستنبط فوائدها التربوية نلمس جملة من السلوكيات الاجتماعية اللافت للنّظر، والّتي ترتقي بصاحبها إلى آداب سلوكية عظيمة وتميزه من غيره، حيث جسدتها هاته الغاية أو المقصدية المستوحاة من هذا الخطاب، ويمكننا أن ندرجها كالتالي لمعرفة ما يستفاد منها دينيا أو دنيويا:

– رد السلام: لأنّ السلام يزيد في المحبة ويزيل الشحناء والهجر، ورد السلام يجب ان يكون بالأفضل .

– عيادة المريض، ينبغي للزائر أن يدعو للمريض بالشفاء، ويحثه على الصبر، ولا يتحدث عنده إلا بما هو خير، ويلتزم بآداب الزيارة.

– إتباع الجنائز، أي تعزي أهل الميت وتصبرهم، وتعينهم، وتصنع لهم طعامًا، وتدعو لهم بالأجر العظيم على صبرهم، وتتبع الجنازة وتشارك في الصلاة على الميت.

---

[1]– محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، ج2، ص66 .

[2]– صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر بإتباع الجنائز، رقم1240 ، ص150 .

– إجابة الدعوة: لأنّ في إجابة الدعوة إدخالا للسرور في قلب الداعي، فتتقوى الأواصر وتزداد المحبة.

–تشميت العاطس: أي عطس وحمد الله، قل له: يرحمك الله، ويرد عليك: يهديك الله ويصلح بالك، أو غفر الله لي ولك[1].

ولعلّ مثل هذه المعاملات الّتي أمر بها النّبي (صلى الله عليه وسلم) باعتبارها حقوق وواجبات لها أهمية بالغة في تقوية الصلات الاجتماعية، ودور فعال في تعزيز العلاقات الإنسانية وتطويرها، وعليه ينبغي للمربين أن يحرصوا على تلقين الأجيال هذه الآداب الاجتماعية المهمة لبناء مجتمع يسوده الخير والحب والتعاون وكلّ الأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية والقيم العظيمة.

ب–إكساب المتعلم أنماط سلوكية ضرورية للحياة الاجتماعية:

و يستفاد من الخطاب النّبوي أيضًا أن هناك أغرض أخرى تروم إلى بث أهم المبادئ والأسس الّتي يقوم عليها المجتمع، كونها تمثّل "المعايير المثلى للمواقف والسلوك"[2] ، ودورا رائدا ومركزيا في الحياة الاجتماعية، وسعى إلى تجسيد قيمها وتحقيق أبعادها المثالية، ممّا أكسبها سلوكيات تواصلية واجتماعية مميّزة ومحدّدة للجانب الإنساني والتربوي، ومن أنماطها:**1–تحمل المسؤولية :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ألا كلّكم راعٍ، وكلّكم مسئول عن رعيّته، الإمام راعٍ و مسئول عن رعيّته، والرّجل راعٍ في أهله، وهو مسئول عن رعيّته، والمرأة راعية في بيت زوجها، و مسئولة عن رعيَّتِها، والخادمُ راع في مال سيّده و مسئولٌ عن رعيّتِهِ»[3].

---

[1]– حسين طه، شرح مائة حديث من جوامع الكلم من صحيح البخاري ومسلم، ص68–69 .

[2]- رشيدة آيت عبد السلام، القيم المكونة لمفهوم الموطن الصالح في كتب اللغة العربية المدرسية وشبه المدرسية، مجلة اللسانيات التطبيقية، العدد2، جامعة الجزئر2، ديسمبر 2017م، ص18.

[3]– صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدائن، رقم893، ص109 .

لقد أفصح الخطاب عن مقصد تربوي بالغ الأهمية، وعن قاعدة بارزة المعالم، وهي قاعدة أساسية في الحياة الاجتماعية هدفها تربية الإنسان على تحمل مسؤوليته والتزاماته تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه ووطنه، والّتي برهن عنها بأسلوب بليغ يشير إلى أهمية الأمر أو التبليغ ، من خلال حرف الاستفتاح وتنبيه "**ألا**"، أضف إلى ذلك العلامة اللغوية "**الرعية**" المشحونة بالدلالات الظاهرة والخفية في سياق الخطاب مفادها "أن الرعية كل من شمله حفظ الراعي ونظره، وأصل الرعاية حفظ الشيء وحسن التعهد فيه، لكن تختلف،" فرعاية الإمام هي ولاية أموره رعية وإقامة حقوقهم، ورعاية المرأة حسن التعهد في أمر بيت زوجها ، ورعاية الخادم هو حفظ ما في يديه والقيام بالخدمة ونحوها، ومن لم يكن إماما ولا أهل ولا سيد ولا أب وأمثال ذلك، فرعايته على أصدقائه وأصحاب معاشرته"[1].

ويستفاد من هذا الخطاب عدة أمور تربوية، نوجزها على النحو التالي:

– أن المسؤولية أمر قرره الإسلام في النفوس والأموال والأعمال.

– أن الإنسان هو الّذي يستحق تحمل ثقل المسؤولية لما وهبه الله من قلبا يتدبر وعقلا يتفكر، يشكل هذا دعامة كبيرة للقيام بالوجبات وتحريض قوي على الالتزام بالحقوق.

– أن المسؤولية ذات أثار أخلاقية واجتماعية ناجعة نظرا لما تساهم به في بناء المجتمعات.

–أن الشعور بالمسؤولية قيمة مكتسبة تدعو إلى التسامح واحترام والعدل والمساواة في الحقوق والوجبات .

ممّا هو جدير بالذكر في هذا المقام، أنّ المسؤولية مهمة شاقة وحمل ثقيل إلاّ أنه لا ينبغي للمدرسين أنّ لا يغفلوا عنها في العصر الذي نعيش فيه و نتعايش مع مجتمعات متعددة الحضارات، ووجوب ضرورة العناية بهذه القاعدة الحكيمة والمستمدة من تعاليم الدّين الإسلامي وتكريسها في مختلف المرحل الدراسية، لكونها الطريقة المثلى في اكتساب الثقة

[1]– عمدة القارئ، ج24، كتاب الأحكام ، ص330.

وتعزيزها في نفوس المتعلمين، وتحفيزهم لأداء الوجبات والأعمال على أحسن وجه وأحكمه وأعدله. وبالتالي تنمية روح المسؤولية الشخصيّة والاجتماعية لديهم.

2- أداء الأمانة والوفاء بالعهد:

عن أبي هريرة قال: بينما النّبيّ صلى الله عليه وسلم في مجلس يُحدّث القومَ، جاءهُ أعرابيٌّ فقال: متى السّاعةُ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّث، فقال بعضُ القومِ: سَمِعَ ما قال فكره ما قَالَ، وقال بَعضُهمْ: بل لم يسمع، حتَّى إذا قَضَى حديثهُ قال:" أين أراه السّائل عن السّاعةِ؟ قال: ها أنا يا رسول اللهِ، قال : فإذا ضُيِّعتِ الأمانَةُ، فانتظر السّاعةَ" قال:" كيف إضاعتُهَا، قال: إذا وُسِدَ الأمرُ إلى غير أهله، فانتظرِ السَّاعَةَ"[1].

وإذا نظرنا إلى التوجه التربوي لهذا الخطاب، فإنّنا نجد أن له دورا كبيرا في بيان الفائدة المرجوة من الرسالة وتحديد المقاصد نفعية محدّدة، لأنّه تضمن منهجا تربويا بليغا يحيل إلى مفهوم الأمانة وما يترتب على تضيعها والتفريط فيها، كما أن الأمانة من الأمور الايجابية الّتي تحفظ للبشر حقوقهم وتؤديها لأصحابها كاملة غير منقوصة، والّتي أكّد عليها ، فإنّ الله يقول: **(إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا)**"[2]، و النّبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف التربوي جعل إسناد الأمر إلى غير أهله تضييعا للأمانة وجعل تضييعها علامة من علامات الساعة، وأظن أن هذا دليل واضح على مدى عنايته الفائقة والعميقة بأبعادها اجتماعية نظرا لما للأمانة من تأثير ايجابي وعميق على الفرد والمجتمع.

فتأدية الأمانة بهذه الرؤية التربوية لا تقتصر على الأمور المادية فقط، بل تشمل مختلف مناحي الحياة الدينية والاجتماعية، والمجتمع الذي تشيع فيه الخيانة، مجتمع مهدد بالدمار فلا أمان فيه ، تضيع فيه الحقوق وتتبدى فيه الغش والتدليس والتزوير والكذب، وينتشر الحقد والكره والغضب، ذلك من إمارات قيام الساعة كما أخبرنا بذلك (صلى الله عليه

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه، فأتمّ الحديث، ثمّ أجاب السّائل، رقم59، ص17 .

[2]- سورة النساء، الآية 58 .

وسلم) إسناد الأمر إلى غير أصاحبه ، وأن ضياعها من المنذرات بقرب الساعة. كما تعتبر من علامات النفاق وترتبط بالخيانة عادة، **وقال صلى الله عليه وسلم: « أربعٌ من كنَّ فِيهِ كان منَافِقًا أو كانتْ فِيهِ خَصْلَةٌ من أربعٍ كانت فيه خصلةٌ من النِّفاق حتَّى يَدَعها: وإذا حدَّث كَذَبَ، وإذا وعد أخلفَ، وإذا عاهد غَدَرَ، وإذا خاصم فَجَرَ »**[1].

وهكذا نلحظ أنّ الأمانة أمر عظيم ومنزلة كبيرة، والتفريط فيها سببٌ لكل بلاء ونكبة، وإنّنا نحتاج ضمن أولوياتنا التربوية أن نؤسّس هذا الخلق ونغرس قيمته في نفوس التلاميذ لكونّها وسيلة لاستنهاض الهمم وضبط السلوك والسيطرة على الأهواء والنزاعات وتغليب المصلحة العامة على مصلحة الخاصة، " فمهمة المدرسة الأولى هي تكوين مواطن صالح؛ أي الفرد القادر على العيش في المجتمع وهو يسهم بأشكال شتى في تنميته وتطويره، لأنّ دور التربية في كل مجتمع هو نقل قيمة إلى الأجيال، سواء تلك الّتي يشترك فيها جميع أفراده وهدفها تعزيز الوحدة الوطنية، ويقصد بذلك: القيم السياسية والاجتماعية والثقافية والروحية، أو تلك الّتي تتميز بالخصوصية الفردية مثل القيم الوجدانية والأخلاقية، القيم الفكرية والجمالية، والقيم الإنسانية المتفتحة على العالم"[2] . إذن فالمطلوب من المربين أن يبذلوا جهدًا أكبر في سبيل الارتقاء بالتربية وعلومها وتطبيقاتها.

3-العفو والتواضع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زَادَ الله عبدًا بعفو إلاَّ عزًّا، وما تَواضَعَ أحدٌ لله إلا رفعهُ اللهُ»[3].

وقد تبين لنا من خلال قراءة الحديث الشريف أنّ المقصود هو تبليغ سلوك تربوي يندرج ضمن باب المعاملات ينبغي الالتزام به، وذلك من خلال الكشف عن مناط العفو والتواضع ، وأن العزيز لا يدرك العز إلاّ في رحاب العفو، ولا يبلغ الرفع إلّا بمقتضى التواضع، ويمكن

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب إذا خاصم فجر، برقم2459 ، ص291.

[2]- رشيدة آيت عبد السلام، القيم المكونة لمفهوم الموطن الصالح في كتب للغة العربية المدرسية وشبه المدرسية، ص20.

[3]- رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم2588، ص841 .

أن نستفيد من هذا أنّ " النّبي (صلى الله عليه وسلم) قد حث على العفو عن المسيء، وعدم مجازاته بإساءته، لأنّ نفس الإنسان أمارة بالسوء، وتأبى إلا أن تنتقم، وتأخذ بحقها، وتعد العفو ذلاً، وخضوعًا، وهونًا"[1].

كما أوضح لنا أن آداب التواضع كسلوك مهم يساهم في التعاملات الاجتماعية ويضفي على صاحبه هيبةً ووقاراً لأنّ الله تعالى جعل للمتواضع منزلة عالية، أمّا المتكبر الذي يقلّل من شأن الآخرين باعتقاده أن التواضع ذلة ومهانة وانخفاض فإنّه يفتح بابا واسعا للحقد والبغض و انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة لانحراف النّاس عنه ونفورهم منه، والحق أن من تواضع لله رفعه ومن ترفع على النّاس وضعه الله إما في الدنيا وإما في الآخرة.

ويمكننا القول بأن الخطاب النّبوي عزّز طاقات ايجابية فاعلة مؤداها دفع المتلقي إلى اكتساب سلوك أخلاقي مثالي من شأنه أن يقوي أواصر العلاقات الإنسانية والقضاء والتضييق على أسباب الفرقة والخلاف بين أفراد المجتمع، وهو يطالب الغني بالتصدق على الفقير، ويدعو المحسن إلى الصفح والعفو عن المسيء، ويدعوه أيضا إلى التواضع وعدم التكبر، وبمثل هذه القيم الاجتماعية ساد المسلمون الأوائل، وأرسَوْا دعائم حضارة رائعة، أضاءت ظلمات الجهل الذي تملّك الإنسان ردحاً طويلاً من الزمن. كما سيأتي ذكره.

4- الإخاء والاتحاد:

عن النّبي صلى الله عليه و سلم قال: «إيّاكم و الظّنّ فإنّ الظّنّ أكذب الحديث، فلا تحسّسوا، و لا تجسّسوا، و لا تحاسدوا، ولا تباغضوا و لا تدابروا، و كونوا عباد الله إخوانًا»[2].

يطمح هذا الخطاب إلى إضاءة ضوابط تربوية مهمة تحمل آدابًا اجتماعيةً وسلوكيةً تضاف إلى مجموع القيم الإنسانية والحضارية، وفي طليعتها الإخاء والاتحاد الّتي حرص الإسلام على تثبيتها وذيوعها لصيانة كيان المجتمع من الفواحش ظاهرها خافيها، وقد

---

[1]- العثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، ج3، ص408 .

[2]- صحيح البخاري،كتاب الأدب،باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، برقم6064، ص734.

تمظهرت في سياقين مناسبين هما:

أولهما: السياق التحذير، إذ نبه من الأخلاق الذميمة كسوء الظن، والتجسس والتحسس والحسد والتباغض والتدابر، مبينًا أن مثل هذه الأمور تثير التشاحن والبغضاء والأنانية الّتي تفسد الروابط الاجتماعية.

والآخر: السياق التوجيهي وهو الّذي يزيل الغموض والإبهام عن الخطاب ويحث على الأخلاق الكريمة، مثل التآخي والغرض منه هو قيام علاقات اجتماعية بين البشر للحصول على الالتحام والترابط وتماسك المجتمعات البشرية.

وهكذا يتعرف المتلقي على الأخلاق الذميمة وعلى آثارها وخباياها، ومردّ ذلك إلى طبيعة النفس الإنسانية الّتي تأمر بالغضب والحسد والبغض والكره، ولكي يستطيع الانتصار على نفسه ينبغي له الإحسان إلى أخيه المسلم التفريج عنه وقضاء حوائجه، ويمكن أن نستند في ذلك إلى ما أورده عَبْد الله بْن عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيهِ كان اللهُ في حاجتهِ، ومن فرّجَ عن مسلم كربةً، فرّج الله عنه كربةً من كرباتِ يومِ القيامة، ومن سترَ مسلِمًا، سترهُ الله يوم القيامةِ**»[1] .

ولعلّ هذه الصورة مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعي الّتي حاول الخطاب استجلاء فاعليتها وأثارها في الحياة الدنيوية والأخروية، إذ جعل نصرة المسلم في المصيبة، وتفريج كرباته، وعونه على الظالم، وستر عيوبه حقا دينيًا وحرصًا على منفعة الجميع ، وسعيًا نحو بناء أمة مثالية تقوم على أسس روحية وأخرى أخلاقية وثالثة اجتماعية، ومن هنا يتحتم على المتلقين أن يتحابوا، ويتواصلوا، ويعطف بعضهم على بعض، ويتعاونون في قضاء حوائجهم، ويسعون لخدمة بعضهم، وجلب ما يصلح شؤونهم، ودفع ما قد يضرهم إلى غير ذلك من المناحي الّتي تعدّ أبرز معالم النفوذ إلى دروب التقدم والتطور والازدهار.

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمُ ولا يسلمه، رقم 2442، ص290 .

إذن، تهتم السنة النّبوية اهتماما بالغا بتربية الفرد كعضو صالح في جماعة صالحة، وتوجهه إلى إقامة العلاقات الايجابية البناءة مع الآخرين، وتوجب عليه القيام بوجباته الدينية والاجتماعية تجاههم، وتحثه على تحمل مسؤوليته في الحفاظ على كيان مجتمعه وحمايته من كل ما يتهدده من أخطار معنوية ومادية، وتعمل على إكسابه الآداب الاجتماعية الرشيدة التي تستمد من قيم الدّين الإسلامي"[1] .

ومن هنا يمكننا القول بأنّ قراءة المقاصد من هذا المنظور مهمة جدا في مضمار التربية والتعليم نظرا لما تقدمه من فوائد كثيرة ومنافع جليلة تسترعي اهتمام المتلقي وتوقظ انتباهه وتدفعه إلى تكوين شخصية إنسانية متكاملة بالشكل الّذي يرفعها إلى أعلى الدرجات الممكنة والّتي استحقت أن توصف من خللها بأنّها أفضل نموذج بشري على الأرض، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو النّاس إلى الإيمان ويحثهم على تطبيق شريعة الله عز وجل، "لتكميل فطرتهم، وتهذيب نفوسهم شيئا فشيئا، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم، وتوجيه طاقاتهم وحسن استغلالها للخير والسمو: طاقات العقل، وطاقات الجسم، وطاقات الروح، لتعمل معا وتتجاوب للهدف الأسمى، وبذلك يسمو الفرد وينهض المجتمع"[2]، وهو بذلك يكون قد أمدّ المتعلمين بأمور كثيرة الّتي تساعد على تقويم السلوك وتهذيبه وفق أسلوب واضح يوافق الحاجات الفيزيولوجية والوجدانية والعقلية للمتعلمين نلمسه من ثنايا الخطاب النّبوي، في حين يمكن أن نستفيد من ذلك إذا أردنا مواكبة التوجهات المعاصرة ومسايرة التيار الحضاري العالمي، وما يصاحبه من التطور والازدهار، فإنّ الخطاب النّبوي أفرز قيما إنسانية ومعايير حضارية تعدّ خطوة فسيحة لتكوين شخصية المتعلم وصقلها وتنظيم سلوكها وعواطفها، وبخاصة مع ازدحام التطوّر العلمي والتكنولوجي الذي أسهم من جهته في جذبه واستوائه وأحدث تغيّرات جذرية لحياته. ومن ثمَّ نرى من الضروري السعي إلى تفعيل الخطاب التربوي الموجه للمتعلم بلغة راقية وبأسلوب واضح تبعا للمنهج النّبوي

---

[1]– عبد الحميد الصّيد الزناتي، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص885.

[2]– النحلاوي عبد الرحمان ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص26.

وخصوصياته التواصلية الّتي تحيل إلى مقاصد محدّدة وغايات نفعية وأبعاد التربوية منها ما كان في مجال العقيدة، ومنها ما كان في المجالات الأخلاقية والنفسية والاجتماعية وغيرها، وعليه نرجو أن تتوخّى دراسات الاتصال ضمن مسارها التربوي هذا التطور المختلف والمأمول في سبيل إثراء مسألتي اللّغة والتواصل ووضع إستراتجية خطابية متميّزة تضطلع إلى تطوير التعليم العربي وتحسين جودته في ضوء انبثاق آليات التبليغ والتداول الّتي تندرج ضمن أبرز الانجازات الحاسمة للثقافة التواصلية .

خاتمة

لقد كانت هذه الدراسة جد مثمرة في رحاب الخطاب النّبوي، وفي سياق البحث عن آليات التواصل التربوي بين الكفاءة اللّغوية ومهارة التبليغ والكشف عن ملامحها الخاصة والمميّزة لها في توجهها التداولي الذي كان منهجا لتطبيقاتنا وتحليلنا، ونلخص كل هذا من خلال تحديدنا للنتائج التالية :

• بداية وفي هذا البحث تبلورت فكرة جوهرية مفادها أنّ الدّراسات اللّغوية الحديثة الّتي تناولت ظاهرة التواصل بمختلف صوره وتجلياته ذات طابع لغوي تداولي على جانب كبير من الأهمية في البحث عن الكفاءة التبليغية أو التواصلية وبالأخصّ من خلال البحث عن دور السياق في إنتاج الخطاب وطرق التعبير وأساليبه، و البعد المقصدي وكل ما يحيط بالخطاب من ظروف خارجية متكاملة و أغراض حقيقية.

• ارتبط مصطلح التواصل بالعديد من الميادين المعرفية والأقطاب الفكرية الّتي تناولت هذا الموضوع واهتمت بهذا الجانب، و مهما تنوعت واختلفت الأقوال فيه فإننا نجد أنّ التّواصل هو عملية تفاعلية تبادلية بين شخصين أو أكثر قصد تحقيق أهداف وأغراض معينة، وفي ذلك إشارة إلى عناصر عملية التّواصل منها: المرسل، المرسل إليه، الرسالة، الهدف، الرموز المشتركة، الاستجابة، السياق.

• نتج عن الاهتمام بالتواصل بين المرسل والمتلقي نظريات كثيرة وتصورات مستفيضة تبنّاها مجموعة من اللسانيين كما ظهر ذلك عند **دوسوسير وجاكسون وأندريه مارتيني ...** و غيرهم، وقد تجلى هذا الاهتمام في البحث عن وظيفة اللغة في التواصل، وفي كونها وسيلة للتواصل والتبليغ، ثم تطورت هذه النظرية تبعا لتطور الاتجاه السيميولوجي القائم على الإبلاغ والقصد في التواصل وبالأخصّ من خلال الكشف عن دور الأنساق اللّغوية الّتي تنظم كل ممارسة تواصلية انطلاقا من المقصدية، وهذا ما يفتح مجالا أكثر سعة على كل الخطابات والأشكال التعبيرية اللغوية وغير اللغوية.

• وفي وصف طبيعة التواصل التربوي، وجدنا بأنّه لا زال يستأثر باهتمام الدارسين في الكشف عن نوعية العلاقة بين المعلم والمتعلم وفي محاولة لتحديث طرائق وأساليب ووسائل التعليم بمختلف أنواعها بما يناسب روح العصر، وفي ظل الخصوصية التواصلية الّتي أراها لا تقدم تصورا عميقا وجديدا ولكن قد تسهم بشكل فاعل في تغيير الوضع التعليمي التعلمي وتطويره من خلال تحديد استراتيجية التواصل التربوي، والّتي تتلخص في المعلم والمتعلّم والرسالة التربوية.

• إنّ مهمة التربية الّتي تمثلها ثقافة الإنسان وعلاقاته مع عالمه، يتحددً مرجعها وفق مبادىء وأسس متنوعة الّتي حددها أصحاب هذا الاتجاه لتكوين الشخصية الإنسانية من جميع جوانبها عن طريق التوجيه والإرشاد والتعليم والتدريب والتنمية والحفظ والرعاية، وهي رؤية متكاملة ومتباينة شكلت ما يعرف بمفهوم التربية كما رأينا ذلك عند مختلف الباحثين.

• وفي دراسة الخطاب، تظافرت جهود لغوية وفلسفية وبلاغية لتوسيع مفهوم الخطاب في مجال الدّراسات اللّغوية المعاصرة وحتى الدّراسات النقدية والثقافية، من خلال تحديد مفهوم الخطاب وعناصره وأبعاده ومضامينه إلى أن أصبح علما قائما بذاته، فتوصلوا إلى أفكار متعددة ونظريات متباينة من خلال عملية الإحاطة بالظواهر اللّغوية في قراءة ومعالجة النصوص الأدبية وغير الأدبية، مستلهمين في ذلك أهم الخطوات الإجرائية والأساسية لتحليل الخطابات، الّتي أثمرت مجال الدراسات اللغوية والنقدية.

• وفي الاتّجاه التداولي للخطاب، لم يقتصر دوره على دراسة اللغة وحسب، بل تجاوزها إلى توضيح فائدة الخطاب أثناء الاستعمال ومعالجة كل الظواهر اللّغوية الّتي تحيط به، وهذا يضفي قيمة إضافية و جوهرية على الخطاب من خلال تلك الدّراسات اللّغوية الحديثة وما تحمله من أبعاد تداوليّة وأغراض خطابية ومضامين تواصلية معينة، الأمر الذي يجعله دوما خاضعا للبحث والتنقيب والدراسة.

• من المسلّم به أنّ كلام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الموجه إلى جميع النّاس مستمد من مصدر أصلي وثابت متمثلا في القرآن الكريم باعتباره أولاً وأخيرًا نصا شارحا له، في حين نجد التواصل التربوي في الخطاب النبوي، هو عملية تفاعلية بين الرسول المعلم وأصحابه المتعلمين، باستخدام أساليب لفظية وغير لفظية هادفة ومتنوعة تبعا لسياق الخطاب وطبقا للمقاصد والأغراض بغية الوصول إلى تحقيق الأهداف التربوية.

• أفصح الخطاب النّبوي عن سمات وخصائص تربوية محددة، وعن قيم ومبادئ مثالية، غايتها رسم أحكام العقيدة الإسلامية الفاضلة، وتجسيد آداب إنسانية رفيعة وآداب اجتماعية سامية، والتحلي بأحكامه وبآدابه وأخلاقه من المساعي المستقبلية لتربية الناشئين تربية صالحة ومتميزة.

• استطاع النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يبلّغ رسائله التربوية ببراعة وكفاءة ونجاح؛ وذلك بفضل مهاراته التواصلية وأساليبه المتميزة والمتنوعة والبارزة في شخصيته التربوية والتعليمية، وكيف كان يتعامل مع المواقف ومعالجتها بأساليب راقية ومناسبة لكل موقف تربوي من خلال تواصله اللفظي وغير اللفظي، والدّليل على ذلك أنّه استخدم أسلوب الحوار والمناقشة، حيث تضمن الحديث النبوي أسلوبا تواصليا تربويا جذابا نلمسه من خلال إدراج أسلوب الاستجواب الذي لفت أنظار السّامعين، ثم مكّن من تحقيق العمل الحواري الهادئ والهادف والقائم بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه رضوان الله عليهم، وهو أسلوب يوافق مبدأ العملية التعليمية.

• لقد شكل أسلوب ضرب المثل في الخطاب النّبوي عاملاً مهما تحقّق على إثره البعد التفاعلي إزاء قضايا بالغة الأهمية، وهو ما جعل المتعلمين في دوامّة من الإحساس والإثارة والاهتمام الّتي تسمح لهم بالتعامل مع الخطاب بفاعلية وايجابية.

• ولا شك أنّ استخدام أسلوب القصة في تواصله مع الآخرين دليل على مدى عنايته الفائقة بعنصر التفاعل والمشاركة الايجابية الّذي يدعو إلى التفكير والشعور والانفعال ويحقق للخطاب فعاليته، و هذا ما اعتمده صلى لله عليه وسلم في خطابه.

• لقد كان لأسلوب التكرار مظهر من مظاهر التواصل الايجابي بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ينطوي على أهداف ومقاصد تربوية متعددة الّتي تعود بالنفع والفائدة على المعلم والمتعلم، لذلك لابد على المعلم أن يستعمل هذه الوسيلة المناسبة للتبليغ ويحسن استغلالها ويجيد استخدمها أثناء أداء مهمة التربية والتعليم.

• وفي التواصل غير اللفظي، استعمل النبي(صلى الله عليه وسلم) الإشارات والرموز بوصفها آليات تفاعلية تيسر سبل التواصل بين المرسل والمتلقي من خلال ظاهرة التأثير والتبادل، فهي تضفي على الخطاب كفاءة عالية بارتكازها على القدرة الجسدية وحدّتها في التعبير والتواصل، أضف إلى ذلك أنّها تنوب عن الكلام المنطوق، وتكتسي أهمية بالغة داخل العملية التعليمية من حيث جودة الاختصار وسرعة قراءة الأفكار وزيادة وضوح معاني الخطاب، وبالإضافة إلى تأكيد المضمون وتحقيق الغاية والهدف، وهو ما نلمحه بشكل بارز في جل مواعظه وإرشاداته وغيرها من الوسائل الّتي تجعل من المتعلم محور العملية التعليمية التربوية.

• من المؤكّد أنّ الآليات اللغوية و الآليات البلاغية و الآليات الحجاجية الّتي أوردناها في هذا المسار المتعلق بالخطاب النّبوي لا يمكن فصلها عن الوظيفة الاقناعية وقدرتها الابلاغية الافهامية الّتي تحققها التراكيب اللغوية الواضحة ومعانيها الخاصة المتميزة وهو ما أطلق عليها بإستراتيجية الإقناع، وذلك لأنّها موجهة توجيها حجاجيا على أساس الإبلاغ والتأثير والإقناع استنادًا إلى مقام الخطاب وأحكامه المستهدفة لتعبر عن مضمون المقصود من الخطاب، ناهيك عن البعد التداولي للخطاب و تجلياته المقصدية الّتي ساهمت في تيسير العملية التعليمية وإبراز أهدافها الأساسية و أبعادها المختلفة فتنعكس أثارها الايجابية على الخطاب الديداكتيكي الذي ينير عقل المتعلم ويسترعي اهتمامه ويوجهه نحو السبيل التربوي الأمثل.

• ومن المقاصد النفعية والغايات التربوية في ضوء الهَديّ النّبوي، رأينا كيف تتبدى إستراتجية جوهرية متكاملة للتواصل التربوي، بالنظر إلى ما يزخر به من مبادئ وقواعد

توجيهية سليمة ومناهج وأساليب قيمة تبلورت من الخلفية التربوية والمتمثلة في أربع محاور أساسية هي: الإيمانية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية، قوامها غرس العقيدة وتثبيتها ونشرها، وتزويد المتعلمين بالقيم والتعاليم الإسلامية، وإبراز أهمية الأخلاق الحسنة بالإشارة إلى منزلتها ومكانتها، وتشجيع وتنمية روح التدبر والتفكير، وتقوية القدرة على المشاهدة والتأمل، وإكساب المعارف اللازمة والمهارات العلمية والتربوية المختلفة، وتنمية للاتجاهات السلوكية البناءة، وتهيئة للفرد ليكون عضواً نافعاً في بناء الحياة الاجتماعية .... وغير ذلك من المقاصد التربوية.

• واعتمادا على مثل هذه الآليات التواصلية وما ينتج عنها من فوائد كثيرة ونتائج ايجابية مستفيضة متعلّقة بالواقع التعليمي التربوي باعتبارها أكثر فاعلية وحيوية، أصبح من الضروري الالتزام بمنهجه (صلى الله عليه وسلم) في التواصل التربوي مع الآخرين، وفي كل مراحل التعليم وفي بناء مناهجه واختيار الطرق والوسائل والأساليب، حتى يحقق الخطاب التربوي المعاصر التّقنيات الخطابية اللازمة لتطوير العلاقات الإنسانية في جميع مجالات الحياة الهادفة للوصول إلى التطور الحضاري ورقى المجتمع الإنساني.

وبهذه الرؤيّة نستطيع أن نقول عن التواصل التربوي المستمد من السنة النّبوية، أنّه نموذج عملي فريد ومتكامل يحمل في جوهره غاية تربوية وخاصية إنسانية، تفوق كل الأنظمة التخاطبية والقواعد الأدائية لتبليغ الخطابات البشرية وتوصيلها وكل ما أنجز في نطاق التواصل والمعرفة والتربية، لما يتصف به من آليات مشرقة ومكنونة للمستوى الإبلاغي والحضاري، عجز الباحث أن يستنطق بما جاءت به في هذا ميدان؛ لأنّها لا تفصح عن ظواهر تميز منهجه ووقفاته فحسب، وإنّما يتجاوز ذلك إلى كيفية ترسيخ منظومة من الأفكار و المفاهيم والقيم الحضارية والإنسانية في عموم مجالات الحياة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)

أولا- المصادر والمراجع:

1. اباضة نزار ، شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، دمشق، 2012م .
2. ابن جني أبو فتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط11، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط11 .
3. ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2،1426هـ-2005م.
4. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد القادر شيبة احمد، مكتبة ملك فهد الوطنية للنشر، الرياض،2001م.
5. ابن خلدون عبد رحمن بن محمد، مقدّمة ، دار العلم للجميع ، بيروت-لبنان.
6. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القران العظيم، ط1، بيروت، دار النوبلس للنشر والتوزيع، ط1، 2000م.
7. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية.
8. أبو أصبع خليل ، العلاقات العامة والاتصال الإنساني، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، ط2 ، 2009م.
9. أبو السعيد أحمد العبد ، عابد زهير عبد اللطيف ، مهارات الاتصال وفن التعامل مع الآخرين، ط1، عمان، 2014م.
10. أبورية محمد ، أضواء على السنة المحمدية، ط6، دار المعارف، القاهرة.
11. أبو عرقوب إبراهيم ، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي، عمان،ط1 ، 1993م.
12. أبوغدة، عبد الفتاح ، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، 2003.
13. أحسن شعبان كريمة، الاتصال الخطابي وفن الإقناع، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015م.

14.أدراوي العياشي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1 ،2011م.

15.أسامة خيري، مهارات الحوار، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن–عمان، ط1 ،2014م.

16.أندريه مارتيني، مباديء في اللسانيات العامة، دار الأفاق للنشر.

17.أوشان علي آيت ، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي الأسس المعرفية والديداكتيكية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

18.أوكان عمر ، اللغة والخطاب، المغرب، إفريقيا الشرق،2001م.

19.أوليفي روبول، لغة التربية تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة: عمر اوكان، أفريقيا الشرق، المغرب ، 2002م.

20.الأسمر أحمد رجب ، النّبي المربي، دار الفرقان، عمان، ط1، 2010م.

21.الأشقر عمر سليمان عبد الله ، صحيح القصص النبوي، دار النفائس لنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 1997م.

22.الأمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق:عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2003م.

23.الاوراغي محمد ، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، لبنان،الجزائر، ط1 ، م2010.

24.الباز أنور،التفسير التربوي في القرآن الكريم، دار ابن حزم، مصر، 2007م .

25.البخاري، أبو عبد لله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن حزم للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1430هـ–2010م.

26.البوشخي عز الدين، التواصل اللغوي مقاربة لسانيّة وظيفية ،بيروت– لبنان، ط1.

27. الترميذي، محمد بن علي بن سورة، سنن الترميذي، تحقيق: د. احمد شاكر، محمد عبد الباقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع،

28.التهاوني، محمد بن علي الهندي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق:علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان، ط1، 1996م .

29. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003م-1424هـ .

30. الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1999م.

31. الجلاد ماجد زكي، تعلم القيم وتعلميها-تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتجيات تدريس القيم، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط3 ، 2010م.

32. الجودي لطفي فكري محمد، جماليات الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة ،ط1، 2014م.

33. الحاج البدري فوزية ، التربية بين الأصالة والمعاصرة، مفاهيمها، فلسفتها، دار الثقافة، عمان، ط2009،1م.

34. الحازمي خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، المدينة المنورة، 1420هـ.

35. الحباشة صابر،التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008م.

36. الحنبلي ابن رجب، جامع العلوم والحكم، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 2008م.

37. الخطيب محمد عجاج ، أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2006م.

38. الخوري فؤاد إسحاق ، لغة الجسد،دار الساقي، بيروت-لبنان، ط1 ،2000م .

39. الدّريدي سامية ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، اربد، ط1، 2007م.

40. الدوسري محمود أحمد، هجر القرآن العظيم-أنواعه وأحكامه، دار ابن جوزي، الرياض، ط1، 2008م.

41. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، ، بيروت،ط1، 1999م.

42. الرغيني محمد ، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، دار البيضاء ،1987م.

43. الرفاعي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005م.

44. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت.

45. الزناتي عبد الحميد الصّيد ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، دار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1993م.

46. السّباعي مصطفى ، السنة ومكناتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع.

47. السّبعاوي طه عبد الله محمد، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، لبنان–بيروت.

48. السرتي زكريا ، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014م .

49. السرخي إبراهيم محمد ، الجوانب السلوكية في بناء الشخصية –مقارنة بين المنظرين الغربي والإسلامي، هبة النيل العربية للنشر ، 2011م.

50. السليتي فراس، استراتجيات التعلم والتعليم–النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن –عمان، ط1، 2008م.

51. السيد عز الدين علي، التكرار بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م.

52. الشعابي الحارثي، فهد محمد، الاتصال اللغوي في القرآن الكريم، منتدى المعارف ،بيروت، ط1، 2014م.

53. الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 ، لبنان ،2004م.

54. الشيخ حمدى، الوافي في تيسير النحو والصرف، المكتب الجامعي الحديث، 2009م.

55. الطائي محمد علي إبراهيم حسين علي، الاستعارة في الحديث النّبوي الشريف (صحيح بخاري)، دار الكتب العلمية،بيروت– لبنان.

56. الطاهر بن حسين بومزمر، التواصل اللساني والشعرية، دار العربية للعلوم –ناشرون، الجزائر، ط1، 2007م.

57.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، ، تحقيق بشار بن عواد وعصام فرس الحرستاني، ط1 ،1994م.

58.الطنطاوي عفت مصطفى،التدريس الفعال (تخطيطه- مهاراته -استراتيجيته)، دار الميسرة للطباعة والنشر ، عمان .

59.-العبد محمد، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 ،2007م.

60.العثيمين محمد بن صالح ، مصطلح الحديث، القاهرة، 1994م-1415هـ .

61.العربي فرحاتي، أنماط التفاعل وعلاقات التواصل في جماعة القسم الدراسي وطرق قياسها دراسة ميدانية لدروس اللغة في المدرسة الاساسية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.

62.العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006م .

63.العشراوي عبد الجليل، الحجاج في الخطابة النبوية،علم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012 م.

64.العك خالد عبد الرحمن ، تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط7، 2005 م .

65.العيد سليمان بن قاسم، المنهاج النّبوي في دعوة الشباب، ط2، الرياض، 1433هـ-2012م، ص131.

66.العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه : عبد الله محمود بن محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2001م.

67.العلوي شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة ونشر والتوزيع، ط1، 2004م.

68.العمري محمد، في بلاغة الخطاب الاقناعي، إفريقيا الشرق، ط2، 2002م.

69.القرضاوي يوسف ، كيف نتعامل مع السنة، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002م .

70.القزويني، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين ، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان ، 2009م.

71. الكوفي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات –معجم المصطلحات والفروق اللغوية–، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 1998م.
72. المرابط عبد الواحد ،السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، الدار العربية للعلوم، بيروت –لبنان، ط1، 2010م .
73. المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان،ط5، 2006م.
74. المنجد محمد صالح، كيف عاملهم صلى الله عليه وسلم، السعودية، مجموعة زاد للنشر ،ط3، 2016م .
75. الميداني عبد الرحمن، روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم–دراسة لغوية وفكرية وأدبية–، دار القلم، دمشق، 1995م.
76. النحلاوي عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق ، 2010م.
77. النووي ، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، شرحه: محمد بن صالح العثيمين تحقيق: أبو سلسبيل محمد عبد الهادي، مكتبة عباد الرّحمن، مصر، ط1، 2008م.
78. النووي، محي الدين أبو زكريا بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ط15، بيروت –لبنان، 2008م.
79. الهاشمي أحمد إبراهيم بن مصطفى ، القواعد الأساسية للّغة العربية، تحقيق: أحمد بن إبراهيم– مصطفى الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م.
80. بساط جمعة عبلة ، مهارات في التربية النفسية–الفرد متوازن وأسرة متماسكة، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط2 ، 2005م.
81. بشنون سليمان،الأخلاق النبوية مدرسة للتربية والتعليم، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 ، 2012م.
82. بلاصي أحمد ، عالية صلح، العوضي زكي ، مهارات اتصال في اللغة العربية وآدابها، منهج وتطبيق ، دار كنوز المعرفة، عمان ، ط1، 2010م.

83.بلخير عمر ، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب- دراسة تداولية-، دار الحكمة، الجزائر، 2009م.

84.بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،2003م.

85.بوقرة نعمان، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1 ،2012م.

86.بن رزق نصر الدين ، الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم، دار هومة، الجزائر، 2013م.

87.بن حنبل، أحمد، مسند الإمام، تحقيق ، مؤسسة الرسالة

88.بيتر كليتون، لغة الجسد، دار الفروق للنشر والتوزيع، مصر، ط1.

89.تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط2 .

90.جبارة صفاء ، الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن –عمان ،2012م.

91.جودي ليلى، إستراتجية التواصل في البلاغ القرآني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2011م.

92.حافظ إسماعيلي علوي ومحمد أسيداه، اللسانيات والحجاج، الحجاج المغالط: نحو مقاربة لسانية وظيفية، ضمن الحجاج مفهومه مجالاته،عالم الكتب الحديث، عمان، 2010م.

93.حجاب محمد منير، الاتصال الفعال للعلاقات العامة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م .

94.حجازي عبد العليم أحمد عارف ، دراسات لسانية في الحديث النبوي، دار فرحة للنشر، ط1،2006م.

95.حساني أحمد، درسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر، ط2 ،2009م، .

96.حسن إسماعيل محمود، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، الدار العالمية للنشر والتوزيع،ط1، 2003م.

97.حسنين شفيق، لغة الجسد في الإعلام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2012م.

98.حمادنة محمد محمود ساري ، خالد حسين محمد عبيدات، مفاهيم التدريس في العصر الحديث (طرائق أساليب استراتجيات)، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ط1، 2012م.

99.حمدان زياد ، سيكولوجية الاتصال التربوي، دار التربية الحديثة، 2000م.

100. حمداوي جميل ، نحو نظرية تربوية جديدة(البيداغوجيا الابداعية)، مكتبة المثقف، ط1، 2015م.

101. حوى سعيد ، الرسول صلى الله عليه وسلم، دار عمار ، بيروت ، 1988م .

102. خالفي حسين، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفرابي- بيروت لبنان،منشورات الاختلاف- الجزائر، ط1 ،2011م .

103. خبراء المجموعة العربية لتدريب والنشر، لغة الجسد وقراءة الأفكار، المجموعة العربية لتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2014م .

104. خطابي محمد ، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ،1991 م.

105. خياط فوزية ، الأهداف التربوية السلوكية عند الشيخ ابن تيمية، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط1 ، 1987م.

106. دلاش جيلالي ، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1992 م.

107. داود عبد الباري محمد ، التربية النفسية للطفل، ،أتراك للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1 ،2005م.

108. داود محمد محمد ، جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية(دراسة دلالية ومعجم)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.

109. سعيد إسماعيل علي، السنة النبوية رؤية تربوية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2002م،

110. سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، دار الفكر العربي،القاهرة، ط1، 2000م .

111. سعيد منال محمد هشام، المقام في العربية في ضوء البراغماتية: النظرية والتطبيق، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010 م.

112. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة،2004م .

113. سيمينو أيلينا ، الاستعارة في الخطاب، تر:عماد عبد اللطيف–خالد توفيق، المركز القومي للترجمة،القاهرة ، ط1، 2013.

114. شاطر جمال محمد ، أساسيات التربية والتعليم الفعّال، دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان الأردن.

115. شعبان شعبان زكريا، اللغة الوظيفية والاتصال، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2011،1م–1432هـ .

116. شحود علي بن نايف ، الأساليب النّبوية في التعليم، دار المعمور، ط1، 2009م.

117. صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب– دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 2005م.

118. صولة عبد الله ، الحجاج في القرن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت –لبنان، ط2 ،2007م.

119. طرحة حسين ، شرح مائة حديث من جوامع الكلم من صحيح البخاري، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر ،2010م .

120. طوبال بركة فاطمية ، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1993،1م .

121. طيب عيساني رحيمة ، مدخل إلى الإعلام والاتصال–المفاهيم الأساسية والوظائف الجديدة في عصر العولمة الإعلامية، جدار للكتاب، عمان–الأردن، 2008م.

122. عبّاس محجوب، الحكمة والحوار– علاقة تبادلية، عالم الكتب الحديث، الأردن–عمان، ط1، 2006م.

123. عبد الله ابرهيم، سعيد الغانمي ، عواد علي، معرفة الأخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1996م.

124. عبد الحليم، محمود، السنة ومكناتها في التشريع الإسلامي، بيروت، المكتبة العصرية، 1977م.

125. عبد الحميد ديوان، النحو المبسط، الجزائر، دار العزة والكرامة، ط1، 1434هـ-2013م.

126. عبد الرحمن طه ، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديد، ص11 .

127. عبد الرحمن طه ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ببيروت، ط1 ، 1998م.

128. عبد السميع أنيس، الأساليب النبوية في معالجة المشاكل الزوجية، دار المعروفة لطباعة والنشر، قطر، 2010م.

129. عبود حارث حمدي نرجس ، الاتصال التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ،2008م.

130. عسوس محمد، مقاربة التعليم والتعلم بالكفاءات، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو لجزائر ،ط1.

131. عصمت مطاوع إبراهيم ، أصول التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط7، 1995م.

132. عكاشة محمود ، لغة الخطاب السياسي –دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات،مصر،ط1، 2005م.

133. عكاشة محمود، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة–دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات ، القاهرة، ط1 ، 2013م.

134. علوي حافظ إسماعيلي، التداوليات–علم استعمال اللغة–، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2014،2م.

135. عليان ربحي مصطفى ، الطوباسي عدنان محمود ، الاتصال والعلاقات العامة، دار صفاء ، عمان ، ط1، 2005م-1425هـ.

136. علي راشد، شخصية المعلم وأداؤه في ضوء التوجهات الإسلامية في التربية نحو تأصيل إسلامي للتربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993م .

137. عمران محمد إسماعيل ، حمد بليه حمد العجمي ،أسس علم النفس التربوي- رؤية تربوية إسلامية معاصرة، ط1، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع،2005م،1425هـ.

138. عميرات، آمال ، الاتصال الاجتماعي(العمومي)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 2014م.

139. فحلة حسن رمضان ، حقيقة الذكر والدعاء في القرآن والسنة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ-2011م.

140. فضل صلاح ، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م.

141. فوكو ميشل ، نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، دار التنوير للنشر والتوزيع.

142. فيود بسيوني عبد الفتاح، بلاغة تطبيقية -دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص، مؤسسة المختار، القاهرة، 2010م .

143. فيود بسيوني عبد الفتاح ، علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2011م.

144. -فيود بسيوني عبد الفتاح ، علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)، القاهرة، مؤسسة المختار،ط3،2011م .

145. قادا عبد عالي ، بلاغة الإقناع-دراسة نظرية تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان، ط1، 1437هـ-2016م.

146. لبصيص خالد، التدريس العلمي والفني الشفاف بمقاربة الكفاءات والأهداف، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر.

147. مانغونو دومينيك ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1،2008م.

148. مبارك حنون، دروس في السميائيات، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1 ،1987م.

149. متوكل أحمد ، اللسانيات الوظيفية -مدخل نظري-، دار الكتاب الجديد المتحد، ط2، 2010 م .

150. متوكل أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط–المغرب، ط1، 2010م.

151. مجموعة من العلماء والدعاة، رسائل من نور، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، الأردن –عمان، ط1، 2011م.

152. محسن محمد قطب معالي، المشتقات ودلالاتها في اللغة العربية–دراسة تطبقية في القرآن الكريم، ط2، ، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية،2010م.

153. محمد أحمد قاسم، محي دين ديب،علوم البلاغة–البديع والبيان والمعاني–، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان،ط1، 2008م.

154. محمد البدوى الصافي خليفة، المهارات المهنية للأخصائي الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث،2011م.

155. محمد بن صالح العثيمين ، شرح رياض الصالحين، تحقيق: أبو سلسبيل محمد عبد الهادي، مكتبة عبد الرحمن، دار ألفا، ط1، 2008م.

156. محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن–قواعده. أساليبه. معطياته، دار المنصوري للنشر، الجزائر .

157. محمد سالم، محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب، بيروت، ط1، 2008م.

158. محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت–لبنان، 2004م.

159. –محمد محمود ساري حمادنة، خالد حسين محمد عبيدات، مفاهيم التدريس في العصر الحديث (طرائق أساليب استراتجيات)، عالم الكتب الحديث، أربد– الأردن، ط1، 2012م.

160. محمود شمال حسن، الصورة والإقناع–دراسة تحليلية لأثر خطاب الصورة في الإقناع، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006م.

161. مختار عطية، علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع دراسة بلاغية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

162. مخلوف سيد أحمد، اللغة والمعنى–مقاربات في فلسفة اللغة، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، مصر، ط1، 2010م.

163. مداس أحمد ، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، جدار للكتاب العالمي–عالم الكتب الحديث ، عمان –الأردن، ط1 ، 2008م.

164. مدقّن هاجر ، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013م .

165. مرعي توفيق أحمد ، محمد محمود الحيلة، طرائق التدريس العامة،دار المسيرة، عمان ،ط5، 2011–1432هـ.

166. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، زادك إلى المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1433هـ–2012م .

167. مشاقبة بسام ، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، ، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان–الأردن ،ط1، 2010م.

168. مصباح عامر ، الإقناع الاجتماعي–خلفية نظرية والياته العملية–، ديوان المطبوعات، الجزائر، ط2 ، 2006م.

169. معتصم بابكر مصطفى، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ط1، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003م.

170. مفلاح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، دار الحلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

171. مقبول إدريس، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م.

172. ملازاده عقيل سعيد ، الحوار قيمة حضارية –دراسة تأصلية لمنهجية الحوار في الإسلام، ، دار النفائس للنشر، الأردن ، ط1، 2010م.

173. ميلز سارا، مفهوم الخطاب في الدّراسات الأدبية واللّغوية المعاصرة، ترجمة:عصام خلف كامل، تحقيق: زينب محمد أمين، دار فرحة.

174. نهر هادي، الكفاية الاتصالية والتواصلية، دراسات في اللغة والإعلام، دار الفكر ، عمان– الأردن،ط2003،1م–1424هـ.

175. نحلة محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2002م.

176. يقطين سعيد ، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط3 ، 1997م.

177. يندوجلاس براون، أسس تعلّم اللغة وتعليمها ، ترجمة: عبده راجحي- علي علي احمد شعبان، دار النهضة العربية ، بيروت، 1994م.

ثانيا- الرسائل والاطروحات:

1. بلقاسم حمام، آليات التواصل في الخطاب القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة العقيد الحاج لخضر-باتنة ،1426هـ-2005م.

2. نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي – دراسة تقابلية مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين- سطيف، 2015-2016م.

ثالثا -المجالات والدوريات:

1. آيت عبد السلام رشيدة ، القيم المكونة لمفهوم الموطن الصالح في كتب اللغة العربية المدرسية وشبه المدرسية، مجلة اللسانيات التطبيقية، العدد2، جامعة الجزئر2، ديسمبر 2017م، ص18.

2. الطبطبائي طالب سيد هاشم ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت،1994 م.

3. العقيدي حنان محمد مهدي، لغة الحكمة وإقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النّبوي، جامعة بغداد، العدد2، كلية التربية، 2013م.

4. الغامدي جمعان بن عبد الكريم ، الحجاج في الخُطبة النبويّة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد10،2013م.

5. بروال مختار، التواصل البداغوجي ومعيقاته: مقاربة تحليلية من منظور العقد البيداغوجي الحديث، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية-جامعة الوادي، العدد 5 – فيفري 2014م.

6. بن سلامة إكرام ، الخلقية اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في كتاب الموشح للمرزباني– قراءة تداولية–، مجلة الأثر، عدد10، الجزائر، 2011م.
7. صحراوي مسعود، تداولية الخطاب القرآني عند الأصوليين، مجلة الخطاب ، العدد 8، جامعة مولود معمري–تيزي وزو،2011م.
8. عودة عبد الله، الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة المسلم المعاصر، مصر، العدد 112، 2004م.
9. فضل صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد164،م1992.
10. قايد نور الدين أحمد، وحكيمة سبيعي، التعليمية وعلاقاتها بالأداء البيداغوجية والتربية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد8، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2010م، ص45.
11. نصار أسعد نصار، طرق الاتصال التربوي(السمعية والبصرية) دراسة موضوعية في الحديث النّبوي،مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد26، العدد الثاني، 2010م.

رابعا – المؤتمرات :

1. الماجد عمر، أدب التخاطب في السنة النبوية قيمة حضارية وبناء للشخصية الإنسانية، بحث مقدم في مؤتمر السنة النبوية في بناء الشخصية، لمملكة الأردنية جامعة يرموك، كلية الشريعة.
2. محمود خليل أبو دف، جودة الخطاب التربوي في السنة النبوية، بحث مقدم لمؤتمر المعلم الفلسطيني، جامعة الأقصى، غزة، 2008م.
3. محمود خليل أبو دف، الاتصال التربوي في السنة النبوية ، بحث مقدم في مؤتمر الحوار والتواصل التربوي، الجامعة الإسلامية، كلية التربية2011م.

خامسا – المعاجم:

1. ابن سيده، أبو الحسن علي إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م.

2. ابن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الحّيل، بيروت ، 1999م.
3. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.
4. الأحمر فيصل ، نبيل دادوة، الموسوعة الأدبية، ج الأول، دار المعرفة، الجزائر، 2008م.
5. الأحمر، فيصل ، معجم السميائيات، الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان، ط1، 2010م.
6. الدحداح، أنطوان ، معجم لغة النّحو العربي، راجعه: جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون.
7. الرّازي محمد بن أبي بكر ، مختار الصّحاح، دار الكتاب الحديث، ط1، 1994م.
8. السيد علي محمد ، موسوعة المصطلحات التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م-1432هـ.
9. الفيروزبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة ، 2008م.
10. المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، 2003م .
11. بعلبكي رمزي منير، معجم المصطلحات اللّغوية، دار العلم للملايين، ط1، 1990م.
12. ميشال جرجس، معجم مصطلحات التربية والتعليم، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ط1 ، 1426هـ-م2005.

سادسا -المراجع باللغة الأجنبية:

1. Bakhtine Mikhaïl, le marxisme et la philosophie du langage, Edition de minuit, paris,1977.
2. Benveniste Émile, problèmes de linguistique générale, Tome 1 édition Gallimard, paris,1974.
3. Breton Philippe, l'argumentation dans la communication, Edition casbah-Alger, janvier1998.

4. DE Saussure Ferdinand, cours de linguistique général, Edition Payot et Rivages ,4e édition, paris,1995.
5. Dubois Jean et autre, Dictionnaire de Linguistique, Larousse, Imprimerie berger levraut France, dition1949 .
6. Meyer Michel, logique-*langage*-et argumentation, hachette 2 éd-paris-1982.

سابعا-الشابكة:

1. الحجاج وإستراتجية الإقناع عند طه عبد الرحمن، مقاربة استيمولوجية، د محمد حمودي، جامعة مستغانم، www.tahaphilo.com.2014-9-16
2. الدكتور جميل حمداوي، التواصل اللساني والسميائي والتربوي،شبكة الالوكة، ص7. www-alucah net.

الفهرس

مقدمة.....ص02.
الفصل الأول: الإطار النظري للموضوع: المفهوم والمصطلح .....ص08.
أولا: مفهوم التواصل وأنوعه.....ص09.
أ- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتواصل.....ص09.
ب- أهداف التواصل.....ص17.
ج- أنواع التواصل.....ص19.
1- التواصل الإسلامي.....ص19.
2- التّواصل اللسانيّ.....ص23.
3- التواصل السيميولوجي.....ص29.
ثانيا: مفهوم التواصل التربوي وأهدافه.....ص33.
أ- مفهوم التربية.....ص33.
ب- مفهوم التواصل التربوي.....ص37.
ج- أهداف التواصل التربوي.....ص40.
1- التواصل المعرفي.....ص41.
2- التواصل الوجداني.....ص42.
3- التواصل الحس-حركي.....ص44.
ثالثا: مفهوم الخطاب .....ص46.
أ- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب. .....ص46.
1- المفهوم اللغوي.....ص46.
2- المفهوم والاصطلاحي.....ص48.
ب- تحليل الخطاب وآلياته .....ص56.
ج-البعد التداولي للخطاب .....ص61.
رابعا: الخطاب النّبوي: مفهومه و خصائصه.....ص65.
أ- مفهوم الخطاب النّبوي.....ص65.
ب- خصائص الخطاب النبوي.....ص70.
الفصل الثاني:أساليب التواصل التربوي في الخطاب النّبوي.....ص77.

أولا: التواصل التربوي اللفظي.....ص79.
أ-التواصل بأسلوب الحوار.....ص80.
ب-التواصل بأسلوب ضرب المثل.....ص89.
ج-التواصل بأسلوب القصة.....ص97.
د-التواصل بأسلوب التكرار.....ص102.
ثانيا-التواصل التربوي غير اللفظي..... ص110.
أ-التواصل بتعابير الوجه..... ص114.
1-الابتسامة.....ص116.
2-الضحك.....ص116.
3-الغضب.....ص122.
4-إيماءات الرأس.....ص124.
5-لغة العيون.....ص125.
6-اللسان.....ص128.
ب-التواصل بحركات الجسم.....ص130.
1-الإشارة باليد.....ص131.
2-حركة الأصابع.....ص133.
3-حركة الأرجل.....ص135.
ج-التواصل بالرسومات التوضيحية والبيانية.....ص138.
الفصل الثالث: إستراتيجية الإقناع وآلياتها في الخطاب النّبويّ.....ص145.
أولا- مفهوم الإقناع و علاقته بالتواصل والتأثير والحجاج.....ص146.
1-علاقة الإقناع بالتواصل.....ص148.
2-علاقة الإقناع بالتأثير.....ص149.
3-علاقة الإقناع بالحجاج.....ص149.
ثانيا- آليات الإقناع..... ص152.

1- الآليات اللغوية:.....ص152.
أ- ألفاظ التعليل.....ص152.
ب- الوصف.....ص154.
ج -الأفعال اللّغوية.....ص160.
2- الآليات البلاغية:.....ص173.
2-1- في علم المعاني..... ص176.
2-2- في علم البيان.....ص180.
2-3-في علم البديع..... ...ص188.
3 - الآليات الحجاجية.....ص196.
3-1- الإقناع اللغوي.....ص197.
3-2 -الإقناع المنطقي العقلي. .....ص208.
الفصل الرابع: مقاصد التواصل التربوي في الخطاب النّبوي.....ص215.
أولا -التربية الإيمانيّة. .....ص218.
أ-غرس العقيدة وتثبيتها في نفس المتعلم.....ص219.
ب-تزويد المتعلم بمعلومات جديدة ومفيدة.....ص221.
ج-تدريب المتعلم على التفكير السليم.....ص223.
ثانيا -التربية الأخلاقيّة. .....ص225.
أ-تهذيب سلوك المتعلم وتقويمه.....ص225.
ب- تطوير سلوك المتعلم وتغيير اتجاهاته.....ص227.
ج-توجيه المتعلم على الأسس القويمة والمبادئ السليمة.....ص230.
ثالثا -التربية النفسيّة. .....ص233.
أ -تزكية النفس وتطهيرها والسمو بها.....ص233.
ب-التحفيز والرفع من معنويات المتعلم.....ص237.
ج-إدخال السرور في نفس المتلقي.....ص239.
د-تنمية روح التنافس بين المتعلمين.....ص240.
رابعا -التربية الاجتماعيّة..... ص243.

أ – توجيه وإرشاد المتعلم نحو السلوك الاجتماعي القويم.....ص244.
1– سلوكه مع الوالدين.....ص244.
2– سلوكه مع الأطفال.....ص245.
3– سلوكه مع البنات.....ص246.
4– سلوكه مع عامة النّاس.....ص247.
ب–إكساب المتعلم أنماط سلوكية ضرورية للحياة الاجتماعية.....ص248.
1–تحمل المسؤولية.....ص248.
2– أداء الأمانة والوفاء بالعهد.....ص250.
3– العفو والتواضع.....ص251.
4– الإخاء والاتحاد.....ص252.
–الخاتمة.....ص256.
–قائمة المصادر والمراجع.....ص262.
–الفهرس.....ص280.
–ملخص الرسالة باللغة العربية.....ص285.
–ملخص الرسالة باللغة الأجنبية.....ص286.

ملخص الرسالة

تمثّل هذه الدراسة مدخلا هاما وجديدا لمقاربة مجال تحليل الخطاب بالتّيار التّداولي الحديث، فمن خلالها نسعى إلى تقديم قراءة جديدة للعملية التواصلية في ضوء تداوليات الخطاب، وسنحاول استثمارها في الخطابات التربوية والتعليمية الضرورية لانجاح عملية إبلاغ الرسالة المقصودة، وسنعتمد في قراءتنا هذه على الحديث النبّوي الشريف، كونه خطابا تربويًا متميزًا في أسلوبه وشكله ومضمونه لأنّه يمتلك آليات التواصل والتبليغ والإقناع والحجاج ناهيك عن البعد التداولي و تجلياته المقصدية، قد يكشف لنا عن أهمية هذه النظرية في تحقيق أهداف التواصل التربوي؛ وذلك من خلال تحديد الآليات التواصلية الواردة في الخطاب النّبوي إلى جانب قدرتها على التبليغ عن المقاصد وعلى التأثير في المتلقي، ثم إبراز مدى فاعليتها وتأثيرها على بنية الخطاب الديداكتيكي الذي ينير عقل المتعلم ويسترعي اهتمامه ويوجهه نحو السبيل التربوي الأمثل. و هذا ما سنتعرض إليه في الدراسة اللاّحقة التي جاءت معنونة ب" **آليات التواصل التربوي في الخطاب النبوي**"، والّتي يمكن تلخيصها من خلال تقسيم هذا البحث إلى أربعة فصول:

الفصل الأول، ركزنا فيه على أهم المفاهيم المرتبطة بالموضوع، منها: التواصل، التربية، التواصل التربوي، الخطاب و الخطاب النّبوي.

أما الفصل الثاني، فتناولنا فيه تلك الأساليب التواصلية الّتي تتفرع بدورها إلى نمطين مختلفين منها ما هو لفظي يتم بالأصوات أو الكتابات ومنها ما هو غير لفظي يتم بالإشارات والحركات والرسومات.

وخصصنا الفصل الثالث لدراسة إستراتيجية الإقناع وآلياتها في الخطاب النّبويّ التربوي، منها الآليات اللغوية و الآليات البلاغية و الآليات الحجاجية.

كما حاولنا في الفصل الرابع والأخير استقصاء المقاصده التربوية الضرورية ذات الأبعاد الإيمانية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية .

و في خاتمة هذا البحث أبرزنا أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في رحاب الخطاب النّبوي.

ملخص باللغة الأجنبية (الإنجليزية)

Thesis summary:

This study represents an important and new approach for the domain of discourse analysis at the contemporary successive current, through this, we aim to introduce a new reading of the communication process in light of the discourse deliberations. We will try use it for the educational and pedagogical necessary discourses to achieve at the theory of how to transmit the intended message. We will rely in our approach on the Hadith, because of being a distinct educational discourse in its language, form and content because it has the mechanisms of communication, transmission, persuasion and argumentation beside that the successive dimension and intentional transfiguration; it shows us the importance of this theory to inquire the educational communication objectives by fixing the communication mechanisms contained in the prophetic discourse as well as their ability to transmit the purposes and influence the receiver, and showing their effectiveness and impact on the structure of the didactical discourse that illuminates the mind of the learner and draws his attention and inducts him towards the best educational way.

This is what we will present in the following study, which is entitled "Mechanisms of educational communication in the Prophetic discourse," which can be summarized by dividing this research into four chapters:

Chapter one, we focused on the most important concepts related to the subject, including: communication, education, educational communication, discourse and Prophetic discourse.

Chapter two, we spoke about those methods of communication which are divided into two different types, the verbal one is done by sounds or writings, and the non-verbal one is done with signals, movements and drawings.

We devoted Chapter three to study the strategy of persuasion and its mechanisms at the educational Prophetic discourse including linguistic, rhetorical and argumentative mechanisms.

The fourth and last chapter, we tried to inquire the necessary educational purposes of the faith, moral, psychological and social dimensions.

To conclude this research, we showed the most important effects reached during the study of the Prophetic discourse.

ملخص باللغة الأجنبية (الفرنسية)

Cette thèse représente une introduction importante et novelle à l'approche de l'analyse du discours relationnelle contemporain, par laquelle nous essayons de présenter une nouvelle lecture de la communication dans le discours, nous essayons de l'exploiter dans les discours pédagogiques et éducatifs nécessaires à la réussite de communiquer le message escompté. Nous nous baserons dans cette lecture sur « le Hadith du prophète QSSL », étant un discours pédagogique spécifique dans son caractère et son contenu, vu qu'il contient des mécanismes de communication et de conviction, en plus de la finalité. Il peut nous révéler l'importance de cette théorie pour l'aboutissement des objectifs de la communication éducative, à travers la désignation des moyens communicatifs inclus au discours du « prophète » et sa capacité d'informer des finalité et l'influence sur le récepteur, puis le degré de son efficacité vis-à-vis du discours du discours didactique qui guide l'apprenant vers l'intérêt et l'assimilation , et son orientation pédagogique adéquate. Ce que nous allons traiter dans notre étude intitulée :

« Mécanismes de la communication éducative dans le discours du Prophète » .

En divisant cette recherche en quatre chapitres :

Au premier chapitre nous avons focalisé notre travail sur les concepts importants relatifs au thème, tel que : communication, éducation, communication éducative, le discours et le discours du prophète.

Au deuxième chapitre nous avons traité des méthodes communicative qui se divis en deux modes différents, tel que l'oral par les sons et les écrits, et les gestes.

Au troisième chapitre nous avons procédé à l'étude de stratégie de conviction et ses mécanismes dans le discours du prophète éductaif, parmi eux ceux linguistiques.

Au quatrième chapitre nous avons essayé à regrouper les intentions pédagogiques nécessaires ayant des visées de foi, de moralité, psychologiques et sociale.

En conclusion de cette recherche, nous avons élucidé les importants résultats de la recherche dans le discours du prophète.